شرح
العقيدة الواسطية

لشيخ الإسلام
أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية

تأليف العلامة
محمد خليل هراس

تعليق العلامة
محمد بن صالح بن عثيمين

ويليه
ملحق الواسطية

حقق الشرح وأضاف الملحق
علوي بن عبد القادر السقاف

الدرر السنية
www.dorar.net

شرح

العقيدة الواسطية

ح مؤسسة الدرر السنية للنشر، ١٤٣٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
هراس، محمد خليل
شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية
ويليه ملحق الواسطية/ محمد خليل هراس؛ علوي بن عبد القادر السقاف – ط٩
– الظهران، ١٤٣٨هـ
٤٠٠ ص؛ ١٧ × ٢٤سم
ردمك: ٧-٤٢-٨١٥٤-٦٠٣-٩٧٨
١- العقيدة الإسلامية ٢- التوحيد أ. السقاف، علوي عبد القادر
ديوي ٢٤٠ ١٤٣٨/١١٨٨

رقم الإيداع: ١٤٣٨/١١٨٨
ردمك: ٧-٤٢-٨١٥٤-٦٠٣-٩٧٨

حقوق النسخ محفوظة للناشر

الطبعة التاسعة
١٤٣٨هـ – ٢٠١٧م

الدُّرَرُ السَّنِيَّة
www.dorar.net
مؤسسة الدرر السنية – المملكة العربية السعودية
ص. ب ٣٩٣٦٤ الظهران ٣١٩٤٢ – جوال: ٠٥٥٦٩٨٠٢٨٠
ت: ٠١٣٨٦٨٠١٢٣ / فاكس: ٠١٣٨٦٨٢٨٤٨ – بريد إلكتروني nashr@dorar.net

شرح
العقيدة الواسطية

لشيخ الإسلام

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية

تأليف

العلامة محمد خليل هراس

تعليق العلامة محمد بن صالح بن عثيمين

ويليه

ملحق الواسطية

حقق الشرح وأضاف الملحق

علوي بن عبد القادر السَّقَّاف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة[1]

إنَّ الحمد لله؛ نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذ بالله من شرور أنفسِنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومَن يُضلِل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله.

أمَّا بعد؛ فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وشرَّ الأمور محدثَاتُها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالة في النَّار.

ثمَّ إنَّ من نعم الله على هذه الأمَّة أنْ أكمل لها دينها، وأتمَّ عليها نعمته، ورضي لها الإسلام دينًا.

وإنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ما قُبِضَ إلا وقد تركها على المحجَّةِ البيضاء؛ ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، وما ترك خيرًا يقرِّبها إلى الجنَّة ويُبْعِدها عن النَّار؛ إلا ودلَّها عليه، ولا شرًّا إلا وحذرها منه؛ لِيَهْلِكَ من هلك عن بيِّنَةٍ ويَحْيَا من حَيَّ عن بيِّنة.

وقد أمرنا الله عزَّ وجلَّ أن نرجعَ عند الاختلاف ونتحاكَمَ عند النزاع إليه وإلى رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فقال عزَّ من قائل: ﴿فَإِن تَنَزَعۡتُمۡ فِي

---

(١) كُتبت هذه المقدمة للطبعة الأولى عام ١٤١١هـ، وأعيد النظر فيها مراتٍ عدة لطبعات سابقة، آخرها في هذه الطبعة السابعة لعام ١٤٣٤هـ.

شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[النساء:٥٩].

وعلى هذا النَّهج سار سلف هذه الأمَّة من الصحابة والتابعين، ومَن سلك نهجَهم وخطى خطاهُم.

أهميَّةُ العقيدة السَّلفيَّة بين العقائد الأخرى:

إنَّ أهمية دراسة العقيدة السَّلفيَّة تنبع من أهمية العقيدة نفسها، وضرورة العمل الجاد الدَّؤوب لإعادة الناس إليها، وذلك لأمور:

أولاً: أنَّه بها تتوحَّد صفوفُ المسلمين والدُّعاة، وعليها تجتمع كلمتهم، وبدونها تتفكَّك؛ ذلك أنَّها عقيدة الكتاب والسنة والجيل الأول من الصحابة، وكلُّ تجمُّع على غيرها مصيره الفشل والزوال.

ثانيًا: أنَّ العقيدة السَّلفية تجعل المسلم يعظِّم نصوص الكتاب والسنة، وتعْصِمُه من ردِّ معانيها، أو التَّلاعب في تفسيرها بما يوافق الهوى.

ثالثًا: أنَّها تربط المسلم بالسَّلف الصالح من الصحابة ومَن تبعهم، فتزيده عزَّة وإيمانًا وافتخارًا، فهم سادةُ الأولياء، وأئمَّة الأتقياء، والأمر كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إنَّ الله نظرَ في قلوب العباد، فوجَد قلبَ محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم خيرَ قلوب العباد، فاصطفاهُ لنفسه، فابتعثه برسالته، ثمَّ نظر في قلوب العباد بعد قلب محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيِّه، يقاتِلون على

دينه، فما رَأى المسلمون حسنًا فهو عند الله حسنٌ، وما رأوْهُ سيِّئًا فهو عند الله سيء»[(١)].

أو كما رُوِيَ عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّه قال: «مَن كان مستنًّا؛ فليستنَّ بمَن قد مات، أولئك أصحاب محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم؛ كانوا خيرَ هذه الأمَّة؛ أبرَّها قلوبًا، وأعمقَها علمًا، وأقلَّها تكلُّفًا، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كانوا على الهدى المستقيم، والله ربِّ الكعبة»[(٢)].

رابعًا: تميُّزُهَا بالوضوح؛ حيث إنَّها تتَّخذ الكتاب والسنة منطلقًا في التصوُّر والفهم، بعيدًا عن التأْويل والتعطيل والتَّشْبيه، وتنجي المتمسِّك بها من هَلَكةِ الخوض في ذات الله، وردِّ نصوص كتاب الله وسنَّة نبيِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، ومن ثَمَّ تُكسب صاحبها الرِّضا والاطمئنان لقدر الله، وتقدير عِظَمِ الله، ولا تكلِّف العقل التَّفكير فيما لا طاقة له به من الغيبيَّات؛

---

(١) رواه أحمد في ((المسند)) (٣٧٩/١) (٣٦٠٠)، والبزار في ((البحر الزخار)) (٢١٢/٥)، والطبراني (١١٢/٩) (٨٥٨٢)، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (٣٧٥/١).

قال ابن تيمية في ((منهاج السنة)) (٧٧/٢): إسناده معروف، وقال ابن القيم في ((الفروسية)) (٢٩٩): ثابت عن ابن مسعود، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (١٨٢/١): رجاله موثقون، وحسَّنه ابن حجر في ((الأمالي المطلقة)) (٦٥)، وصحَّح إسناده الشيخ أحمد شاكر (رقم٣٦٠٠)، وحسَّنه الألباني في ((شرح الطحاوية)) (٤٦٩).

(٢) انظر: «الحلية» لأبي نعيم (٣٠٥/١)، و«جامع بيان العلم وفضله» لابن عبدالبر (٩٧/٢)، و«شرح السنة» للبغوي (٢١٤/١).

فالعقيدة السَّلفيَّة سهلةٌ ميسَّرة، بعيدة عن التَّعقيد والتَّعجيز.

أهميَّةُ ((العقيدة الواسطية)) بين العقائد السَّلفيَّة:

إنَّ ((العقيدة الواسطية)) لشيخ الإسلام ابن تيميَّة من أكثر العقائد السَّلفيَّة سهولة ويسرًا، مع وضوحٍ في العبارة، وصحَّةٍ في الاستدلال، واختصارٍ في الكلمات، وقد وُضِعَ لها القَبولُ في الأرض، فتلقَّفها طلاب العلم ودرسوها وتدارَسوها ثمَّ درَّسوها، وحفظوها جيلًا بعد جيل، وهي بحقٍّ من أجمع وأخصر ما كُتِب في عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة.

[سبب تسميتها بالواسطية]

أمَّا **لماذا سُمِّيَت بـ((العقيدة الواسطية))**؟ فهذا سؤال يجيب عليه مؤلِّفها وواضعها شيخ الإسلام رحمه الله، فيقول:

((قَدِمَ عليَّ من أرض واسطٍ بعضُ قضاة نواحيها -شيخٌ يقال له: رضي الدين الواسطي، من أصحاب الشافعي-، قدِمَ علينا حاجًّا، وكان من أهل الخير والدِّين، وشكا ما الناس فيه بتلك البلاد وفي دولة التَّتر؛ من غلبة الجهل والظلم، ودُروس(١) الدِّين والعلم، وسألني أن أكتب له عقيدة تكون عمدةً له ولأهل بيته، فاستعفيتُ من ذلك، وقلتُ: قد كتب الناس عقائد متعدِّدة، فخذ بعض عقائد أئمَّة السُّنَّة. فألحَّ في السؤال، وقال: ما أحبُّ إلا عقيدة تكتبها أنت. فكتبت له هذه العقيدة وأنا قاعدٌ بعد العصر، وقد انتشرت بها نسخٌ كثيرة؛ في مصر والعراق، وغيرِهما))(٢).

---

(١) دَرَسَ العلمُ: انمحى، وزالت أعلامه.

(٢) ((مجموع الفتاوى)) (٣/١٦٤).

ومن توفيق الله وقدره أن كان هذا الرجل من واسط[(١)]، فسميت العقيدة الواسطية.

وهي - أيضًا - عقيدة وسطية كما قال شيخ الإسلام في أولها: ((بل هم - يعني: أهل السُّنَّة والجماعة - وسطٌ في فرق الأمَّة؛ كما أنَّ الأمَّة هي الوسط في الأمم، فهم وسطٌ في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التَّعطيل الجهميَّة وأهل التَّمثيل المشبِّهة، وهم وسطٌ في باب أفعال الله بين الجبريَّة والقَدَريَّة وغيرهم...إلخ))؛ فهي - إذًا - واسطيَّة وسطيَّة.

أهميَّة شرح الشيخ هرَّاس لـ((العقيدة الواسطيَّة))بين شروحها:

يمتاز شرح العلَّامة محمَّد خليل هرَّاس لـ((العقيدة الواسطية))بالوضوح والاختصار، وكما قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي: إنَّه: ((من أنفس الشروح، وأوضحها بيانًا، وأخصرها عبارة)). اهـ

فالشيخ رحمه الله لم يترك كلمة في العقيدة إلا وشرحها ووضَّحها - في الغالب الأعم-، واستشهد في مواضع كثيرة بالقرآن الكريم، وبأحاديث المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وبأقوال الصحابة والمفسرين، وبأقوال السَّلف؛ كالإمام أحمد، والبخاري، ونُعَيْم بن حماد.. وغيرهم ممَّن جاء بعدهم واقتفى أثرهم؛ كشيخ الإسلام في مواضع أخرى من كتبه، وتلميذيه

(١) (واسط): بلدة أنشأها الحجَّاج بن يوسف الثقفي، عامل الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، في موضع جنوبي العراق، يتوسط بين الكوفة والبصرة، وسميت واسطًا لتوسطها.
انظر: ((تاريخ واسط)) لبحشل (ص٢٢).

ابن القيِّم والذهبي، وبالمتأخرين؛ كالشيخ عبد الرحمن بن سعدي، ومحمد بن مانع؛ كما أنَّه ذكر مقالات الفرق، وردَّ على شبههم؛ كالجهميَّة، والقدريَّة، والجبريَّة، والمعتزلة، والأشاعرة.. وغيرهم، وبيَّن ضلال أئمتهم في القديم؛ كغيلان الدمشقي، وبشر المَريسي.. وغيرهما، ثمَّ مَن بعدهما؛ كالرازي، والغزالي، ثمَّ رافع راية التجهُّم في عصرنا هذا المدعو زاهد الكوثري، كل ذلك في هذا الشرح المختصر، السهل الميسَّر.

فحُقَّ لهذا الشرح أن يكون من أنفس الشروح، وأخصرها، ولا يعرف حقيقة ذلك إلا من طالعه، ودرسه، وتدارسه، واطَّلع على غيره من الشروح.

((العقيدة الواسطيَّة)) وشروحها:

للعقيدة الواسطية - عقيدة الفرقة الناجية - طبعات عدَّة، وشروح كثيرة، فمن ذلك مثلاً:

١- ((التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة))

تأليف العلَّامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ت: (١٣٧٦هـ)، وعليها منتخبات من تقارير الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وقد قام بنشرها أوَّلًا وأشرف على طبعها الأستاذان: عبد الرحمن بن رويشد، وسليمان بن حماد، وقد طبعت في (٦٤ صفحة) من الحجم المتوسط، بدون تاريخ.

ثم طبعت طبعة أخرى مضبوطة النص والأحاديث، ونُشِرَت بدار ابن

القيم بالدمَّام، وعدد صفحاتها (١٠٧ صفحة) من القطع الكبير، وذلك في عام (١٤١٠هـ).

٢- «التعليقات السنية على العقيدة الواسطية»

للشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك، ت: (١٣٧٦هـ)، شرح مختصر يقع في (٧٦ صفحة)، وهو من أوائل شروح العقيدة الواسطية.

٣- «العقيدة الواسطية»

علَّق على حواشيها وأشرف على تصحيحها فضيلة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع، ت: (١٣٨٥هـ)؛ مدير المعارف العام سابقًا؛ وهو تعليق مختصر جدًّا، بلغت صفحاته (٣٢ صفحة) من الحجم المتوسط، وطُبعت الطبعة: الأولى في مطبوعات سعد الراشد بالرياض، بدون تاريخ.

٤- «شرح العقيدة الواسطية»

وهو من تقريرات سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ت: (١٣٨٩هـ)، مفتي الديار السعودية -سابقًا- كتبها ورتبها تلميذه الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، وأخرجها وأعدها للطبع ابنه الشيخ عبدالمحسن بن قاسم إمام وخطيب المسجد النبوي، طُبع الكتاب عام ١٤٢٨هـ في مجلد متوسط الحجم عدد صفحاته (٢٨٨ صفحة).

٥- «شرح العقيدة الواسطية»

للعلَّامة محمد خليل هرَّاس ت: (١٣٩٥هـ) -وهو كتابنا هذا- طُبع

في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في (١٧٦ صفحة) من الحجم الصغير باعتناء ومراجعة الشيخ عبدالرزاق عفيفي، ثُمَّ طُبع مرة أخرى طبعةً قام بتصحيحها والتعليق عليها الشيخ إسماعيل الأنصاري، وقامت بنشرها الرئاسة العامَّة لإدارات البحوث العلميَّة والإفتاء والدعوة والإرشاد في (١٨٧ صفحة) من الحجم الصغير، وذلك عام (١٤٠٣هـ)، وهي لا تختلف عن سابقتها كثيرًا؛ إلا في مواضع يسيرة، علَّق عليها الشيخ إسماعيل الأنصاري.

٦- «التَّنبيهات السنيَّة على العقيدة الواسطية»

للشيخ عبد العزيز الناصر الرشيد، ت: (١٤٠٨هـ)، وهو شرحٌ موسَّع، يقع في (٣٨٨ صفحة) من الحجم الكبير، كتبه نزولًا على رغبة طلبته في المعهد العلمي، وقامت بنشره دار الرشيد للنشر والتوزيع؛ بدون تاريخ.

٧- «الروضة النديَّة شرح العقيدة الواسطية»

للشيخ زيد بن عبد العزيز بن فياض ت: (١٤١٦هـ)، وهو شرح موسع جدًّا، طُبعت الطبعة الأولى منه عام (١٣٧٧هـ)، والطبعة الثانية عام (١٣٧٨هـ)، وتقع في (٥١٦ صفحة).

٨- «العقيدة الواسطية»

للعلَّامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ت: (١٤٢١هـ)، وهو شرح مختصرٌ لبعض الكلمات صغيرٌ جدًّا، وتعريفٌ لبعض المصطلحات الواردة في الكتاب، ويقع في (٥٥صفحة) من الحجم المتوسط، وقد طُبع الطبعة الأولى عام (١٤٠٦هـ) في مكتبة الهدى بمدينة الثقبة في المنطقة الشرقية.

٩- «شرح الواسطية»

له أيضًا، وهو مسجل على أشرطة «كاسيت»، ثُمَّ كتبه أحد تلامذته، وتداوله طلبة العلم، وقد طُبع مؤخرًا بمكتبة طبرية باعتناء الشيخ أبي محمد أشرف بن عبد المقصود، ثُمَّ طُبع مرة أخرى عام (١٤١٥هـ) بعد أن راجعها الشيخ ابن عثيمين نفسه باعتناء الأخ الشيخ سعد بن فواز الصُّميل، وتقع هذه الطبعة في مجلدين عدد صفحاتهما (٨٩٤صفحة)، نشر دار ابن الجوزي بالدمام، وهو شرح نفيس لا يُعلى عليه.

١٠- «الكواشف الجليَّة عن معاني الواسطية»

للشيخ عبد العزيز المحمد السلمان، ت: (١٤٢٢هـ)، وهو شرحٌ كبير، يقع في (٤٧١ صفحة)، وقد طُبع عدة طبعات، وُزِّعَت مجانًا، آخرها الطبعة السابعة عشرة عام (١٤١٠هـ)، وتقع في (٨٠٧ صفحة).

١١- «الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية»

له أيضًا، وهو على طريقة السؤال والجواب، ويقع في (٣٤٠ صفحة) من الحجم الكبير، ووزِّع مجانًا مراتٍ عديدة، وقد اختصره المؤلف نفسه.

١٢- «مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية»

اختصره المؤلف نفسه، وطُبع عام ١٤١٠هـ في الرياض طبعة وقفية في غلاف متوسط عدد صفحاته (١٦٧ صفحة).

١٣- «التعليقات الزكية على العقيدة الواسطية»

للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، وهو شرح موسَّع جدًّا، وطبعت

الطبعة الأولى منه عام (١٤١٩هـ)، وتقع في مجلدين عدد صفحاتهما (٦١٨صفحة) بدار الوطن بالرياض، باعتناء الشيخ علي بن حسين أبو لوز.

١٤- «التعليقات المفيدة على العقيدة الواسطية»

تعليق وتخريج عبد الله بن عبد الرحمن بن علي الشريف، مع إحالة آياتها وتخريج أحاديثها تخريجًا مختصرًا، وبعض التعليقات المختصرة المفيدة؛ كما سمَّاها صاحبها، ويقع في (٨٩ صفحة) من الحجم المتوسِّط، وكانت الطبعة الأولى منه في عام (١٤٠٤هـ) بدار طيبة بالرياض.

١٥- «شرح العقيدة الواسطية»

للشيخ سعيد بن علي بن وهف القحطاني، راجعه الشيخ عبد الله بن عبدالرحمن الجبرين، وهو شرح مختصر وميسَّر، يقع في (٨٧ صفحة) من الحجم الصغير، اعتمد فيه على من سبقه، وقد طُبع في عام (١٤٠٩هـ).

١٦- «مع عقيدة السَّلف» (العقيدة الواسطية)

وهو شرح مختصر عدد صفحاته (١١٢ صفحة) أعده مصطفى العالم وطُبع عام ١٩٦٥م بدار الثقافة للنشر والتوزيع، وأعيد طبعه بدار المجتمع للنشر والتوزيع بجدة.

١٧- «شرح العقيدة الواسطية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية»

جمع وترتيب الشيخ خالد بن عبد الله المصلح، وهو جمعٌ لطيف لكلام شيخ الإسلام ابن تيمية يوضح ما اشتملت عليه العقيدة الواسطية، ويقع في

(٢١٦ صفحة)، طبعت الطبعة الأولى منه عام (١٤٢١هـ) بدار ابن الجوزي بالدمام.

١٨- «الفوائد السنية على العقيدة الواسطية»

تأليف عبد الله بن صالح القصير وهو شرح متوسط عدد صفحاته (٣٠٣ صفحة)، قدَّم له مقدمة ضافية بلغت ٥٠ صفحة.

١٩- «شرح العقيدة الواسطية»

للشيخ صالح بن فوزان الفوزان، وهو شرحٌ مُيسَّرٌ ومختصرٌ؛ يقع في (٢٢٢ صفحة)، اعتمد فيه مؤلِّفه على «التَّنبيهات السَّنيَّة» للشيخ عبدالعزيز الرشيد، و«الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية» للشيخ زيد بن عبد العزيز ابن فيَّاض، وقد طُبِعَ في مكتبة المعارف بالرياض عدة طبعات.

٢٠- «توضيح مقاصد العقيدة الواسطية»

للعلَّامة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر البراك، وأصله دروس ألقاها الشيخ عام ١٤١٤هـ في مسجد شيخ الإسلام ابن تيمية في الرياض، أعدها واعتنى بها تلميذه الشيخ عبدالرحمن بن صالح السديس وقد أذن له الشيخ في ذلك، وهو شرح متوسط، طُبع في مجلد واحد عدد صفحاته (٣٣٤ صفحة) بدار التدمرية بالرياض عام ١٤٢٧هـ.

٢١- «السبائك الذهبية بشرح العقيدة الواسطية»

للشيخ العلَّامة عبدالله بن محمد الغنيمان، اعتنى بطباعته أحد تلامذته

وهو من أسماه: (السبائك الذهبية) وقد راجع الشيخ الشرح بنفسه، وهو شرح موسع يقع في مجلد واحد عدد صفحاته (٥١٨ صفحة)، طُبع الطبعة الأولى عام ١٤٣٠هـ بدار ابن الجوزي بالدمام.

٢٢- «اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية»

لمعالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، وأصله دروس ألقاها الشيخ بين عامي ١٤١٤هـ و ١٤١٦هـ في جامع حصة السديري بالرياض، جمعها واعتنى بها تلميذه عادل بن محمد رفاعي بعد أن استأذن منه وهو من أسماها: (اللآلئ البهية)، وهو شرحٌ موسَّعٌ جدًّا طُبع في مجلدين عدد صفحاتهما (١٣٤٤ صفحة) بدار العاصمة بالرياض عام ١٤٣٠هـ.

من هنا نعلم أهميَّة هذه العقيدة؛ حيث قام بعض أهل العلم بضبطها، وآخرون بتخريج أحاديثها، وآخرون بالتعليق عليها، أو شرحها شرحًا مختصرًا، أو شرحًا مطوَّلًا؛ كل هذا خدمة للعقيدة السَّلفيَّة المتمثِّلة في «العقيدة الواسطية».

إلا أنني لم أجد من قام بخدمة شرح الشيخ خليل هرَّاس - رحمه الله - لها؛ إلا ما قام به الشيخان: عبد الرزاق عفيفي، وإسماعيل الأنصاري رحمهما الله، من مراجعة وتعليقات يسيرة.

لذلك؛ فإنَّني رغبت في أن أحظى بشرف الاعتناء بهذا الشرح، وأسأل الله أن يكون عملًا نافعًا متقبلًا عنده.

وصف النسخة الخطيَّة للمتن:

وفقني الله عزَّ وجلَّ في ضبط متن العقيدة الواسطية على اثني عشر نسخة خطية إحداها قُرئت على شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وقد طُبعت مفردةً، فاعتمدت على النص المحقق هناك وجعلته هو الأصل هنا الذي أحيل عليه في الهامش، وجعلت النص المطبوع مع الشرح كما هو(١)؛ لأنَّ الشرح تابعٌ له متمشٍّ معه، واكتفيتُ بالإشارة إلى الاختلافات المهمة التي قد يتغيَّر بها المعنى، وأعرضت عن كثير من الاختلافات التي لا جدوى من ذكرها، وقد يشوِّش إيرادها على القارئ(٢).

عملي في الكتاب:

١- اعتمدت في ضبط نص المتن على ما تقدم بيانه، كما جعلته مجموعًا في أول الكتاب وضبطتُه بالشكل حتى تسهُل قراءتُه وحفظه، ثمَّ متفرقًا حسب الشرح، ثمَّ لخصته في صفحتين آخر الكتاب.

٢- اعتمدت في ضبط نص الشرح على الطبعة الرابعة للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وطبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالسعودية عام ١٤٠٢هـ، وتتبَّعت الاختلاف بين الطبعتين - وهو قليل جدًّا -، وبيَّنت ذلك في مواضعه.

٣- أضفت تعليقات واستدراكات الشيخ العلامة محمد بن صالح

---

(١) إلا في حالات نادرة يكون ما في الأصل أضبط مما هو مطبوع مع الشرح، أو لا يستقيم المعنى إلا به، فأعتمد ما في الأصل، وبخاصة إذا لم يعتمده الشارح في الشرح.

(٢) مثل التقديم والتأخير في الآيات، وصيغ الحمدلة، والصلاة على النبي، وتكرار عبارة: (وقوله).

العثيمين أثناء الشرح خلافًا للطبعات السابقة[١].

٤- أضفت في آخر الكتاب ملحقًا لأهم مسائل العقيدة التي لم يتطرق لها شيخ الإسلام ابن تيمية في «العقيدة الواسطية»، وكذلك شارحها الشيخ محمد خليل هرَّاس.

٥- ضبطتُ الألفاظ المُشكلة والموهمة في الشرح بالشكل؛ ليسهل على القارئ فهمها.

٦- ضبطتُ الآيات، وعزوتُها إلى مواضعها من القرآن الكريم.

٧- خرَّجتُ جميع الأحاديث والآثار، فإن كان الحديث في البخاري ومسلم أو أحدهما؛ فقد أكتفي بالعزو إليهما، وإن كان في غيرهما؛ أذكر مَنْ صحَّح الحديث أو ضعَّفه من أئمة هذا الفن؛ من المتقدمين والمتأخرين. وقد أضطر أحيانًا إلى الكلام على السند بما تقتضيه الصناعة الحديثية.

٨- أحلتُ أغلب الأقوال التي نسبها الشارح لأصحابها إلى مواضعها من كتبهم أو كتب غيرهم.

٩- ترجمتُ لأهم الأعلام الذين ورد ذكرهم ولم أترجِم للمشهورين

---

(١) اطلع الشيخ ابن عثيمين على الطبعة الأولى من شرح الشيخ الهراس واستدرك عليه جملة من الاستدراكات كتبها عام ١٣٨٤هـ مبتدأ بقوله: ((وبعد، فهذا تعليقٌ على ما في شرح الشيخ محمد خليل الهراس على متن العقيدة الواسطية الطبعة الأولى، فإنَّ هذا الشرح جدير بالعناية به لأنه أحسن ما رأينا من شروحها لاختصاره ووضوحه وجمعه العلم الكثير)) انتهى.
وبمقابلة هذه التعليقات - وهي عندي بخط يد الشيخ ابن عثيمين - على طبعة الشرح التي اعتمدت عليها تبين لي أن الشيخ الهراس رحمه الله أخذ ببعضها وترك البعض الآخر، فرأيت أنَّ من الفائدة إلحاق المهم من هذه التعليقات التي تركها الشارح.

منهم؛ كالصحابة، وبعض التابعين والمتأخرين.

١٠- عرَّفتُ بجميع الفرق التي ورد ذكرها في المتن أو الشرح؛ كالجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة.. وغيرهم.

١١- علَّقتُ تعليقات يسيرة رأيت أنَّها ضرورية.

١٢- وضعت عناوين لبعض الفقرات، وذلك تيسيرًا على القارئ، وجعلتها خارج النص في أطراف الصفحات حتى لا أدخل شيئًا على النص.

١٣- وتخلُّصًا من مشكلة عدم تطابق مواضع الشرح والمتن في الطبعات السابقة للكتاب؛ فقد قسَّمتُ متن العقيدة إلى أقسام متعددة؛ كل قسم منها هو فكرة كاملة في حد ذاته، وجعلته باللون الأحمر بحيث يستطيع القارئ أن يتابع شرح كل قسم من أقسام المتن بسهولة ويسرٍ ومطابقة تامَّةً.

١٤- ترجمتُ للماتن والشارح ترجمة موجزة.

١٥- قمتُ بعمل بعض الفهارس الفنيَّة تسهيلًا للقارئ.

هذا؛ وأسأل الله العلي الكريم ربَّ العرش العظيم أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به إخواني طلبة العلم والمسلمين، وهو جهدُ المقل، «فليُمْعِنِ الناظرُ فيه النظر، وليوسع العذر؛ إنَّ اللبيب من عَذَر، ويأبى الله العصمة لكتاب غير كتابه، والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه»(١).

والله أعلم، وصلى الله على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

---

(١) من كلام الحافظ ابن رجب في مقدمة «القواعد الفقهية».

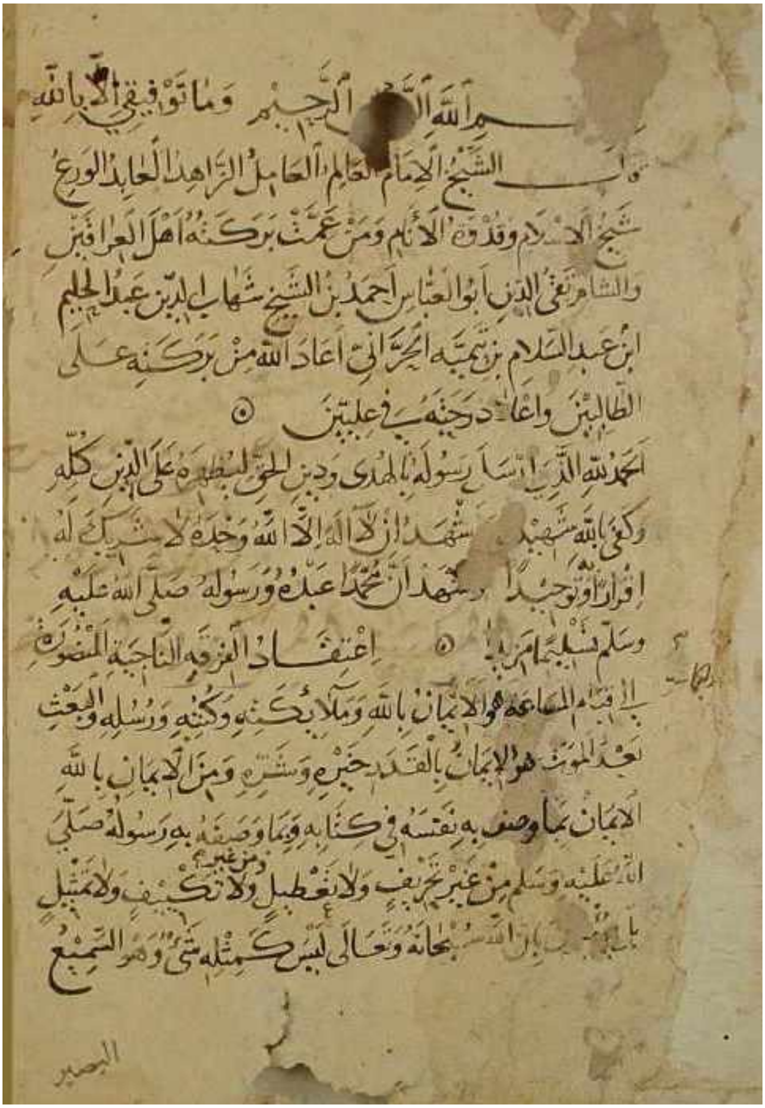

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي إلا بالله
قال الشيخ الإمام العالم العامل الزاهد العابد الورع
شيخ الإسلام وقدوة الأنام ومن عمت بركته أهل العراقين
والشام تقي الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ شهاب الدين عبد الحليم
ابن عبد السلام بن تيمية الحراني أعاد الله من بركته على
الطالبين وأعلى درجته في عليين ○
الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
وكفى بالله شهيدا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
إقرارا وتوحيدا وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه
وسلم تسليما مزيدا ○ اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة
إلى قيام الساعة هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث
بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره ومن الإيمان بالله
الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله صلى
الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل
بل يؤمنون بأن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء وهو السميع
البصير

الورقة الأولى من النسخة الخطية

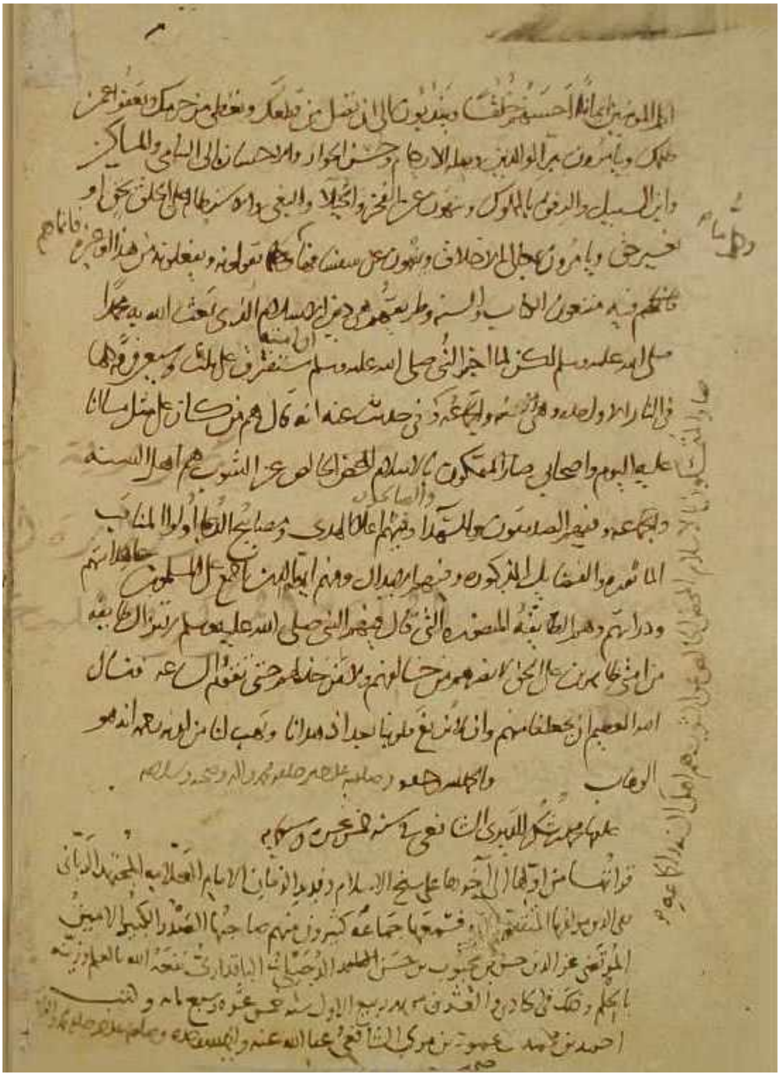

المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ويندبون إلى أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن
ظلمك ويأمرون ببر الوالدين وصلة الأرحام وحسن الجوار والإحسان إلى اليتامى والمساكين
وابن السبيل والرفق بالمملوك وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي والاستطالة على الخلق بحق أو
بغير حق ويأمرون بمعالي الأخلاق وينهون عن سفسافها وكل ما يقولونه ويفعلونه من هذا وغيره فإنما
هم فيه متبعون للكتاب والسنة وطريقتهم هي دين الإسلام الذي بعث الله به محمدا
صلى الله عليه وسلم لكن لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة
كلها في النار إلا واحدة وهي السنة والجماعة وفي حديث عنه أنه قال هم من كان على مثل ما أنا
عليه اليوم وأصحابي صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة
والجماعة وفيهم الصديقون والشهداء والصالحون ومنهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى أولو المناقب
المأثورة والفضائل المذكورة وفيهم الأبدال ومنهم الأئمة الذين أجمع المسلمون على هدايتهم
ودرايتهم وهم الطائفة المنصورة التي قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة
من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة فنسأل
الله العظيم أن يجعلنا منهم وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ويهب لنا من لدنه رحمة إنه هو
الوهاب والحمد لله وحده [illegible] محمد وآله وصحبه وسلم

[illegible] في سنة [illegible]

قرأتها من أولها إلى آخرها على شيخ الإسلام [illegible] الإمام العلامة المجتهد الرباني
[illegible] فسمعها جماعة كثيرون منهم صاحبها الصدر الكبير الأمين
المرتضى عز الدين حسن بن محبوب بن حسن [illegible] نفعه الله بالعلم وزينه
بالحلم وذلك في [illegible] من ربيع الأول سنة خمس عشرة وسبعمائة وكتب
أحمد بن محمد [illegible] الشافعي عفا الله عنه [illegible]

الورقة الأخيرة من النسخة الخطية

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعهم إلى يوم الدين

وبعد فهذا تعليق على بعض ما في شرح الشيخ محمد خليل الهراس على متن العقيدة الواسطية (الطبعة الأولى) فإن هذا الشرح جدير بالعناية به لأنه أحسن ما رأينا من شروحها لاختصاره ووضوحه وجمعه العلم الكثير.. فمن ذلك: ...

أولاً: قوله ص ٥ روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله الخ. ذكره بصيغة التمريض وهو كذلك وقد روي بعدة ألفاظ بعضها حسن

(١) ثانياً: قوله ص ٦ في تعريف الحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري فيه قصور إذ أن الحمد يكون على إحسانه وعلى أفعاله الاختيارية وعلى صفاته الذاتية اللازمة ولعل قصده الحمد بالنسبة إلى المخلوق.

ثالثاً: قوله ص ١٤ في تعريف الصحابة أنهم كل من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً ومات على ذلك مراده مؤمناً بالرسول صلى الله عليه وسلم لأن إطلاق الإيمان ينصرف إلى الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ولو قيد ذلك به لكان أحسن

(٢) رابعاً: قوله ص ١٤ والمعلوم لنا منها أي من الكتب التي أنزلت على الأنبياء أربعة الخ. الصواب أنها خمسة هذه الأربعة وصحف إبراهيم وقد تنبه المؤلف في الطبعة الثانية فقال ص ١٥ والمعلوم لنا صحف إبراهيم الخ.

(٣) خامساً: ذكر ص ١٥ بيتين في عد الأنبياء وعد منهم ذا الكفل وفيه خلاف ولم يذكر

(٤) سادساً: ذكر ص ١٦ أن النصارى ينكرون البعث الجسماني وفيه نظر بل قد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن المعاد الجسماني متفق عليه بين المسلمين

الورقة الأولى من تعليقات الشيخ العثيمين بخط يده

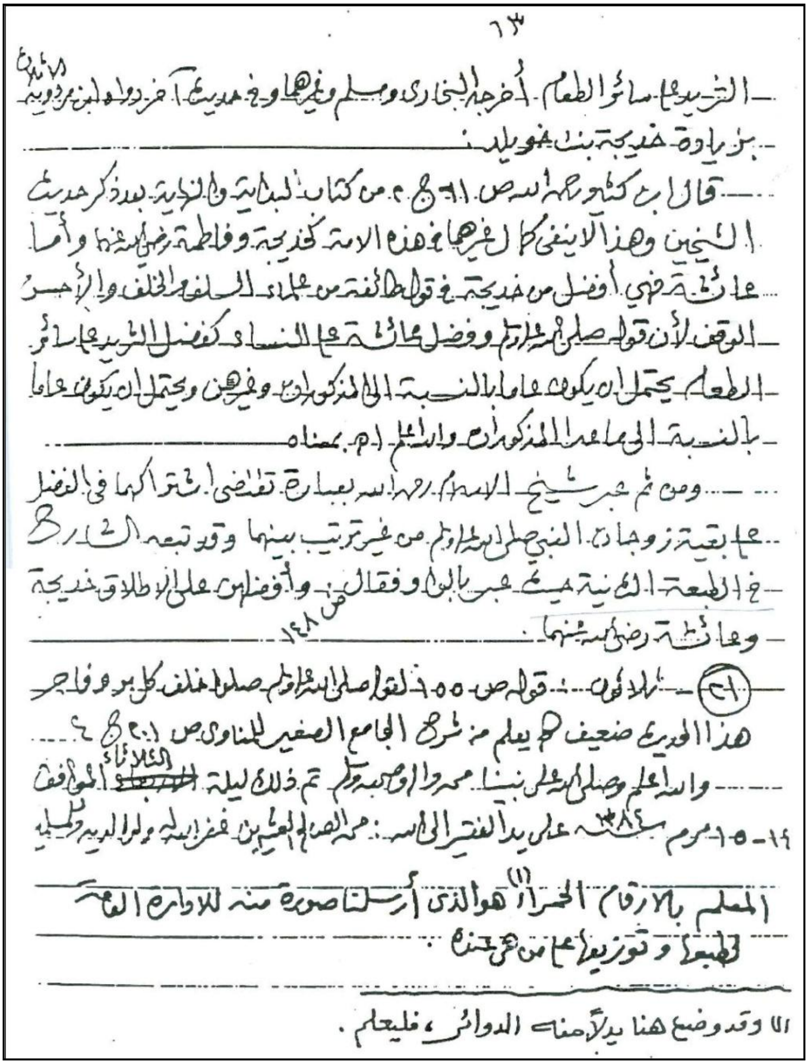
٦٣

الثريد على سائر الطعام. أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما وفي حديث آخر رواه ابن مردويه
بزيادة خديجة بنت خويلد.

قال ابن كثير رحمه الله ص ٦١١ ج ٢ من كتاب البداية والنهاية بعد ذكر حديث الشيخين: وهذا لا ينفي كمال غيرهما في هذه الأمة كخديجة وفاطمة رضي الله عنهما وأما عائشة فهي أفضل من خديجة في قول طائفة من علماء السلف والخلف والأحسن الوقف لأن قوله صلى الله عليه وسلم وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام يحتمل أن يكون عامًا بالنسبة إلى المذكورات وغيرهن ويحتمل أن يكون عامًا بالنسبة إلى ما عدا المذكورات والله أعلم. اهـ بمعناه.

ومن ثم عبر شيخ الإسلام رحمه الله بعبارة تقتضي اشتراكهما في الفضل على بقية زوجات النبي صلى الله عليه وسلم من غير ترتيب بينهما وقد تبعه الشارح في الطبعة الثانية حيث عبر بالواو فقال: وأفضلهن على الإطلاق خديجة وعائشة رضي الله عنهما. ص ١٤٨

(٢١) بلا ذلك: قوله ص ٥٥ في قوله صلى الله عليه وسلم صلوا خلف كل بر وفاجر
هذا الحديث ضعيف كما يعلم من شرح الجامع الصغير للمناوي ص ٢٠١ ج ٤

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم. تم ذلك ليلة ~~الأربعاء~~ الثلاثاء الموافق ١٢-٥-١ محرم سنة ١٣٨٤ه على يد الفقير إلى الله: محمد الصالح العثيمين غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

المعلم بالأرقام الحمراء(1) هو الذي أرسلنا صورة منه للإدارة العامة للطبع والتوزيع على من عنده.

(1) وقد وضع هنا بدلًا منها الدوائر، فليعلم.

الورقة الأخيرة من تعليقات الشيخ العثيمين بخط يده

ترجمة موجزة لشيخ الإسلام ابن تيميةَّ

نسبه ومولده:

هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله ابن تيمية الحرَّاني.

أمَّا عن لقب (تيميَّة)؛ فقد قيل: إنَّ جده الخامس محمد بن الخضر حجَّ على درب تيماء، فرأى هناك طفلة، فلما رجع وجد امرأته قد ولدت له بنتًا، فقال: يا تيمية، يا تيمية؛ نسبة إلى تيما، بلدة بالقرب من تبوك، فلُقِّب بذلك.

وقال ابن النجَّار: «ذُكِرَ لنا أنَّ جدَّه محمدًا كانت أمُّه تسميِّه تيمية، وكانت واعظة، فنسب إليها، وعُرِفَ بها»[(١)].

ولد يوم الاثنين، العاشر من شهر ربيع الأول من سنة (٦٦١هـ) بحرَّان من أرض الشام، ويلقَّب بشيخ الإسلام تقي الدين، ويكنى بأبي العباس.

أسرته:

أسرة آل تيمية من الأسر العريقة بحرَّان، وقد اشتُهِرَت بالعلم والدين:

- فجده: أبو البركات، مجد الدين، من كبار أئمة الحنابلة، ومن مؤلَّفاته «المنتقى من أخبار المصطفى» الذي شرحه الشوكاني في كتابه «نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار».

---

(١) انظر: «العقود الدُّرِّيَّة» لابن عبد الهادي (ص٤).

- ووالده: شهاب الدين، عبد الحليم، أبو المحاسن، تولَّى المشيخة بعد والده، وعلَّم ولديه أبا العبَّاس وأبا محمَّد.

- وأخوه: أبو محمد، شرف الدين، تفقَّه في المذهب الحنبلي، وبرع فيه.

شيوخه:

يقول تلميذه ابن عبد الهادي: «وشيوخه الذين سمع منهم أكثر من مئتي شيخ»(١).

ومن أشهرهم:

١- شمس الدين، أبو محمد عبد الرحمن بن قُدامة، المقدسي، المتوفى سنة (٦٨٢هـ).

٢- أمين الدين، أبو اليُمن، عبد الصمد بن عساكر، الدمشقي، الشافعي، المتوفَّى سنة (٦٨٦ هـ).

٣- شمس الدين، أبو عبد الله، محمد بن عبد القوي بن بدران، المرداوي، المتوفى سنة (٧٠٣هـ).

تلاميذه:

كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وما زال مدرسة عريقة، تتلمذ فيها في عصره كثيرٌ من العلماء، ولا يزال يتتلمذ عليها إلى يومنا هذا عبر مؤلفاته الجمُّ الغفير من العلماء وطلبة العلم.

---

(١) «العقود الدُّرِّيَّة» (ص٤).

ومن أشهر من تتلمذ على يده:

١- الحافظ يوسف بن عبدالرحمن المزي، صاحب كتاب ((تهذيب الكمال))، المتوفَّى سنة (٧٤٢هـ).

٢- شمس الدين ابن عبد الهادي المقدسي، صاحب كتاب ((المحرر))، و((الصارم المنكي))، المتوفَّى سنة (٧٤٤هـ).

٣- شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، المتوفَّى سنة (٧٤٨هـ).

٤- شمس الدين إبراهيم بن محمد ابن قيم الجوزيَّة، المتوفَّى سنة (٧٥١هـ).

٥- شمس الدين محمد ابن مفلح، صاحب كتاب ((الفروع))، و((الآداب الشرعية))، المتوفى سنة (٧٦٣هـ).

٦- عماد الدين إسماعيل بن عمر ابن كثير، صاحب ((التفسير))، المتوفَّى سنة (٧٧٤هـ).

مذهبه:

نشأ حنبليًّا، ثمَّ صار «لا يفتي بمذهب معيَّن؛ بل بما قام الدَّليل عليه عنده، ولقد نصر السنة المحضة، والطريقة السَّلفيَّة، واحتجَّ لها ببراهين ومقدِّمات وأمور لم يُسْبَق إليها، وأطلق عباراتٍ أحجم عنها الأوَّلون والآخرون وهابوا، وجسر هو عليها»[(١)].

---

(١) انظر: «الرد الوافر» (ص: ٧).

عقيدته:

يجيبنا هو عن عقيدته بقصيدة نظمها، فقال:

يا سَائِلي عن مَذْهَبِي وعَقيدَتي ... رُزِقَ الهُدَى مَنْ لِلْهِدَايَةِ يَسْأَلُ
اسْمَعْ كَلامَ مُحَقِّقٍ في قَوْلِهِ ... لَا يَنْثَنِي عَنْهُ وَلا يَتَبَدَّلُ
حُبُّ الصَّحابَةِ كُلِّهِمْ لِي مَذْهَبٌ ... ومَوَدَّةُ القُرْبَى بِهَا أَتَوَسَّلُ
ولِكُلِّهِمْ قَدْرٌ عَلا وَفضائِلُ ... لَكِنَّمَا الصِّدِّيقُ مِنْهُمْ أَفْضَلُ
وَأَقُولُ فِي الْقُرآنِ مَا جَاءَت بِهِ ... آيَاتُهُ فَهُوَ الكَرِيمُ المُنْزَلُ
وجَمِيعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ أُمِرُّهَا ... حَقًّا كَمَا نَقَلَ الطِّرَازُ الأَوَّلُ
وَأَرُدُّ عُهْدَتَهَا إِلَى نُقَّالِهَا ... وَأَصُونُهَا عَنْ كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ
قُبْحًا لِمَنْ نَبَذَ القُرَانَ وَرَاءَهُ ... وَإِذا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ الأَخْطَلُ
وَالمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ حَقًّا رَبَّهُمْ ... وإِلَى السَّمَاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ
وأُقِرُّ بالمِيزَانِ والحَوْضِ الَّذِي ... أَرْجُو بِأَنِّي مِنْهُ رِيًّا أَنْهَلُ
وَكَذَا الصِّرَاطُ يُمَدُّ فَوْقَ جَهَنَّمٍ ... فَمُسَلَّمٌ نَاجٍ وَآخَرُ مُهْمَلُ
والنَّارَ يَصْلَاهَا الشَّقِيُّ بِحِكْمَةٍ ... وَكَذَا التَّقِيُّ إِلَى الجِنَانِ سَيَدْخُلُ
ولِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ فِي قَبْرِهِ ... عَمَلٌ يُقَارِنُهُ هُنَاكَ وَيُسْأَلُ
هذَا اعتِقَادُ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ ... وَأَبِي حَنِيفَةَ ثُمَّ أَحْمَدَ يُنْقَلُ
فَإِنِ اتَّبَعْتَ سَبِيلَهُمْ فَمُوَفَّقٌ ... وإِنِ ابْتَدَعْتَ فَمَا عَلَيْكَ مُعَوَّلُ(١)

---

(١) انظر: ((جلاء العينين في محاكمة الأحمدين)) (ص٥٨).

مؤلَّفاته:

وعن مصنَّفاته يقول الذهبي: ((جمعتُ مصنفات شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد ابن تيمية رضي الله عنه، فوجدتُه ألْفَ مصنَّفٍ، ثمَّ رأيتُ له أيضًا مصنَّفات أُخَر))[(١)].

وقد صنَّف تلميذه أبو عبدالله ابن رُشيِّق المالكي (ت:٧٤٩) كتابًا سماه: ((أسماء مؤلَّفات شيخ الإسلام ابن تيمية)) [(٢)].

وكانت له اليد الطولى في حسن التَّصنيف، وجَوْدة العبارة، والترتيب، والتقسيم، والتبيين؛ شهد له بذلك خصمه ابن الزَّمَلْكَاني[(٣)].

وكان يعرف اللغة العبريَّة (اليهودية)، ويُفْهَم ذلك من قوله: ((والألفاظ العبرية تقارب العربية بعض المقاربة، كما تتقارب الأسماء في الاشتقاق الأكبر، وقد سمعتُ ألفاظ التوراة بالعبرية من مسلمة أهل الكتاب، فوجدتُ اللغتين متقاربتين غاية التقارب، حتى صرتُ أفهم كثيرًا من كلامهم العبري بمجرَّد المعرفة بالعربية)) [(٤)].

صفاته الخُلُقِيَّة والخَلْقِيَّة:

أمَّا صفاته الخُلُقية؛ فقد كانَ ذا كرم، مجبولًا عليه، لا يتصنَّعه، وكان

---

(١) انظر: ((الرد الوافر)) (ص٧٢).

(٢) انظر: ((الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية)) (ص٢٨٢)..

(٣) انظر: ((الرد الوافر)) (ص١٠٥).

(٤) ((نقض المنطق)) (ص٩٣)..

شجاعًا، زاهدًا في الدُّنيا، لا يتعلَّق منها بشيء، وكان يترك كثيرًا من المباحات خشية الوقوع في المحرَّمات.

وأمَّا صفاته الخَلْقية؛ فقد كان أبيض اللون، أسود شعر الرأس واللحية، قليل الشيب، شعره إلى شحمتي إذنيه، عيناه لسانان ناطقان، ربعة من الرجال، بعيد ما بين المنكبين، جهوري الصوت فصيحًا، سريع القراءة، تعتريه حدَّة، لكنَّه يقهرها بالحلم(١).

جهادُه:

جاهد رحمه الله بلسانه وقلمه ويده، وحارب التَّتار، وحرَّض المسلمين ضدَّهم، وتقدَّم الصفوف في وقعة (شقحب) سنة (٧٠٢هـ)، وصمد ضدهم في يوم (مرج الصُّفَّر)، ودخل على ملك التتار قازان، وكلَّمه كلامًا أثار دهشة الحاضرين لجرأته؛ كما هدَّد سلطان مصر لما كاد يسلم بلاد المسلمين للتَّتار.

ثناءُ العلماء عليه(٢):

أثنى على شيخ الإسلام أعداؤه وأقرانه قبل أصدقائه وتلامذته، حتى عدَّ ابنُ ناصر الدين الدمشقي أكثر من ثمانين عالمًا من معاصريه أثنوا عليه، وأفرد لذلك كتابه الشهير «الرد الوافر»؛ يرد فيه على محمد بن محمد العَجَمي الشهير بالعلاء البخاري المتوفَّى سنة (٨٤١هـ) الذي زعم أنَّ من قال عن

---

(١) انظر: «الدرر الكامنة» لابن حجر (١/١٥١) نقلًا عن الذهبي.

(٢) أطلت الكلام هنا إيفاء بحق هذا الإمام، وردًّا على شبه المغرضين.

ابن تيمية: شيخ الإسلام؛ فهو كافر!!

ومن هذا الكتاب استخرجتُ أقوال أشهر مشاهير علماء عصره وعصر المؤلف ابن ناصر الدين، ولم أورد ثناء تلامذته له؛ أمثال: ابن القيم، وابن كثير، وابن عبد الهادي؛ لأنَّها كثيرة ومعروفة.

فممَّن أثنى عليه خيرًا، وبيَّن منزلته من الإسلام:

١- **ابن سيِّد الناس**، صاحب «عيون الأثر في المغازي والشمائل والسير»، (ت٧٣٤هـ)؛ قال رحمه الله:

«ألفيته ممَّن أدرك من العلوم حظًّا، وكاد أن يستوعب السنن والآثار حفظًا، إن تكلَّم في التفسير؛ فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه؛ فهو مدرك غايته، أو ذاكَرَ في الحديث؛ فهو صاحب علمه وذو روايته، أو حاضر بالملل والنحل؛ لم يُرَ أوسَعَ من نِحلته في ذلك، ولا أرفع من درايته، برز في كل فنٍّ على أبناء جنسه، ولم تر عينُ مَن رآه مثله، ولا رأت عينه مثل نفسه».

٢- **شمس الدين الذهبي الشافعي المذهب**، صاحب كتاب: «سير أعلام النبلاء»، (ت٧٤٨هـ)؛ قال رحمه الله:

«هو أكبر من أن يُنَبِّه مثلي على نعوته، فلو حُلِّفتُ بين الركن والمقام؛ لحلفتُ: أني ما رأيت بعيني مثله، ولا والله ما رأى هو مثل نفسه في العلم».

وقال في موضعٍ آخر: «قرأ القرآن والفقه، وناظر واستدلَّ وهو دون البُلوغ، برع في العلم والتفسير، وأفتى ودرَّس وله نحو العشرين، وصنَّف

التصانيف، وصار من أكابر العلماء في حياة شيوخه، وله المصنَّفات الكبار التي سارت بها الركبان، ولعلَّ تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كرَّاس وأكثر، وفسَّر كتاب الله تعالى مدَّة سنين من صدره في أيام الجُمع، وكان يتوقَّد ذكاء، وسماعاته من الحديث كثيرة، وشيوخه أكثر من مئتي شيخ، ومعرفته بالتفسير إليها المنتهى، وحفظه للحديث ورجاله وصحته وسقمه، فما يلحق فيه، وأمَّا نقله للفقه، ومذاهب الصحابة والتابعين - فضلًا عن المذاهب الأربعة - فليس له فيه نظير، وأمَّا معرفته بالملل والنحل، والأصول والكلام؛ فلا أعلم له فيه نظيرًا، ويدري جملة صالحة من اللغة، وعربيَّته قويَّة جدًّا، ومعرفته بالتاريخ والسِّيَر فعجب عجيب، وأمَّا شجاعته وجهاده وإقدامه؛ فأمر يتجاوز الوصف، ويفوق النُّعوت، وهو أحد الأجواد الأسخياء الذين يُضرب بهم المثل، وفيه زهدٌ وقناعةٌ باليسير في المأكل والملبس)).

٣- تقي الدين السُّبكي الشافعي: بيَّن رحمه الله أنَّ ابن تيمية يتحقق فيه: ((كبر قدره، وزخارة بحره، وتوسعه في العلوم الشرعية والعقليَّة، وفرط ذكائه واجتهاده، وبلوغه في كلٍّ من ذلك المبلغ الذي يتجاوز الوصف..)).

إلى أن قال: ((وقدره في نفسي أعظم من ذلك وأجل، مع ما جمع الله له من الزَّهادة، والورع، والديانة، ونصرة الحق والقيام فيه لا لغرض سواه، وجريه على سنن السَّلف، وأخذه من ذلك بالأخذ الأوفى، وغرابة مثله في هذا الزمان، بل من أزمان)) ا.هـ.

٤- السُّبكي، محمد بن عبدالبر الشافعي، (ت٧٧٧هـ)؛ قال رحمه الله:

«ما يُبغض ابن تيمية إلا جاهل أو صاحب هوًى، فالجاهل لا يدري ما يقول، وصاحب الهوى يصدُّه هواه عن الحق بعد معرفته بِهِ».

٥- **كمال الدين ابن الزملكاني الشافعي**، وكان من خصومه، (ت٧٢٧هـ)؛ قال رحمه الله عن شيخ الإسلام:

«كان إذا سُئِلَ عن فن من العلم؛ ظنَّ الرائي والسامع أنَّه لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم أنَّ أحدًا لا يعرف مثله، وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه؛ استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك، ولا يُعرَف أنَّه ناظر أحدًا فانقطع معه، ولا تكلَّم في علم من العلوم - سواء كان من علوم الشرع أم غيرها - إلا فاق فيه أهله والمنسوبين إليه، لم ير من خمس مئة سنة أحفظ منه».

٦- **ابن دقيق العيد**، القشيري المالكي ثمَّ الشافعي، (ت٧٠٢هـ)؛ قال عنه رحمه الله:

«لما اجتمعتُ بابن تيمية؛ رأيت رجلًا العلوم كلها بين عينيه، يأخذ منها ما يريد، ويدع ما يريد».

٧- **البرزالي**، أبو محمد، القاسم بن محمد، الإشبيلي الأصل، الدمشقي، (ت٧٣٨هـ)؛ قال عنه:

«كان إمامًا لا يُلْحَقُ غُباره في كل شيء، وبلغ رتبة الاجتهاد، واجتمعت فيه شروط المجتهدين، وكان إذا ذكر التفسير؛ أبهت الناس من كثرة محفوظه، وحسن إيراده، وإعطائه كل قول ما يستحقُّه من التَّرجيح

والتضعيف والإبطال وخوضه في كل علم، كان الحاضرون يقضون منه العجب، هذا مع انقطاعه إلى الزهد والعبادة والاشتغال بالله تعالى والتجرُّد من أسباب الدنيا ودعاء الخلق إلى الله تعالى)).

٨- **أبو الحجَّاج المزِّي**، الدمشقي الشافعي، صاحب ((تهذيب الكمال))، (ت٧٤٢هـ)؛ قال عن شيخ الإسلام:

((ما رأيتُ مثله، ولا رأى هو مثلَ نفسه، وما رأيتُ أحدًا أعلم بكتاب الله وسنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ولا أتبع لهما منه)).

وقال مرة: ((لم يُرَ مثله منذ أربع مئة عام)).

٩- **ابن حجر العسقلاني الشافعي**، صاحب ((فتح الباري))، (ت٨٥٢هـ)؛ قال عنه:

((ومن أعجب العجب أنَّ هذا الرجل كان أعظم الناس قيامًا على أهل البدع؛ من الروافض، والحلولية، والاتِّحادية، وتصانيفه في ذلك كثيرة شهيرة،وفتاويه فيهم لا تدخل تحت حصر)).

وقال أيضًا: ((ولو لم يكن للشيخ تقيِّ الدين من المناقب إلا تلميذه الشهير الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية، صاحب التصانيف السائرة، التي انتفع بها الموافق والمخالف؛ لكان غاية في الدَّلالة على عظم منزلته، فكيف وقد شَهِدَ له بالتقدم في العلوم والتميُّز في المنطوق والمفهوم أئمةُ عصره من الشافعية وغيرهم؛ فضلًا عن الحنابلة)).

١٠- **بدر الدين العيني، الحنفي**، صاحب ((عمدة القاري شرح

صحيح البخاري)) (ت٨٥٥هـ)؛ قال عن الشيخ:

((هـو الإمـام الفاضـل البـارع، التقـي النقـي الـورع، الفـارس في علمـي الحـديث والتفسـير، والفقـه والأصـوليين بـالتقرير والتحريـر، والسـيف الصـارم على المبتـدعين، والحَـبْر القـائم بـأمور الـدين، والأمَّـار بـالمعروف والنهَّـاء عـن المنكـر، ذو همَّـة وشـجاعة وإقـدام فيمـا يـروع ويزجـر، كثير الـذكر والصـوم والصلاة والعبادة، خشن العيش والقناعة من دون طلب الزيادة، وكانـت لـه المواعيد الحسن السنيَّة، والأوقات الطيِّبة البهيَّة، مع كفِّه عن حطام الدنيا الدنيَّة، وله المصنفات المشهورة المقبولة، والفتاوى القاطعة غير المعلولة)).

وقـال منافحًـا، وذابًّـا عنـه، ذامًّـا مَـن نـال مـن عِرضِـه: ((لـيس هـو إلا كالجُعَل؛ باشـتمام الـورد يمـوت حتـف أنفـه، وكالخفَّـاش يتـأذَّى ببهـور سـناء الضوء لسوء بصره وضعفه، وليس لهم سجيَّة نقَّادة، ولا رويَّة وقَّادة، ومـا هـم إلا صلقع بلقع سلقع، والمكفر منهم صلمعة بن قلمعة، وهيـان بـن بيـان، وهي بن بيٍّ، وضل بن ضل، وضلال بن التلَّال[(١)].

ومن الشائع المستفيض أنَّ الشيخ الإمام العالم العلَّامة تقي الدين ابن تيمية من شُمِّ عرانين الأفاضل، ومن جمِّ براهين الأماثل، الذي كان له من الأدب مـآدب تغذِّي الأرواح، ومـن نخـب الكـلام لـه سـلافة تهزُّ الأعطـاف المراح، ومن يانع ثمار أفكار ذوي البراعة، طبعه المفلق في الصناعة الخالية عن وصـمة الفجـاجة والبشـاعة،وهو الكاشـف عـن وجـوه مخدَّرات المعـاني نقابها،

(١) هذه الألفاظ مثل قولهم: ((هو طامر بن طامر))؛ أي: لا يُدرى من هو؟ ولا من أبوه؟

والمفترع عرائس المباني بكشف جلبابها، وهو الذابُّ عن الدين طَعْنَ الزنادقة والملحدين، والناقد للمرويَّات عن النبي سيِّد المرسلين، وللمأثورات من الصحابة والتابعين)). اهـ

الافتراءات عليه:

كَثُرت الافتراءات على شيخ الإسلام من أعدائه المعاصرين له؛ من الصوفيَّة، وأهل الكلام، والمبتدعة، ومن بعد عصره أيضًا إلى يومنا هذا، ولكن أعجب هذه الافتراءات - والتي اتَّكأ عليها المبتدعة الخصوم - **افتراء ابن بطوطة** الرحَّال في كتابه المشهور والمعروف بـ((رحلة ابن بطوطة))، المسماة: ((تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار))؛ قال -عليه من الله ما يستحق-: ((وصلتُ يوم الخميس، التاسع من شهر رمضان المعظَّم، عام ستة وعشرين إلى مدينة دمشق الشام...)).

إلى أن قال: ((... وكان بدمشق من كبار فقهاء الحنابلة تقي الدين ابن تيمية، كبير الشام، يتكلَّم في الفنون؛ إلا أنَّ في عقله شيئًا، وكان أهل دمشق يعظِّمونه أشد التعظيم، ويعظهم على المنبر...)).

إلى أن قال: ((... فحضرتُه يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع، ويذكِّرهم، فكان من جملة كلامه أن قال: إنَّ الله ينزل إلى السماء الدُّنيا كنزولي هذا. ونزل درجة من درج المنبر، فعارضه فقيه مالكيٌّ يُعرف بابن الزهراء، وأنكر ما تكلَّم به، فقامت العامَّة إلى هذا الفقيه، وضربوه بالأيدي

والنعال ضربًا كثيرًا، حتى سقطت عمامته...›› إلى آخر كذبه وافترائه[(١)].

هذا كلامُه، وهذا افتراؤه، لذلك لما أورد هذا الكلام الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى في ‹‹شرحه للقصيدة النونية››[(٢)]؛ أعقبه بقوله: ‹‹...واغوثاه بالله من هذا الكذب الذي لم يَخَفِ اللهَ كاذبه، ولم يستحي مفتريه، وفي الحديث: ‹‹**إذا لم تستحِي؛ فاصنع ما شئت**››[(٣)].

ووضوح هذا الكذب أظهر من أن يحتاج إلى بيان، والله حسيب هذا المفتري الكذَّاب؛ فإنَّه ذكر أنَّه دخل دمشق في التاسع من شهر رمضان سنة ٧٢٦هـ، وشيخ الإسلام ابن تيمية إذ ذَّاك قد حُبِس في القلعة؛ كما ذكر ذلك العلماء الثقات؛ كتلميذه الحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادي، والحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب في ‹‹طبقات الحنابلة››؛ قال في ترجمة الشيخ من ‹‹طبقاته›› المذكور: ‹‹مكث الشيخ في القلعة من شعبان سنة ست وعشرين، إلى ذي القعدة سنة ثمانٍ وعشرين››[(٤)].

وزاد ابن عبد الهادي أنَّه دخلها في سادس شعبان[(٥)].

---

(١) انظر: ‹‹الرحلة›› (١/١٠٢، ١٠٩، ١١٠)، تحقيق الدكتور علي المنتصر الكتاني، طبع مؤسسة الرسالة.

(٢) انظر: ‹‹الشرح›› (١/٤٩٧).

(٣) رواه البخاري (٣٤٨٣)، وأوله:

‹‹إن مما أدرك الناس من كلام النبوة...›› الحديث.

(٤) انظر: ‹‹الذيل على طبقات الحنابلة›› (٢/٤٠٥).

(٥) انظر: ‹‹العقود الدُّرِّيَّة›› لابن عبد الهادي (ص: ٢١٨).

فانظر إلى هذا المفتري، يذكر أنَّه حضره وهو يعظ الناس على منبر الجامع، فيا ليت شعري! هل انتقل منبر الجامع إلى داخل قلعة دمشق؟! والحال أنَّ الشيخ رحمه الله لـمَّا دخل القلعة المذكورة في التاريخ المذكور لم يخرج منها إلا على النعش، وكذا ذكر الحافظ عماد الدين ابن كثير في «تاريخه»[(١)]. انتهى المقصود منه.

ومما يدلِّل على أنَّ ابن بطوطة كثير الكذب ما نقله في رحلته من حكايات عجيبة، حتى قال ابن خلدون بعد أن ذكر شيئًا منها: «...وأكثر ما كان يحدِّث دولة صاحب الهند، ويأتي من أحواله بما يستغربه السامعون... أمثال هذه الحكايات، فتناجى الناس بتكذيبه، ولقيت أيامئذ وزير السلطان فارس بن وردار البعيد الصيت، ففاوضته في هذا الشأن، وأريته إنكار أخبار ذلك الرجل لما استفاض الناس من تكذيبه..»[(٢)].

فابن خلدون إذًا يشكِّك في صدق ابن بطوطة بسبب غرائب أخباره التي يرويها، ولا أغرب مما نقله عن ابن تيمية.

وثَمَّ غريبةٌ أخرى في رحلته عند زيارته للهند، فقال: «ووصلنا إلى جبل

---

(١) انظر: «البداية» (١٤/١٢٣). والذي ذكره ابن كثير - نقلًا عن البرزالي - هو دخوله سادس عشر شعبان يوم الاثنين بعد العصر؛ مطابقًا لما ذكره ابن رجب. وأيًّا ما كان؛ فهو قطعًا قبل أن يدخلها هذا الرحَّالة الكذَّاب، وذلك في التاسع من رمضان، فعلى ما ذكره البرزالي وابن كثير - نقلًا - عنه؛ فإنه يكون بين دخول ابن تيمية سجن القلعة ودخول ابن بطوطة دمشق (٢٣ يومًا)، وعلى ما ذكر ابن عبد الهادي يكون بينهما (٣٣ يومًا).

(٢)انظر: «مقدمة ابن خلدون» (٢/٥٦٥)، تحقيق: علي عبد الواحد وافي.

بشاي، وبه زاوية الشيخ الصالح أطا أولياء، ... وهم يذكرون أنَّ عمره ثلاث مئة وخمسون عامًا، ولهم فيه اعتقاد حسن ... ودخلنا إليه، فسلَّمتُ عليه، وعانقني، وجسمه رطبٌ، لم أرَ ألين منه، ويظن رائيه أنَّ عمره خمسون سنة، وذكر لي أنَّه في كل مئة سنة ينبت له الشعر والأسنان...» إلى آخر غرائبه[1].

فالله أعلم كم في هذه الرحلة من اختلاق وكذب وافتراء، ورحم الله ابن تيمية رحمة واسعة، وما كيد الظالمين إلا في تباب.

محنتُه ووفاته:

كان خصوم ابن تيمية في كثير من المحن هم من يتولى القضاء في شأنه؛ من الفقهاء الذين كَبُرَ عليهم مخالفته لهم في فتاويهم وآرائهم، ومن الصوفية وأهل الكلام.

وقد سُجِن مرَّاتٍ عديدة؛ منها (سنة ٧٠٥هـ في يوم الجمعة ٢٦ رمضان)، وفي ليلة العيد نُقل إلى مكان آخر بالجب، وظلَّ حبيسًا به عامًا كاملًا، ثمَّ خرج من السجن في (يوم ٢٣ ربيع أول سنة ٧٠٧هـ).

ثم حبس مرة أخرى بسبب دعاوى بعض الصوفية، ثمَّ خرج (عام ٧٠٩هـ يوم عيد الفطر).

ثم امتُحِن مرة أخرى (عام ٧٢٦هـ)، ومُنع من الإفتاء، واعتُقل، وكان

(١) انظر: «الرحلة» (٤٦٦/١).

ذلك (يوم الجمعة ١٠ شعبان)، وظل في سجنه سنتين وأشهرًا، ومات فيه ليلة الاثنين، لعشرين من ذي القعدة، سنة (٧٢٨هـ)، وشهد جنازته من الخلائق ما لا يحصره عدٌّ، وكانت مثلًا واضحًا لقول الإمام أحمد: ((قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم شهود الجنائز)).

وهكذا مات وعمره ٦٧ سنة، وكانت حياته حافلة بالدعوة، والجهاد، والتدريس، والفتوى، والتأليف، والمناظرة، والدفاع عن منهج السَّلف، ولم يتزوَّج، ولم يتسرَّ، ولم يخلِّف مالًا.

رحم الله شيخ الإسلام رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جنانه، وجزاه الله عنَّا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

تاريخ كتابة العقيدة الواسطية:

وُلِدَ شيخ الإسلام ابن تيمية كما أسلفت سنة (٦٦١هـ)، وكتب العقيدة الواسطية قبل سنة (٦٩٩هـ)[١] أي أنَّ عمره كان آنذاك لا يتجاوز ٣٨ سنة، وسبب كتابتها أنَّ قاضيًا من واسط طلب منه كتابة عقيدة له[٢]،

---

(١) قال شيخ الإسلام: (كتبتها من نحو سبع سنين قبل مجيء التتار إلى الشام) ((مجموع الفتاوى)) (١٩٤/٣)، ومجيء التتار كان عام ٦٩٩هـ.

(٢) قال شيخ الإسلام: (كان سبب كتابتها أنه قدم علي من أرض واسطٍ بعضُ قضاة نواحيها -شيخٌ يقال له: رضي الدين الواسطي، من أصحاب الشافعي-، قدِم علينا حاجًّا، وكان من أهل الخير والدِّين، وشكا ما الناس فيه بتلك البلاد وفي دولة التَّتر؛ من غلبة الجهل والظلم، ودُروس الدِّين والعلم، وسألني أن أكتب له عقيدة تكون عمدةً له ولأهل بيته، فاستعفيتُ من ذلك، وقلتُ: قد كتب الناس عقائد متعدِّدة، فخذ بعض عقائد أئمة السُّنَّة. فألحَّ في

وخلال سبع سنوات انتشرت، ونُسخت منها نسَخٌ كثيرة[١]، ولم تكن آنذاك قد اشتهرت بهذا الاسم، بل كانت معروفة بـ (اعتقاد الفرقة الناجية) أو (اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة)، لأنَّ شيخ الإسلام بدأها بقوله: (هذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة)، ثمَّ حصل أن امتُحِنَ فيها وناظر علماء عصره أمام نائب السلطان الأفرم، وكان ذلك عام (٧٠٦) على وجه التقريب[٢]، وقد أطلق عليها شيخ الإسلام في المناظرة اسم ((العقيدة الواسطية))[٣]، ومن ذلك الحين عُرفت بهذا الاسم، فانتشرت بأسماء متعددة، ولا يُعرف مكان للأصل الذي كتبه شيخ الإسلام بيده، إلا أنَّ هناك نسخة نفيسة قرئت عليه عام ٧١٥ أي بعد كتابتها بـ ١٦ عامًا[٤] وهي أوثق نسخة للعقيدة الواسطية أمكن الحصول عليها حتى الآن وتُحقَّق لأول مرة، حيث إنَّ أقرب نسخة قوبلت وطبعت قبل هذه النسخة هي

السؤال، وقال: ما أحبُّ إلا عقيدة تكتبها أنت. فكتبت له هذه العقيدة وأنا قاعدٌ بعد العصر). ((مجموع الفتاوى)) (٣/١٦٤)

(١) قال شيخ الإسلام: (كتبتها من نحو سبع سنين ... وقد انتشرت بها نسخٌ كثيرة؛ في مصر والعراق، وغيرِهما). ((مجموع الفتاوى)) (٣/١٦٤)

(٢) وذلك لأن شيخ الإسلام قال في مناظرته لهم كما تقدم: (هذه كتبتها من نحو سبع سنين قبل مجيء التتار إلى الشام) ومجيء التتار كان عام ٦٩٩ فتكون المناظرة على وجه التقريب عام ٧٠٦.

(٣) قال رحمه الله: (أرسلت من أحضرها ومعها كراريس بخطي من المنزل فحضرت ((العقيدة الواسطية)) وقلت لهم: هذه كتبتها من نحو سبع سنين .....). ((مجموع الفتاوى)) (٣/١٦٤).

(٤) سبق الحديث عنها.

نسخة دار الكتب الظاهرية[١]، وقد نُسخت عام ٧٣٦هـ أي بعد أكثر من ٣٦ سنة من كتابتها، وبعد ٨ سنوات من وفاة شيخ الإسلام ابن تيمية، وقد كانت وفاته رحمه الله عام ٧٢٨هـ.

مواطن ترجمته[٢]:

أ – كتبٌ عامَّة:

١- «البداية والنهاية»؛ لابن كثير (٤/١٤، ٧-٢٣، ٣٦-٣٩، ٤٤، ٤٨، ٥٣-٥٥، ٦٧، ٩٧، ١٢٣، ١٣٥-١٤٠، ١٤٣).

٢- «الدرر الكامنة» لابن حجر (١/١٤٤).

٣- «البدر الطالع» للشوكاني (١/٦٣).

٤- «تذكرة الحفاظ» للذهبي (٤/١٤٩٦).

٥- «الذيل على طبقات الحنابلة» لابن رجب (٢/٣٨٧).

٦- «طبقات المفسرين» (١/٤٥).

٧- «طبقات الحفاظ» للسيوطي (ص٥٢٠).

٨- «فوات الوفيات» للكتبي (١/٧٤).

٩- «الإعلان بالتوبيخ لمن ذمَّ التاريخ» للسخاوي، تحقيق رونثال،

---

(١) وقد حقق الشيخ أشرف عبدالمقصود العقيدة الواسطية تحقيقًا متقنًا معتمدًا على هذه النسخة، ومعها ثلاث نسخ أخرى، فجزاه الله خيرًا.

(٢) هذه أهم مواطن ترجمته، سطَّرتها حثًّا لطلبة العلم على دراسة حياة شيخ الإسلام، وتسهيلًا لهم.

إشراف: صالح العلي، (ص١١١، ١٣٦، ١٣٧، ٢٩٤، ٣٠٧، ٣٥٢).

١٠- «التاج المكلَّل» لصديق حسن خان (ص٤٢٠-٤٣١).

ب- كتب خاصة:

وقد أُفرِدَت له تراجم خاصَّة قديمًا وحديثًا، ومن أهم ذلك:

١- «الرد الوافر» لابن ناصر الدين الدمشقي.

٢- «العقود الدُّرِّيَّة في مناقب ابن تيمية» لابن عبد الهادي.

٣- «الكواكب الدُّرِّيَّة في مناقب ابن تيمية» لمرعي الكرمي.

٤- «الشهادة الزكيَّة في ثناء الأئمة على ابن تيمية» لمرعي الكرمي.

٥- «ابن تيمية بطل الإصلاح الديني» لمحمود مهدي الاستانبولي.

٦- «ابن تيمية؛ حياته وعصره» لمحمد أبو زهرة.

٧- «من رجال الفكر»خاص بحياة ابن تيمية، لأبي الحسن الندوي.

٨- «لمحات من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية» لعبدالرحمن عبدالخالق.

٩- «من أعلام المجدِّدين شيخ الإسلام ابن تيمية» لصالح الفوزان.

١٠- «أوراق مجموعة من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية» للشيباني.

١١- «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون»(١) للشيخين الفاضلين: محمد عزيز شمس وعلي بن محمد العمران.

---

(١) وقد صدر عن عالم الفوائد، وهو بحق جامع لسيرته، يغني عن غيره ولا يغني غيره عنه.

ترجمة موجزة للشيخ محمد خليل هرَّاس[(١)]

- هو العلَّامة، السَّلفيُّ، المحقِّق، محمد خليل هرَّاس.

- من محافظة الغربيَّة بجمهورية مصر العربية.

- ولد بطنطا عام (١٩١٦م)، وتخرَّج من الأزهر في الأربعينات من كلية أصول الدين، وحاز على الشهادة العالمية العالية (الدكتوراه) في التوحيد والمنطق.

- عمل أستاذًا بكلِّيَّة أصول الدين في جامعة الأزهر.

- أُعير إلى المملكة العربية السعودية، ودرَّس في جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية بالرياض، ثمَّ أُعير مرَّةً أخرى، وأصبح رئيسًا لشعبة العقيدة في قسم الدِّراسات العليا في (كلية الشريعة سابقًا / جامعة أم القرى حاليًا) بمكة المكرمة.

- عاد إلى مصر، وشغل منصب نائب الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية، ثمَّ الرئيس العام لها بالقاهرة.

- وفي عام (١٩٧٣م) - قبل وفاته بسنتين - اشترك مع الدكتور عبدالفتاح سلامة في تأسيس جماعة الدعوة الإسلامية في محافظة الغربية، وكان أول رئيس لها.

- توفي رحمه الله تعالى عام (١٩٧٥م) عن عُمر يناهز الستين.

---

(١) أفادني بها الشيخان السَّلفيان عبد الرزاق عفيفي، وعبد الفتاح سلامة، وهما من معاصريه.

- كان رحمه الله سلفي المعتقد، شديدًا في الحقِّ، قويَّ الحجَّة والبيان، أفنى حياته في التعليم والتأليف ونشر السنة وعقيدة أهل السُّنَّة والجماعة.

- له مؤلفات عدة؛ منها:

١- تحقيق كتاب «المغني» لابن قدامة، وقد طُبع لأول مرة في مطبعة الإمام بمصر.

٢- تحقيق وتعليق على كتاب «التوحيد» لابن خزيمة.

٣- تحقيق وتعليق على كتاب «الأموال» لأبي عُبيد القاسم بن سلام.

٤- تحقيق ونقد كتاب «الخصائص الكبرى» للسيوطي.

٥- تحقيق وتعليق على كتاب «السيرة النبوية» لابن هشام.

٦- شرح «القصيدة النونية» لابن القيم في مجلَّدين.

٧- تأليف كتاب «ابن تيمية ونقده لمسالك المتكلمين في مسائل الإلهيات».

٨- شرح «العقيدة الواسطية» لابن تيمية، وهو كتابنا هذا.

علوي بن عبدالقادر السَّقَّاف
المشرف العام على مؤسسة الدرر السنية
saggaf@dorar.net
١٤٣٤/١/١هـ
الظهران

متن العقيدة الواسطية

/ق ١/ الحَمْدُ للهِ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا.

وأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم تسليمًا مَزِيدًا.

اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ.

هُوَ الإِيمَانُ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالإِيمَانِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ.

بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ /ق ٢/ ٱلْبَصِيرُ﴾.

فَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلَا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ، وَلَا يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى وآيَاتِهِ، (وَلَا يُكَيِّفُونَ) وَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ.

لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: لَا سَمِيَّ لَهُ، وَلَا كُفْءَ لَهُ، وَلَا نِدَّ لهُ.

ولَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلًا، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ. ثُمَّ رُسُلُه صَادِقُونَ مُصَدَّقُون؛ بِخِلَافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ.

وَلِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٨٢﴾. فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ، وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ؛ لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ بين النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ.

فَلَا عُدُولَ لأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَت بِهِ الْمُرْسَلُونَ؛ فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ والصَّالِحِينَ.

وَقَدْ دَخَلَ فِي هِذِهِ الْجُمْلَةِ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الإِخْلَاصِ الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، حَيثُ يَقُولُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

وَمَا /ق٣/ وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ؛ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾، (أَيْ: لا يُكْرِثُهُ ولا يُثْقِلُهُ).

وَلِهَذَا كَانَ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ فِي لَيْلَةٍ لَم يَزَلْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ حَافِظٌ ولَا يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّى يُصْبِحَ.

وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾، وَهُوَ ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ﴾، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ /ق ٤/ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَلَـٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٩٥﴾، ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ٩﴾، ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ٧﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ٤﴾، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾.

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾، ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ٤٣﴾، وَقَالَ: /ق٥/ ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾، ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾، ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ٣﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾، ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا

دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾، ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾، ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ /ق٦/ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾، ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾، ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾، ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾، ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾، ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾، ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ /ق٧/ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾، ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ في (ستة مواضع).

وَقَوْلِهِ: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾، ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ /ق٨/ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ۝١٦ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ۝١٧﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾ ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ ، وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾، ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ /ق٩/ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾، ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾، ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾، ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾، ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾، ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ، وَقَوْلِهِ: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ ﴾، ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ /ق١٠/ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى

وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ ، وَقَوْلِهِ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾، وهَذَا الْبَابُ فِي كِتَابِ اللهِ كَثِيرٌ. مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبَ الْهُدَى مِنْهُ؛ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ.

ثُمَّ سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ، وتُبَيِّنُهُ، وتَدُلُّ عَلَيْهِ، وتُعَبِّرُ عَنْهُ. وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ؛ وَجَبَ الإِيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ.

مِثْلُ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟)).

وَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ)) الحديث.

وَقَوْلِهِ: ((يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ؛ يَدْخُلانِ الْجَنَّةَ)).

وَقَوْلِهِ: ((عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ)).

وقَوْلِهِ: ((لا تَزَالُ /ق١١/ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا، وتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَيْهَا قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَتَقُولُ: قَطْ قَطْ)).

وقَوْلِهِ: ((يَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ لآدَمَ عليْهِ السَّلامُ: يَا آدَمُ! فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ. فَيُنَادِي بِصَوتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِن ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ)). وَقَوْلُهُ: ((مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْس بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حَاجِبٌ ولا تَرْجُمَانٌ)).

وَقَوْلِهِ فِي رُقْيَةِ الْمَرِيضِ: ((رَبَّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ: اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجعِ، فَيَبْرَأَ))، وقَوْلِهِ: ((أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ))، وَقَوْلِهِ: ((وَالْعَرْشُ فَوْقَ ذَلِك، وَاللهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ))، وَقَوْلِهِ لِلْجَارِيَةِ: ((أَيْنَ اللهُ؟)). قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: ((مَنْ أَنَا؟)). قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ. قَالَ: ((أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ)). وَقَوْلِهِ: ((إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاةِ؛ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ، فَلَا يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ؛ وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ))، وَقَوْلِهِ: ((اللهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ (وَرَبَّ الأَرْضِ) وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ /ق١٢/ مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ

شَيءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ؛ اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ، وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ)). وَقَوْلِهِ لَمَّا رَفَعَ أَصْحَابُهُ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ: ((أَيُّهَا النَّاسُ! ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا. إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ)).

وَقَوْلِهِ: ((إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن لَّا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا؛ فَافْعَلُوا)).

إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَن رَّبِهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ؛ فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ؛ كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ؛ بَلْ هُمُ الْوَسَطُ فِي فِرَقِ الأُمَّةِ؛ كَمَا أَنَّ الأمَّةَ هِيَ الْوَسَطُ فِي الأُمَمِ.

فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الْجَهْمِيَّةِ، وَبَيْنَ أَهْلِ التَّمْثِيلِ الْمُشَبِّهَةِ.

وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللهِ بَيْنَ الْقَدَرِيَّةِ وَالْجَبْرِيَّةِ.

وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللهِ بَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وَبَيْنَ الْوَعِيدِيَّةِ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ.

وَفِي بَابِ الإِيمَانِ والدِّينِ بَيْنَ الحَرُورِيَّةِ و المُعْتَزِلَةِ، وَبَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ.

وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَينَ الرَّوَافِضِ /ق١٣/ وَبَيْنَ الْخَوَارِجِ.

وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ الإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، وَتَوَاتَرَ عَن رَّسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ؛ مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، عَلَى عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا، يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ؛ كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ؛ فَإِنَّ هَذَا لَا تُوجِبُهُ اللُّغَةُ، وهو خِلَافُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ، وَخِلَافُ مَا فَطَرَ اللهُ عَلَيْهِ الخَلْقَ، بَلِ الْقَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، ثُمَّ هُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ الْمُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ العَرْشِ، رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ، مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ، مُطَّلِعٌ إِليهم، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِن مَّعَانِي الرُّبُوبِيَّةِ. وَكُلُّ هَذَا الْكَلامِ الَّذِي ذَكَرَهُ -مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا- حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ.

وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ الإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ خَلْقِهِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: /ق١٤/ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُم مِّن عُنُقِ رَاحِلَتِهِ)). وَمَا ذُكِرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لَا يُنَافِي مَا

(ذُكِرَ) مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ، وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ.

وَمِنَ الإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ الإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلامُ اللهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، (مُنَزَّلٌ)، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ كَلامُ اللهِ حَقِيقَةً، لَا كَلامَ غَيْرِهِ. وَلا يَجُوزُ إِطْلاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلَامِ اللهِ، أَوْ عِبَارَةٌ عَنْهُ؛ بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ؛ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلامَ اللهِ حَقِيقَةً، فَإِنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ (تَكَلَّمَ بِهِ) مُبْتَدِئًا، لَا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا.

وَقَدْ دَخَلَ أَيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ: الإِيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ، كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ. يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ /ق١٥/ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ؛ كَمَا يَشَاءُ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى.

وَمِنَ الإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الآخِرِ الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ ونَعِيمِهِ. فَأَمَّا الْفِتْنَةُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَيُقَالُ للرَّجُلِ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَن نَبِيُّكَ؟ فيُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ، فَيَقُولُ الْمؤْمِنُ: اللهُ رَبِّي، وَالإِسْلَامُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّي. وَأَمَّا الْمُرْتَابُ؛ فَيَقُولُ: آهْ آهْ، لَا أَدْرِي،

سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ، فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ؛ إِلَّا الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ؛ لَصَعِقَ. ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ، إِلَى يَوم الْقِيَامَةِ الْكُبْرَى، فَتُعَادُ الأَرْوَاحُ إِلَى الأَجْسَادِ.

وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ. فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ، وَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، فَيُوزَنُ فِيهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾. وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَهِيَ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ، فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ (أَوْ) مِن وَّرَاءِ ظَهْرِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: /١٦ق/ ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾.

وَيُحَاسِبُ اللهُ الخَلْقَ، وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ؛ كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. وَأَمَّا الْكُفَّارُ؛ فَلا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ بِسَيِّئَاتِهِ؛ فَإِنَّهُم لَا حَسَنَاتٍ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدَّدُ أَعْمَالُهُمْ، وَتُحْصَى، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا وَيُقَرَّرُونَ بِهَا، وَيُجْزَوْنَ بِهَا.

وَفِي عَرَصَةِ الْقِيَامَةِ الْحَوضُ الْمَوْرُودُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ماؤُه أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، وآنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً؛ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا.

وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ كَلَمْحِ الْبَصَرِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالرِّيحِ، ومِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَرِكَابِ الإِبِلِ، ومِنْهُم مَن يَعْدُو عَدْوًا، وَمِنْهُم مَن يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُم مَن يَزْحَفُ زَحْفًا، وَمَنْهُم مَن يُخْطَفُ فَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ الْجِسْرَ عَلَيْهِ كَلَالِيبُ تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ. فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ؛ وَقَفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِم من بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا؛ أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ.

وَأَوَّلُ مَن يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَوَّلُ مَن يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الأُمَمِ أُمَّتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَلَه فِي الْقِيَامَةِ ثَلاثُ شَفَاعَاتٍ: أَمَّا الشَّفَاعَةُ الأُوْلَى؛ فَيَشْفَعُ لأَهْلِ الْمَوْقِفِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الأَنْبِيَاءُ: آدَمُ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ -عَلَيْهِمْ مِنَ اللهِ السَّلامُ- الشَّفَاعَةَ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ. وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ /ق١٧/الثَّانِيَةُ؛ فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَن يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ. وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ. وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ؛ فَيَشْفَعُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهِمْ، يَشْفَعُ فِيمَن

اسْتَحَقَّ النَّارَ أَلَّا يَدْخُلَهَا، وَيَشْفَعُ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَن يَخْرُجَ مِنْهَا. وَيُخْرِجُ اللهُ مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغِيرِ شَفَاعَةٍ؛ بَلْ بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، وَيَبْقَى فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُنْشِئُ اللهُ لَهَا أَقْوَامًا فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ.

وَأَصْنَافُ مَا تَتَضَمَّنُهُ الدَّارُ الآخِرَةُ مِنَ الْحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَتَفَاصِيلُ ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَ الأَثَارَةِ مِنَ الْعِلْمِ الْمَأْثُورَةِ عَنِ الأَنْبِيَاءِ، وَفِي الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَن مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَنِ ابْتَغَاهُ وَجَدَهُ.

وَتُؤْمِنُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. وَالإِيمَانُ بِالْقَدَرِ عَلَى دَرَجَتَيْنِ؛ كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ. فَالدَّرَجَةُ الأُولَى: الإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ عَلِمَ مَا الخَلْقُ عَامِلُونَ بِعِلْمِهِ الْقَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلًا وَأَبَدًا، وَعَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِم مِّنَ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي وَالأَرْزَاقِ وَالآجَالِ، ثُمَّ كَتَبَ اللهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الخَلائِقِ. فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ فقَالَ لَهُ: اكْتُبْ. فقَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. فَمَا أَصَابَ الإِنْسَانَ لَمْ يَكُن لِّيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُن لِّيُصِيبَهُ، جَفَّتِ الأَقْلامُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾، وَقَالَ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى /ق١٨/ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا: فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا

شَاءَ. وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الْجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ؛ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، (بِكَتْبِ) رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ.. وَنَحْوِ ذَلِكَ. فَهَذَا الْقَدَرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلاةُ الْقَدَرِيَّةِ قَدِيمًا، وَمُنْكِرُهُ الْيَوْمَ قَلِيلٌ.

وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ؛ فَهِيَ مَشِيئَةُ اللهِ النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ، وَهُوَ: الإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، (وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ)، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلَا سُكُونٍ؛ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، لَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ إِلَّا مَا يُرِيدُ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ، فمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي السَّمَاوات وَلَا فِي الأَرْضِ إِلَّا اللهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ وتَعالَى، لا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ. وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَمَرَ اللهُ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَن مَّعْصِيَتِهِ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ، وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ، وَلَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، وَلَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ، وَلَا يُحِبُّ الْفَسَادَ.

وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَاللَّهُ خَالِقُ أَفْعَالِهِم. وَالْعَبْدُ هُوَ: الْمُؤْمِنُ، وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ، وَالْفَاجِرُ، وَالْمُصَلِّي، وَالصَّائِمُ. وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلَهُمْ إِرَادَةٌ، وَاللهُ خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ قُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ؛ كَمَا قَالَ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

وَهَـذِهِ الدَّرَجَـةُ مِـنَ الْقَـدَرِ يُكَـذِّبُ بِهَـا عَامَّـةُ الْقَدَرِيَّـةِ الَّـذِينَ سَمَّـاهُمُ (السَّلَفُ): مَجُوسَ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَيَغْلُو فِيهَا قَومٌ مِنْ أَهْلِ الإِثْبَاتِ، حَتَّى يَسْلُبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ، وَيُخْرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللهِ وَأَحْكَامِهِ حِكَمَهَا وَمَصَالِحَهَا.

وَمِنْ أُصُولِ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ أَنَّ الدِّينَ وَالإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، قَوْلُ الْقَلْبِ /ق١٩/ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ. وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ.

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ؛ كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ بَلِ الأُخُوَّةُ الإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: فِي آيَةِ الْقِصَاصِ ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، وَقَالَ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

وَلا يَسْلُبُونَ الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ اسْمَ الإِيمَانِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَلَا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ؛ كَمَا تَقُولُهُ الْمُعْتَزِلَةُ. بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ؛ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾، وَقَدْ لَا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ الْمُطْلَقِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، وَقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، (وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ)، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ

مُؤْمِنٌ)). وَيَقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، فَلَا يُعْطَى الاسْمَ الْمُطْلَقَ، وَلَا يُسْلَبُ مُطْلَقَ الاسْمِ.

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾، وَطَاعَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ: ((لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ)). وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ أَوِ السُّنَّةُ أَوِ الإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ /ق٢٠/ وَمَرَاتِبِهِمْ. فَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ - وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ - وَقَاتَلَ، عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ. وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الأَنْصَارِ. وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ قَالَ لأَهْلِ بَدْرٍ - وَكَانُوا ثَلاثَ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ-: ((اعْمَلُوا مَا شِئْتُم فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ)). وَبِأَنَّهُ ((لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ))؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَلْ قَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مائَةٍ. وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَالْعَشَرَةِ، وَكَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بنِ شَمَّاسٍ، وَغَيْرِهِم مِنَ الصَّحَابَةِ.

وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه وَغَيْرِهِ؛ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ.

وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ، وَكَمَا أَجْمَعَتْ الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ. مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدِ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ، أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ: وَسَكَتُوا، أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّم قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا. لَكِنِ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، (ثُمَّ عَلِيٍّ). وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ - مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ - لَيْسَتْ مِنَ الأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ. لَكِنَّ الـمَسْأَلَةَ الَّتِي يُضَلَّلُ الـمُخَالِفُ فِيهَا: مَسْأَلَةُ الْخِلَافَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ. وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِّنْ هَؤُلاءِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ.

وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: ((أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي)). وَقَدْ قَالَ أَيْضًا لِلْعَبَّاسِ عَمِّه - وَقَد شَكَى إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ - فَقَالَ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ؛ للهِ وَلِقَرَابَتِي)). وَقَالَ: ((إِنَّ اللهَ اصْطَفَى /ق٢١/ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ)).

وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، ويُقِرُّونَ بِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الآخِرَةِ: خُصُوصًا خَدِيجَةَ أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلَادِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ (وَعَاضَدَهُ) عَلَى أَمْرِهِ، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ المَنْزِلَةُ العَالِيَةُ. وَالصِّدِّيقَةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ، الَّتِي قَالَ فِيهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ)).

(وَيَتَبَرَّؤونَ) مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ، وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ. وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِئِهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ، وَ (عَامَّةُ) الصَّحِيحِ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ: إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ. وَهُم مَّعَ ذَلِكَ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَلْ تَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ. وَلَهُم مِّنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ -إِنْ صَدَرَ-، حَتَّى إِنَّهُ يُغْفَرُ لَهُم مِّنَ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لأَنَّ لَهُم مِّنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ. وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ، وَأَنَّ الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّن بَعْدَهُمْ.

ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ عَنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَو غُفِرَ لَهُ؛ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ الَّذِين هُمْ أَحقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوِ ابْتُلِيَ بِبَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ. فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ فِي الْأُمُورِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ: إِنْ أَصَابُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَؤُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالْخَطَأُ مغْفُورٌ. ثُمَّ الْقَدْرُ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْمُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ؛ مِنَ الإِيمَانِ /ق ٢٢/ بِاللهِ، وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ. وَمَن نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ (وَعَدْلٍ) وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللهُ عَلَيْهِم بِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ؛ لَا كَانَ، وَلا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُمْ هُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّة الَّتِي هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ.

ثُمَّ مِنْ طَرِيقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَاتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَيثُ قَالَ: ((عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ)). وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلامِ كَلامُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيُؤْثِرُونَ كَلَامَ اللهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ كَلامِ أَصْنَافِ النَّاسِ، وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ. وَبِهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَسُمُّوا أَهْلَ الْجَمَاعَةِ؛ لأَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ الاِجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا الْفُرْقَةُ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الْجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ الْقَوْمِ الْمُجْتَمِعِينَ. (وَالإِجْمَاعُ) هُوَ الأَصْلُ

الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الْعِلْمِ وَالدين. فَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِهِ الأُصُولِ الثَّلاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ وَظَاهِرَةٍ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ. (وَالإِجْمَاعُ) الَّذِي يَنْضَبِطُ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ؛ إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الاخْتِلَافُ، وَانْتَشَرَتِ الأُمَّةُ.

ثُمَّ هُمْ مَّعَ هَذِهِ الأُصُولِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَونَ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ: وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَالْجُمَعِ وَالأَعْيَادِ مَعَ الأُمَرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا، وَيُحَافِظُونَ عَلَى الْجَمَاعَاتِ، وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلأُمَّةِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ؛ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ)). وَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الوَاحِدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ)). وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عَلَى الْبَلاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ، وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ. وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ، وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: /ق ٢٣/ ((أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا)). وَيَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ. وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالإِحْسَانِ إِلَى الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفْقِ بِالْمَمْلُوكِ. وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَخْرِ، وَالْخُيَلاءِ، وَالْبَغْيِ، وَالاسْتِطَالَةِ عَلَى الْخَلْقِ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ. وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الأَخْلَاقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا. وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا أَوْ غَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ

فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، (وَطَرِيقُهُمْ) هِيَ دِينُ الإِسْلَامِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ كُلُّهَا فِي النَّارِ؛ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ السُّنَّةُ و الْجَمَاعَةُ، (صَارَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِالإِسْلَامِ الْمَحْضِ الْخَالِصِ عَنِ الشَّوْبِ هُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ)، وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: ((هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ (الْيَومَ) وَأَصْحَابِي)).

وَفِيهِمُ الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصَّالِحُونَ، وَفِيهِمْ أَعْلَامُ الْهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجى، أُولو الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ، وَالْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ، وَفِيهِمُ الأَبْدَالُ (وَمِنْهُمْ أَئِمَّةُ الدِّينِ) (الَّذِينَ) أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ، وَهُمُ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ الَّتِي قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُم مَّنْ خَالَفَهُمْ، وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ؛ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ))، فنسْأَلُ اللهَ العَظِيمَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ، وَأَلَّا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، ويَهَبَ لَنَا مِن لَّدُنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَ الوَهَّابُ.

شرح العقيدة الواسطية

مقدمة الشارح

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمَّدٍ، عبد الله ورسوله، وعلى آله وصحبه ومَن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

فلما كانت ((العقيدة الواسطية)) لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من أجمع ما كُتِبَ في عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، مع اختصارٍ في اللفظة، ودِقَّة في العبارة، وكانت تحتاج في كثير من مواضعها إلى شرح يجلِّي غوامضها، ويزيح الستار عن مكنون جواهرها، ويكون مع ذلك شرحًا بعيدًا عن الإسهاب والتطويل والإملال بكثرة النُّقول، حتى يلائم مدارك الناشئين، ويعطيهم زبدة الموضوع في سهولة ويسر؛ فقد استخرتُ الله تبارك وتعالى، وأقدمتُ على هذا العمل؛ رغم كثرة الشواغل، وزحمة الصوارف؛ سائلًا الله عزَّ وجلَّ أن ينفع به كل من قرأه، وأن يجعله خالصًا لوجهه؛ إنَّه قريبٌ مجيبٌ.

محمد خليل هرَّاس

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)(١)

[البسملة] اختلف العلماء في البسملة؛ هل هي آية من كل سورة افتُتِحت بها؟ أو هي آية مستقلة أُنزلت للفصل بها بين السور وللتبرُّك بالابتداء بها(٢)؟

والمختار: القول الثاني.

واتَّفقوا على أنَّها جزء آية من سورة النمل، وعلى تركها في أول سورة براءة؛ لأنَّها جُعِلَت هي والأنفال كسورة واحدة.

والباء في ((بِسْمِ)) للاستعانة، وهي متعلقة بمحذوف، قدَّره بعضهم فعلًا، وقدَّره بعضهم اسمًا، والقولان متقاربان، وبكلٍّ ورد في القرآن؛ قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١]. وقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [هود: ٤١].

ويحسن جعل المقدَّر متأخرًا؛ ((لأنَّ الاسم أحق بالتقديم، ولأنَّ تقديم الجار والمجرور يفيد اختصاص الاسم الكريم بكونه متبركًا به، والاسم هو اللفظ الموضوع لمعنى تعيينًا له أو تمييزًا)).

واختُلِفَ في أصل اشتقاقه، فقيل: إنَّه من السِّمة؛ بمعنى: العلامة. وقيل: من السمو. وهو المختار.

وهمزته همزة وصل.

---

(١) زيادة ليست في الأصل.

(٢) حرَّر هذه المسألة الشيخ أحمد شاكر تحريرًا مطولًا في ((الجامع الصحيح)) للترمذي (٢/١٦-٢٥)؛ خلص فيه إلى أن البسملة آية من كل سورة سوى براءة.

وليس الاسم نفس المسمَّى؛ كما زعم بعضهم، فإنَّ الاسم هو اللفظ الدَّالُّ، والمسمَّى هو المعنى المدلول عليه بذلك الاسم.

وليس هو كذلك نفس التسمية؛ فإنَّها فعل المسمِّي؛ يقال: سميتُ ولدي محمدًا؛ مثلًا.

وقول بعضهم: إنَّ لفظ الاسم هنا مُقْحَمٌ؛ لأنَّ الاستعانة إنَّما تكون بالله عزَّ وجلَّ لا باسمه. ليس بشيء؛ لأنَّ المراد ذكر الاسم الكريم باللسان؛ كما في قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١].

أي: سبِّحْهُ ناطقًا باسم ربك، متكلِّمًا به، فالمراد التبرُّك بالابتداء بذكر اسمه تعالى.

[اسم: الله] واسم الجلالة؛ قيل: إنَّه اسم جامدٌ غير مشتقٍّ؛ لأنَّ الاشتقاق يستلزم مادة يُشْتَقُّ منها، واسمه تعالى قديم، والقديم لا مادَّة له، فهو كسائر الأعلام المحْضَة، التي لا تتضمَّن صفاتٍ تقوم بمسمَّياتِها. والصحيح أنَّه مشتقٌّ.

واختُلِفَ في مبدأ اشتقاقه، فقيل: من أَلَهَ يَأْلَهُ أُلوهَةً وإِلاهَةً وأُلوهِيةً؛ بمعنى: عبدَ عِبَادةً.

وقيل: من أَلِهَ - بكسر اللام - يَأْلَهُ - بفتحها - أَلَهًا؛ إذا تحيَّر.

والصحيح الأوَّل، فهو إلهٌ؛ بمعنى مأْلوهٍ؛ أي: معبود. ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: «اللهُ ذُو الإلهيةِ والعُبودية على خلقه أجمعين»[١].

---

(١) روى هذا الأثر ابن جرير في تفسير البسملة، وقال الشيخ أحمد شاكر: «إسناد هذا الخبر ضعيف». انظر: «تفسير الطبري»، تحقيق: أحمد شاكر (١/١٢٣).

وعلى القول بالاشتقاق يكون وصفًا في الأصل، ولكن غَلَبَتْ عليه العَلَمِيَّة، فتجري عليه بقية الأسماء أخبارًا وأوصافًا؛ يقال: الله رحمنٌ رحيمٌ سميعٌ عليمٌ؛ كما يقال: الله الرَّحمن الرَّحيم... إلخ.

[الرحمن الرحيم] و ((**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**)): اسمان كريمان من أسمائه الحسنى، دالَّان على اتِّصافه تعالى بصفة الرحمة، وهي صفة حقيقيَّة له سبحانه، على ما يليق بجلاله، ولا يجوز القول بأنَّ المراد بها لازمها؛ كإرادة الإحسان ونحوه؛ كما يزعم المعطلة، وسيأتي مزيد بيان لذلك إن شاء الله.

واختُلِفَ في الجمع بينهما:

فقيل: المراد بـ (**الرَّحْمَنِ**) الذي وسعت رحمته كلَّ شيء في الدنيا؛ لأنَّ صيغة (فَعْلان) تدلُّ على الامتلاء والكثرة، و(**الرَّحِيمِ**) الذي يختصُّ برحمته المؤمنين في الآخرة.

وقيل العكس.

وقد ذهب العلَّامة ابن القيم رحمه الله إلى أنَّ (الرحمن) دالٌّ على الصفة القائمة بالذات، و(الرحيم) دالٌّ على تعلُّقها بالمرحوم، ولهذا لم يجئ الاسم الرحمن متعدِّيًا في القرآن؛ قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب:٤٣]. ولم يقل: رحمانًا.

وهذا أحسن ما قيل في الفرق بينهما.

وروي عن ابن عباس أنَّه قال: ((هما اسمان رقيقان؛ أحدهما أرقُّ من

الآخر))[١].

ومنع بعضهم كون (الرحمن) في البسملة نعتًا لاسم الجلالة؛ لأنَّه عَلَمٌ آخر لا يُطلق على غيره، والأعلام لا يُنْعَتُ بها.

والصحيح أنَّه نعتٌ له باعتبار ما فيه من معنى الوصفية، فـ(الرحمن) اسمه تعالى ووصفه، ولا تُنافي اسميَّتُهُ وصفيَّتَهُ، فمن حيث هو صفةٌ جرى تابعًا على اسم الله، ومن حيثُ هو اسمٌ ورد في القرآن غير تابع، بل ورود الاسم العلم؛ كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢﴾ [الرحمن: ١-٢].

(الحَمْدُ لله الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا).

---

(١) (موضوع). رواه البيهقي في ((الأسماء والصفات)) (ص٧١)، وهو مسلسَلٌ بالكذابين، فقد رواه محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس به. قال الحافظ ابن حجر في ((فتح الباري)) (٣٧١/١٣): (لا يثبت، لأنه من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه والكلبي متروك الحديث وكذلك مقاتل)، وقال السيوطي في ((الإتقان)) (٢٤٢/٢): ((وأوهى طرقه - يعني: تفسير ابن عباس - طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، فإذا انضمَّ إلى ذلك رواية محمد بن مروان السُّدِّي الصغير؛ فهي سلسلة الكذب)).

وروى البيهقي في ((الجامع لشعب الإيمان)) (٢٩٩/٥) عن مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعًا: ((... فإذا قال العبد: بسم الله الرحمن الرحيم؛ قال الله عزَّ وجلَّ: عبدي دعاني باسمين رقيقين؛ أحدهما أرقُّ من الآخر، فالرحيم أرق من الرحمن، وكلاهما رقيقان)). قال البيهقي: ((وقوله: (رقيقان)؛ قيل: هذا تصحيف وقع في الأصل، وإنما هما: (رفيقان)، والرفيق من أسماء الله تعالى)). ومقاتل بن سليمان متهم بالكذب، والضحاك لم يسمع من ابن عباس.

((الحَمْدُ للهِ)): روي[(١)] عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: ((كلُّ كلامٍ لا يُبْدَأُ فيه بحمد الله والصلاة عليَّ؛ فهو أقطع، أبتر، ممحوق البركة))[(٢)].

وورد مثل ذلك في البسملة.

ولهذا جمع المؤلف بينهما عملًا بالروايتين، ولا تعارُض بينهما؛ فإنَّ الابتداء قسمان: حقيقي وإضافي، والحمد ضدُّ الذَّمِّ. يُقال: حمدتُ الرجل أحْمَدُهُ حمدًا ومَحْمَدًا ومَحْمَدَةً، فهو محمودٌ وحميدٌ.

[الفرق بين الحمد والشكر]

ويقال: حمَّد الله – بالتشديد –: أثنى عليه المرة بعد الأخرى، وقال: الحمد لله.

والحمد: هو الثناء باللسان على الجميل الاختياريِّ، نعمةً كانَ أو

---

(١) (ذكره بصيغة التمريض وهو كذلك، وقد روي بعدة ألفاظ بعضها حسن). (ابن عثيمين)

(٢) رواه بهذا اللفظ الديلمي في ((مسند الفردوس)) (٣/٢٤٦) (٤٧٢٦)، وضعفه: ابن حجر في ((نتائج الأفكار)) (٣/٢٨١)، والسخاوي في ((الأجوبة المرضية)) (١/٢٠٣)، والألباني في ((ضعيف الجامع)) (٤٢١٨)، وأورده بلفظ: ((ممحوق من كل بركة)) في ((السلسلة الضعيفة)) وقال عنه: (موضوع).

ورواه بلفظ: (كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد أقطع) أو قريبًا منه: أحمد في ((المسند)) (٨٧١١)، وأبو داود في ((السنن)) (٤٨٤٠)، وابن ماجه في ((السنن)) (١٨٩٤)، وغيرهم.

وحسَّنه جمع من العلماء منهم: النووي في ((الأذكار)) رقم (٣٣٩)، وابن حجر في ((الفتوحات الربانية)) (٣/٢٨٦)، وابن الملقن في ((شرح البخاري)) (٢/١٢١)، وضعفه آخرون، قال الشيخ ابن باز في ((مجموع فتاوى ومقاولات)) (٢٥/١٣٥): (ضعفه بعض أهل العلم والأقرب أنه من باب الحسن لغيره) .

غيرها؛ يقال: حمدتُ الرجلَ على إنعامه، وحمدتُه على شجاعته[١].

وأمَّا الشكر؛ فعلى النعمة خاصة، ويكون بالقلب واللسان والجوارح؛ قال الشاعر:

أَفَـادَتْكُمُ النَّعْمَـاءُ مِـنِّي ثَلَاثَـةً   يَـدِي وَلِسَـانِي وَالضَّـمِيْرَ الـمحَجَّبا

وعلى هذا؛ فبين الحمد والشكر عمومٌ وخصوصٌ من وجه، يجتمعان في الثناء باللسان على النعمة، وينفردُ الحمد في الثناء باللسان على ما ليس بنعمة من الجميل الاختياريِّ، وينفردُ الشكر بالثناء بالقلب والجوارح على خصوص النعمة.

فالحمد أعمُّ متعلَّقًا، وأخصُّ آلةً، والشكر بالعكس.

[الفرق بين الحمد والمدح]

وأمَّا الفرق بين الحمد والمدح؛ فقد قال ابن القيم: ((إنَّ الحمدَ إخبارٌ عن محاسن الـمحمود، مع حبه، وتعظيمه، فلا بدَّ فيه من اقتران الإرادة بالخير؛ بخلاف المدح؛ فإنَّه إخبار مجرَّدٌ))[٢].

ولذلك كان الـمدحُ أوسَعَ تناولًا؛ لأنَّه يكون للحيِّ والـميِّت وللجماد أيضًا.

و((ال)) في الحمد للاستغراق؛ ليتناول كل أفراد الحمد الـمحَقَّقَة

(١) (فيه قصور إذ إن الحمد لله يكون على إحسانه وعلى أفعاله الاختيارية وعلى صفاته الذاتية اللازمة ولعل قصده الحمد بالنسبة إلى المخلوق). (ابن عثيمين)

(٢) ((بدائع الفوائد)) (٢/٩٣).

والـمقَدَّرَة، وقيـل: للجنس، ومعنـاه[1]: «أنَّ الحمـد الكامـل ثابـتٌ لله، وهـذا يقتضي ثبوتَ كُلِّ ما يُحْمَدُ عليه من صفات كماله ونعوت جماله؛ إذ مَنْ عَـدِمَ صِفات الكمـال؛ فلـيس بمحمـود على الإطـلاق، ولكـن غايتـه [أنَّـه محمودٌ من وجهٍ دون وجهٍ، ولا][2] يكون محمودًا من كل وجه وبكل اعتبار بجميع أنواع الحمد؛ إلا مَن حاز صفات الكمال جميعها، [فلو عَدِمَ منها صفة واحدة؛ لنقص من حمده بسببها][3]».

الرسول في اللغة هو مَن بُعِثَ بالرسالة؛ يقال: أرسله بكذا؛ إذا طلب إليه تأديته وتبليغه. وجمعه: رُسْل – بسكون السين – ورُسُل، بضمها .

وفي لسـان الشـرع: إنسانٌ، ذكرٌ، حرٌّ، أُوحِيَ إليه بشرعٍ، وأُمِرَ بتبليغه. فإن أوحِيَ إليه، ولم يؤمر بالتبليغ؛ فهو نبيٌّ. فكلُّ رسولٍ نبيٌّ، ولا عكس، فقد يكون نبيًّا غير رسول[4].

[الفرق بين الرسول والنبي]

والـمراد بالرسول الـمضاف إلى ضـمير الرب هنا مُحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) الكلام من قوله: ((ومعناه...)) لابن القيم من كتابه «مدارج السالكين» (١/٦٤).

(٢) زيادة يقتضيها السياق، سقطت من نقل الشارح لها من كتاب «مدارج السالكين».

(٣) تتمة كلام الحافظ ابن القيم.

(٤) هذا هو القول المشهور عند العلماء، وهناك أقوال أخرى: قيل: إنَّ الرسول الذي أُرسل إلى الخلق بإرسال جبريل إليه عيانًا ومحاورته شفاهًا، والنبيَّ الذي يكون إلهامًا أو منامًا، وقيل: إنَّ الرسول من بُعث بشرع جديد، والنبي من بعث لتقرير شرع من قبله، وقيل: إنَّ النبيَّ من أرسل إلى المؤمنين يجدد رسالة رسولٍ قبله، والرسول من أرسل إلى الكفار بشريعة جديدة، وهذا فرعٌ عن الذي قبله.

و((**الهُدَى**)) في اللغة: البيان والدلالة؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾[فصلت:١٧]. فإنَّ المعنى: بَيَّنَّا لهم. وكما في قوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان:٣].

والهُدى بهذا المعنى عامٌّ لجميع الناس، ولهذا يوصَفُ به القرآن؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[الإسراء:٩].

ويوصف به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[الشورى:٥٢].

وقد يأتي الهُدى بمعنى التوفيق والإلهام، فيكون خاصًّا بمَن يشاء الله هدايته؛ قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام:١٢٥]. ولهذا نفاهُ الله عن رسوله؛ قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص:٥٦].

والمراد بالهُدى هنا: كلُّ ما جاء به النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الإخبارات الصادقة، والإيمان الصحيح، والعلم النافع، والعمل الصالح.

والدِّين يأتي لعدة معانٍ:

منها: الجزاء؛ كما في قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾[الفاتحة:٤].
ومنهُ قولُهم: كَما يَدِينُ الفَتى يُدَانُ.

ومنها: الخضوع والانقياد؛ يقال: دان له؛ بمعنى: ذلَّ وخضع، ويقال: دانَ اللهَ بكذا، أو كذا؛ بمعنى اتَّخذه دينًا يعبده به.

والمراد بالدِّين هنا: جميع ما أرسل الله به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأحكام والشرائع؛ اعتقادية كانت، أم قولية، أم فعلية.

وإضافته إلى الحق من إضافة الموصوف إلى صفته؛ أي: الدين الحق.

والحقُّ: مصدرُ حَقَّ يَحِقُّ إذا ثبت ووجب. فالمراد به: الثابت، الواقع. ويقابله: الباطل الذي لا حقيقة له.

اللام في قوله: ((لِيُظْهِرَهُ)) لام التعليل، وهي متعلقة بـ (أرسل)، وهو من الظهور؛ بمعنى: العلوِّ والغلبة؛ أي: ليجعله عاليًا على الأديان كلها بالحجة والبرهان.

و(ال) في ((الدِّينِ)) للجنس، فيدخل فيه كل دين باطل، وهو ما عدا الإسلام.

والشهيد: فعيلٌ، وهو مبالغةٌ من شهد، وهو إمَّا من الشهادة؛ بمعنى الإخبار والإعلام، أو من الشهادة؛ بمعنى الحضور. والمعنى: وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا مخبرًا بصدق رسوله، أو حاضرًا مطَّلِعًا لا يغيب عنه شيءٌ.

والمعنى الإجمالي لما تقدم أنَّ جميع أوصاف الكمال ثابتةٌ لله على أكمل الوجوه وأتمِّها.

ومما يُحْمَدُ عليه سبحانه نعمه على عباده، التي لا يحصي أحدٌ من الخلق

عدَّها، وأعظمها إرساله محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالهدى ودين الحق رحمةً للعالمين، وبشرى للمتَّقين؛ ليظهره على جميع الأديان بالحجة والبرهان، والعز والتمكين والسلطان، وكفى بالله شهيدًا على صدق رسوله، وحقيقة ما جاء به.

وشهادته سبحانه تكون بقوله وفعله وتأييده لرسوله بالنصر والمعجزات والبراهين المتنوِّعة على أنَّ ما جاء به هو الحق المبين.

(وأَشْهَدُ أَن لَّا إلَهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ إقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا).

[معنى الشهادة] ((**الشهادة**)): الإخبار بالشيء عن علم به، واعتقاد لصحته وثبوته، ولا تعتبر الشهادة إلا إذا كانت مصحوبة بالإقرار والإذعان، وواطأ القلبُ عليها اللسان؛ فإنَّ الله قد كذَّب المنافقين في قولهم: ﴿نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ﴾، مع أنَّهم قالوا بألسنتهم(١).

و((**لا إلَهَ إلَّا اللهُ**)): هي كلمة التوحيد، التي اتَّفقت عليها كلمة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؛ بل هي خلاصة دعواتهم وزبدة رسالاتهم، وما من رسول منهم إلا جعلها مفتتح أمره، وقطب رحاه؛ كما قال نبيُّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها؛ فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم

---

(١) يعني الشارح تكذيب الله لهم في الآية الأولى من سورة المنافقون في قوله: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾.

على الله عزَّ وجلَّ))[١].

ودلالة هذه الكلمة على التوحيد باعتبار اشتمالها على النفي والإثبات المقتضي للحصر، وهو أبلغ من الإثبات المجرَّد؛ كقولنا: الله واحد. مثلًا فهي تدلُّ بصدرها على نفي الإلهية عمَّا سوى الله تعالى، وتدلُّ بعجزها على إثبات الإلهية له وحده. ولا بدَّ فيها من إضمار خبرٍ تقديره: لا معبودَ بحقٍّ - موجودٌ[٢]- إلا الله.

وأمَّا قوله: **((وَحْدَهُ لا شَرِيكَ))**؛ فهو تأكيد لما دلَّت عليه كلمة التوحيد.

وقوله: **((إقرارًا به))** مصدرٌ مؤكِّدٌ لمعنى الفعل: ((أشهد))، والمراد: إقرار القلب واللسان.

وقوله: **((توحيدًا))**؛ أي: إخلاصًا لله عزَّ وجلَّ في العبادة، فالمراد به التوحيد الإرادي الطلبي المبني على توحيد المعرفة والإثبات.

---

(١) رواه السبعة: البخاري (٦٩٢٤)، ومسلم (٢٠)، وأحمد (١/١١) (٦٧)، وأبو داود (٢٦٤٠)، والترمذي (٢٦٠٦)، والنسائي (٣٩٧٠)، وابن ماجه (٣١٨٧) واللفظ له. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والحديث بنحوه روي من طرق عن أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وجابر بن عبدالله رضي الله عنهم جميعًا.

(٢) يعني الشارح أن هذه الكلمة تقدير لخبر مستتر؛ لـ (لا) النافية للجنس.

(وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا)[١].

وجعل الشهادة للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرسالة والعبودية مقرونًا بالشهادة لله بالتوحيد؛ للإشارة إلى أنَّه لا بد من كلٍّ منهما، فلا تُغني إحداهما عن الأخرى، ولهذا قرن بينهما في الأذان، وفي التشهد.

وقال بعضهم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ [الشرح:٤]: ((يعني: لا أُذْكَرُ إلَّا ذُكِرتَ معي))[٢].

وإنَّما جمع له بين وصفي الرسالة والعبودية؛ لأنَّهما أعلى ما يوصف به العبد.

[معنى العبادة]

والعبادة: هي الحكمة التي خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ لأجلها؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦].

فكمال المخلوق في تحقيق تلك الغاية، وكلما ازداد العبد تحقيقًا للعبودية؛ ازداد كماله، وعلت درجته.

---

(١) ليس في الأصل الصلاة على الآل والصحب.

(٢) صح عن مجاهد أنه قال في تفسير هذه الآية: ((لا أُذْكَرُ إلا ذُكِرْتَ معي: أشهد ألا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله)). وقال الألباني في ((فضل الصلاة على النبي)) لابن إسحاق القاضي (ص٨٦): ((إسناده مرسل صحيح، فهو حديث قدسي مرسلٌ)). وروى أبو يعلى في ((المسند)) (٥٢٢/٢) بإسناد ضعيف، من حديث أبي سعيد الخدري رفعه: ((إذا ذُكرتُ ذكرتَ معي)). وانظر: ((الدُّر المنثور)) (٥٤٩/٨).

ولهذا ذكر الله نبيَّه بلقب العبد في أسمى أحواله وأشرف مقاماته؛ كالإسراء به، وقيامه بالدعوة إلى الله، والإيحاء إليه، والتحدِّي بالذي أُنْزِلَ عليه.

ونبَّه بوصف العبودية أيضًا إلى الرد على أهل الغلوِّ الَّذين قد يتجاوزون بالرسول قدره، ويرفعونه إلى مرتبة الألوهية؛ كما يفعل ضلَّال الصوفية قبَّحهم الله، وقد صحَّ عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: ((لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنَّما أنا عبدٌ، فقولوا عبدُ الله ورسوله))[1].

والمقصود أنَّ هذه الشهادة تتضمن اعتراف العبد بكمال عبوديته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لربه، وكمال رسالته، وأنَّه فاق جميعَ البشرِ في كلِّ خصلةٍ كمالُه.

ولا تتم هذه الشهادة حتى يصدقه العبد في كل ما أخبر به، ويطيعه في كل ما أمر به، وينتهي عما نهى عنه.

[معنى الصلاة] الصلاة في اللغة: الدعاء؛ قال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة:١٠٣].

وأصحُّ ما قيل في صلاة الله على رسوله هو ما ذكره البخاري في ((صحيحه)) عن أبي العالية؛ قال: ((صلاة الله على رسوله: ثناؤه عليه عند الملائكة))[2].

---

(١) رواه البخاري (٣٤٤٥) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري معلَّقًا بصيغة الجزم في التفسير، (٦/١٢٠)، ووصله ابن إسحاق القاضي في كتابه ((فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم)) (ص: ٨٢)، وقال الألباني: ((إسناده موقوف حسن)).

والمشهور أنَّ الصلاة من الملائكة الاستغفار؛ كما في الحديث الصحيح: ((والملائكة يصلُّون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلَّى فيه؛ يقولون: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه))[١].

ومن الآدميين: التضرُّع والدُّعاء.

وآل الشخص هم من يمتُّون إليه بصلة وثيقة من قرابة ونحوها.

وآله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُراد بهم أحيانًا مَن حَرُمَت عليهم الصدقة، وهم بنو هاشم وبنو المطَّلب، ويراد بهم أحيانًا كل مَن تبعه على دينه.

وأصل (آل): أهل، أُبْدِلَتِ الهاء همزة، فتوالت همزتان، فقُلِبَتِ الثانية منهما ألفًا، ويصغر على أُهَيل أو أُوَيْل، ولا يستعمل إلا فيما شرف غالبًا، فلا يقال: آل الإسكاف وآل الحجام.

والمراد بالصحب أصحابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم كل من لقيه حال حياته مؤمنًا[٢]، ومات على ذلك.

[معنى السلام]

والسلام: اسم مصدر من سلَّم تسليمًا عليه؛ بمعنى طلب له السلامة من كل مكروه، وهو اسم من أسمائه تعالى، ومعناه: البراءة والخلاص من النقائص والعيوب، أو الذي يسلِّم على عباده المؤمنين في الآخرة.

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري (٤٧٧)، ومسلم (٦٤٩)، ورواه أيضًا: أبو داود، والترمذي، والنسائي، وأحمد في ((المسند))، ومالك في ((الموطأ))؛ بألفاظ متقاربة.

(٢) (مراده مؤمنًا بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لأن إطلاق الإيمان ينصرف إلى الإيمان بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ولو قيد ذلك به لكان أحسن) (ابن عثيمين).

و((مَزِيدًا)) صفةٌ لـ ((تَسْلِيمًا))، وهو اسم مفعول من (زاد) المتعدِّي، والتقدير: مزيدًا فيه.

(أَمَّا بَعْدُ؛ فَهَذَا اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الـمنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ: أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ)[1].

((أَمَّا بَعْدُ)): كلمة يُؤتَى بها للدِّلالة على الشروع في المقصود، وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستعملها كثيرًا في خطبه وكتبه، وتقديرها عند النحويِّين: مهما يكن من شيء بعد.

والإشارة بقوله: ((هَـذَا)) إلى ما تضمَّنه هذا المؤلَّفُ من العقائد الإيمانية التي أجملها في قوله: ((وهو الإيمان بالله...)).

والاعتقاد: مصدر اعتقد كذا؛ إذا اتَّخذه عقيدة له؛ بمعنى عقد عليه الضمير والقلب، ودان لله به، وأصله من (عقد الحبل)، ثمَّ استُعْمل في التصميم والاعتقاد الجازم.

[الفرقة الناجية] ((الْفِرْقَة)) - بكسر الفاء - الطائفة من الناس.

ووصفها بأنَّها ((النَّاجِيَة الـمنْصُورَة)) أخذًا من قوله - عليه السلام -: ((لا تزالُ طائفةٌ من أُمَّتي على الحقِّ منصورةً، لا يضرُّهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله))[2].

---

(١) في الأصل: ((اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ)).

(٢) رواه البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٩٢٠) من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث معاوية بن قرة عن أبيه رضي الله عنه.

ومن قوله في الحديث الآخر: ((ستفترق هذه الأمَّة على ثلاث وسبعين فرقةً: كلهم في النّار إلى واحدة، وهي مَن كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي))[١].

[أهل السُّنَّة والجماعة]

وقوله: ((**أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ**))[٢]؛ بدل من الفرقة.

---

(١) حديث الافتراق رواه بألفاظ مختلفة: أحمد (١٢٤٧٩)، والترمذي (٢٦٤٠)، وأبو داود (٤٥٩٧)، وابن ماجه (١٣٢٢)، والدارمي (٢/٣١٤)، والحاكم (١/٢١٨)، وغيرهم.
وقد حسَّنه الترمذي، وقال الحاكم عن أسانيده: ((هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث))، ووافقه الذهبي، وقال العراقي في ((تخريج الإحياء)) (٣/٢٣٠): ((حديث افتراق الأمَّة أسانيدها جياد))اهـ. وحسَّن إسناده ابن كثير في ((نهاية البداية والنهاية)) (١/٢٧) وابن حجر في ((تخريج الكشاف)) (١٠٨).

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين في شرحه لـ ((الواسطية)) (١/٥٣): ((عُلِمَ من كلام المؤلف رحمه الله أنه لا يدخل فيهم من خالفهم في طريقتهم، فالأشاعرة مثلًا والماتريدية لا يُعَدُّون من أهل السُّنَّة والجماعة في هذا الباب؛ لأنهم مخالفون لما كان عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وأصحابه في إجراء صفات الله سبحانه وتعالى على حقيقتها، ولهذا يخطئ من يقول: إن أهل السُّنَّة والجماعة ثلاثة: سلفيُّون، وأشعريُّون، وماتريديُّون، فهذا خطأ؛ نقول: كيف يكون الجميع أهل سنة وهم مختلفون؟! فماذا بعد الحقِّ إلا الضلال؟! وكيف يكونون أهل سنَّةٍ وكلُّ واحدٍ منهُم يردُّ على الآخر، هذا لا يمكن؛ إلا إذا أمكن الجمع بين الضِّدين؛ فنعم! وإلا؛ فلا شك أن أحدهم وحده هو صاحب السنة، فمن هو؟ الأشعرية أم الماتريدية أم السَّلفيَّة؟ نقول مَن وافق السنَّة؛ فهو صاحب السنة، ومَن خالف السنة؛ فليس صاحب سنة، فنحن نقول: السَّلف هم أهل السُّنَّة والجماعة، ولا يصدق الوصف على غيرهم أبدًا، والكلمات تعتبر بمعانيها، لننظر كيف نسمي من خالف السنة أهل سنة؟ لا يمكن! وكيف يمكن أن نقول عن ثلاث طوائف مختلفة، إنهم مجتمعون؟ فأين الاجتماع؟ فأهل السُّنَّة والجماعة هم السَّلف معتقدًا، حتى المتأخر إلى يوم القيامة إذا كان على طريقة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وأصحابه؛ فإنه سلفي)).اهـ

والمراد بالسنة: الطريقة التي كان عليها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه قبل ظهور البدع والمقالات.

والجماعة في الأصل: القوم المجتمعون، والمراد بهم هنا سلف هذه الأمَّة من الصحابة والتابعين، الذين اجتمعوا على الحق الصريح من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[أركان الإيمان الستة]

(وَهُوَ الإِيمانُ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الموْتِ، والإِيمَانِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ).

هذه الأمور الستة هي أركان الإيمان، فلا يتمُّ إيمانُ أحدٍ إلا إذا آمن بها جميعًا على الوجه الصحيح الذي دلَّ عليه الكتاب والسنة، فمَنْ جَحَدَ شيئًا منها أو آمن به على غير هذا الوجه؛ فقد كفر.

وقد ذُكِرَت كلها في حديث جبريل المشهور، حين جاء إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صورة أعرابي يسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان؟ فقال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وتؤمن بالبعث بعد الموت، وبالقدر خيره وشره»[1]؛ حلوه ومره من الله تعالى.

---

(١) هذا جزءٌ من حديث جبريل المشهور؛ رواه مسلمٌ، بلفظ: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر . وتؤمن بالقدر خيره وشره» وهو أول حديث يفتتح به الصحيح.
ورواه بنحوه أيضًا: أحمد (١/٢٨) (١٩١)، وأبو داود (٤٦٩٥)، والترمذي (٢٦١٠)، والنسائي، كلهم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
كما رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه؛ من حديث أبي هريرة وأبي ذر رضي الله عنهما.

[الإيمان بالملائكة]

والملائكة: جمع مَلَك، وأصله مألك؛ من الألوكة، وهي الرسالة، وهم نوعٌ من خلق الله عزَّ وجلَّ، أسكنهم سماواته، ووكلهم بشؤون خلقه، ووصفهم في كتابه بأنَّهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وأنَّهم يسبِّحون له بالليل والنهار لا يفترون.

فيجب علينا الإيمان بما ورد في حقهم من صفات وأعمال في الكتاب والسنَّة، والإمساك عمَّا وراء ذلك؛ فإنَّ هذا من شؤون الغيب التي لا نعلم منها إلا ما علَّمنا الله ورسوله.

[الإيمان بالكتب]

والكُتُب: جمع كتاب، وهو مِن الكَتْب؛ بمعنى: الجمع والضم، والمراد بها الكتب المنزَّلة من السماء على الرسل عليهم الصلاة والسلام.

والمعلوم لنا منها: صحف إبراهيم، والتوراة التي أُنزلت على موسى في الألواح، والإنجيل الذي أُنزل على عيسى، والزَّبور الذي أُنزل على داود، والقرآن الكريم الذي هو آخرها نزولًا، وهو المصدِّق لها، والمهيمن عليها، وما عداها يجب الإيمان به إجمالًا.

[الإيمان بالرسل]

والرسل: جمع رسول، وقد تقدم أنَّه من أوحى الله إليه بشرع وأمره بتبليغه.

وعلينا أن نؤمن تفصيلًا بمَن سمَّى الله في كتابه منهم، وهم خمسة وعشرون، ذكرهم الشاعر في قوله:

في ﴿تِلْكَ حُجَّتُنَا﴾(١) مِنْهُمْ ثَمَانِيَةٌ مِنْ بَعْدِ عَشْرٍ ويَبْقَى سَبْعَةٌ وهُمُ
إدْرِيسُ هُودُ شُعَيْبٌ صَالِحٌ وكَذا ذُو الكِفْلِ آدَمُ بالمخْتَارِ قَدْ خُتِمُوا(٢)

وأمَّا مَن عدا هؤلاء من الرسل والأنبياء؛ فنؤمن بهم إجمالًا على معنى الاعتقاد بنبوَّتِهم ورسالتهم، دون أن نكلِّف أنفسنا البحث عن عدتهم وأسمائهم، فإنَّ ذلك مما اختصَّ الله بعلمه؛ قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤].

ويجب الإيمان بأنَّهم بلَّغوا جميعَ ما أُرسلوا به على ما أمرهم الله عزَّ وجلَّ، وبيَّنوه بيانًا لا يسع أحدًا ممَّن أُرسلوا إليه جهله، وأنَّهم معصومون من الكذب والخيانة، والكتمان والبلادة.

وأنَّ أفضلهم أولو العزم، والمشهور أنَّهم: محمد، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ونوح؛ لأنَّهم ذُكروا معًا في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧]. وقوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا

---

(١) يعني الشاعر قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ فهؤلاء ثمانية عشر نبيًّا، وبقي سبعة أنبياء ذكرهم في البيت الثاني.

(٢) (ذكر بيتين في عدِّ الأنبياء وعدَّ منهم ذا الكفل وفيه خلاف) (ابن عثيمين).

بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾[الشورى:١٣]

[الإيمان بالبعث]

و((**البَعْثُ**)) في الأصل: الإثارة والتحريك، والمراد به في لسان الشرع: إخراج الموتى من قبورهم أحياء يوم القيامة؛ لفصل القضاء بينهم، فمن يعمل مثقال ذرَّة خيرًا يره، ومَن يعمل مثقال ذرَّةٍ شرًّا يره.

ويجب الإيمان بالبعث على الصفة التي بيَّنها الله في كتابه، وهو أنَّه جمعُ ما تحلَّل من أجزاء الأجساد التي كانت في الدنيا، وإنشاؤها خلقًا جديدًا، وإعادةُ الحياة إليها.

ومنكر البعث الجسماني - كالفلاسفة والنصارى[١] - كافر، وأمَّا مَن أقرَّ به ولكنه زعم أنَّ الله يبعث الأرواح في أجسامٍ غير الأجسام التي كانت في الدنيا؛ فهو مبتدعٌ وفاسقٌ.

[الإيمان بالقدر]

وأمَّا ((**القَدَرُ**))؛ فهو في الأصل، مصدر تقول: قدرتُ الشيء - بفتح الدال وتخفيفها - أقْدِرُهُ - بكسرها - قَدْرًا وقَدَرًا؛ إذا أحطتَ بمقداره.

والمراد به في لسان الشرع أنَّ الله عزَّ وجلَّ علم مقادير الأشياء وأزمانها أزلًا، ثمَّ أوجدها بقدرته ومشيئته على وفق ما علمه منها، وأنَّه كتبها في اللوح قبل إحداثها؛ كما في الحديث: ((أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. قال: وما أكتب؟ قال: اكتب كل ما هو كائن))[٢]. وقال تعالى:

---

(١) (ذكر أن النصارى ينكرون البعث الجسماني وفيه نظر، بل قد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن المعاد الجسماني متفق عليه بين المسلمين والنصارى واليهود) (ابن عثيمين).

(٢) رواه بنحوه: أحمد (٢٢٧٥٧)، وأبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥)، وغيرهم. =

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ﴾ [الحديد:٢٢].

(وَمِنَ الإيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ[1]، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ).

وقوله: ((وَمِنَ الإيمَانِ بِاللهِ ... إلخ)): هذا شروعٌ في التفصيل بعد الإجمال، و(من) هنا للتبعيض، والمعنى ومن جملة إيمان أهل السُّنَّة والجماعة بالأصل الأول الذي هو أعظم الأصول وأساسها، وهو الإيمان بالله: أنَّهم يؤمنون بما وصف به نفسه... إلخ.

وقوله: ((مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ)) متعلِّقٌ بالإيمان قبله؛ يعني أنَّهم يؤمنون بالصفات الإلهية على هذا الوجه الخالي من كل هذه المعاني الباطلة؛ إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل.

[معنى التحريف] والتحريف في الأصل مأخوذ من قولهم: حرفتُ الشيء عن وجهه حرفًا، من باب ضرب؛ إذا أملته وغيرته، والتشديد للمبالغة.

وتحريف الكلام: إمالته عن المعنى المتبادر منه إلى معنى آخر لا يدلُّ

= قال الترمذي: حسن غريب، وصححه ابن جرير الطبري في ((التاريخ)) (٣٢/١)، وابن العربي في ((أحكام القرآن)) (٣٣٥/٢)، والألباني في ((صحيح الجامع)) (٢٠١٧).

(١) العزيز: ليست في الأصل.

عليه اللفظ إلا باحتمال مرجوحٍ، فلا بد فيه من قرينةٍ تبيِّنُ أنَّه المراد[١].

[معنى التعطيل] وأمَّا التعطيل؛ فهو مأخوذ من العطل، الذي هو الخلوُّ والفراغ والترك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ [الحج:٤٥]. أي: أهملها أهلها، وتركوا وِرْدها. والمراد به هنا نفي الصفات الإلهية، وإنكار قيامها بذاته تعالى[٢].

[الفرق بين التحريف والتعطيل] فالفرق بين التحريف والتعطيل: أنَّ التعطيل نفيٌ للمعنى الحق الذي دلَّ عليه الكتاب والسنة، وأمَّا التحريف؛ فهو تفسير النصوص بالمعاني الباطلة التي لا تدلُّ عليها.

والنسبة بينهما العموم والخصوص المطلق، فإنَّ التعطيل أعمُّ مطلقًا من التحريف؛ بمعنى أنَّه كلما وجد التحريف؛ وجد التعطيل؛ دون العكس، وبذلك يوجدان معًا فيمن أثبت المعنى الباطل ونفى المعنى الحق، ويوجد التعطيل بدون التحريف فيمن نفى الصفات الواردة في الكتاب والسنة، وزعم أنَّ ظاهرها غير مرادها، ولكنه لم يُعَيِّن لها معنًى آخر، وهو ما يسمونه بالتفويض. [معنى التفويض]

ومن الخطأ القول بأنَّ هذا هو مذهب السَّلف؛ كما نسب ذلك إليهم

---

(١) والتحريف يكون في اللفظ والمعنى، أما في اللفظ؛ فمثاله نصب اسم الجلالة بدل رفعه في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤]، وأما في المعنى؛ فمثاله قولهم: (اسْتَوَى) أي: استولى، ويده؛ أي: قدرته.

(٢) التعطيل قسمان: كلي؛ كما فعل نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة، وجزئي كما فعل الأشاعرة الذين يثبتون سبع صفات فقط، وينفون الباقي.

المتأخرون من الأشاعرة[1] وغيرهم، فإنَّ السَّلف لم يكونوا يفوِّضون في علم المعنى، ولا كانوا يقرؤون كلامًا لا يفهمون معناه؛ بل كانوا يفهمون معاني النصوص من الكتاب والسنة، ويثبتونها لله عزَّ وجلَّ، ثمَّ يفوِّضون فيما وراء ذلك من كُنْهِ الصفات أو كيفيَّاتها[2]؛ كما قال مالك حين سُئِلَ عن كيفية استوائه تعالى على العرش: ((الاستواء معلومٌ، والكيفُ مجهولٌ))[3]. [المفوضة]

[معنى التكييف والتمثيل] وأمَّا قوله: ((وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ))؛ فالفرق بينهما أنَّ التكييف أن يعتقد أنَّ صفاته تعالى على كيفية كذا،أو يسأل عنها بكيف.

وأمَّا التمثيل؛ فهو اعتقاد أنَّها مثل صفات المخلوقين.

وليس المراد من قوله: ((مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ)) أنَّهم ينفون الكيف مطلقًا؛ فإنَّ كل شيء لا بد أن يكون على كيفية ما، ولكن المراد أنَّهم ينفون

---

(١) سيأتي التعريف بهم.

(٢) المفوِّضة: هم الذين يُثْبِتُون الصفات، ويفوِّضون علم معانيها إلى الله.
وأهل السنّة والجماعة يُثْبِتُون الصفات وعلم معانيها، ويفوِّضون علم كيفيتها إلى الله تعالى.
ومَن قال: أنا أثبت الصفات وأفوِّضُ علمها إلى الله؛ قلنا له: ماذا تعني بعلمها؟ علم المعنى؟ أم علم الكيفية؟

(٣) ذكره البيهقي في ((الأسماء والصفات)) (ص٥١٥) عن الإمام مالك بإسناد جوَّده الحافظ في ((الفتح)) (٤٠٧/١٣). وورد عن ربيعة الرأي، شيخ مالك. ذكره: البيهقي في ((الأسماء والصفات)) (ص٥١٦)، واللالكائي في ((شرح اعتقاد أهل السُّنَّة)) (٣٩٨/٣). وورد أيضًا عن أم سلمة مرفوعًا وموقوفًا. ولكن قال ابن تيمية في ((الفتاوى)) (٣٦٥/٥): ((وقد رُوِيَ هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفًا ومرفوعًا، ولكن ليس إسناده مما يُعْتَمَدُ عليه)). وقال الألباني عن المرفوع في ((شرح الطحاوية)) (ص٢٨١): ((لا يصح)). ثمَّ قال: ((والصواب عن مالك أو أم سلمة، والأول أشهر)).

علمهم بالكيف؛ إذ لا يعلم كيفية ذاته وصفاته إلا هو سبحانه.

(بَـلْ يُؤْمِنُـونَ بِـأَنَّ اللهَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١])

قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ﴾؛ هذه الآية المحكمة من كتاب الله عزَّ وجلَّ هي دستور(١) أهل السُّنَّة والجماعة في باب الصفات، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ قد جمع فيها بين النفي والإثبات، فنفى عن نفسه المثل، وأثبت لنفسه سمعًا وبصرًا، فدلَّ هذا على أنَّ المذهب الحق ليس هو نفي الصفات مطلقًا؛ كما هو شأن المعطِّلة، ولا إثباتها مطلقًا؛ كما هو شأن الممثِّلة؛ بل إثباتها بلا تمثيل.

وقد اختُلِفَ في إعراب: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ على وجوه؛ أصحُّها: أنَّ الكافَ صلةٌ زيدَت للتأكيد؛ كما في قول الشاعر:

لَيْسَ كَمِثْلِ الْفَتَى زُهَيْرٍ ... خَلْقٌ يُوَازِيهِ فِي الفَضَائِلِ

(فَـلَا يَنْفُـونَ عَنْـهُ مَـا وَصَـفَ بِـهِ نَفْسَـهُ، وَلَا يُحَرِّفُـونَ الْكَلِـمَ عَـن مَّوَاضِعِهِ، وَلَا يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وآيَاتِهِ، وَلَا يُكَيِّفُونَ وَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ).

وقوله: ((**فَلا يَنْفُونَ عَنْهُ** ...)) إلخ تفريعٌ على ما قبله؛ فإنَّهم إذا كانوا يؤمنون بالله على هذا الوجه؛ فلا ينفون ولا يحرّفونَ، ولا يكيِّفون ولا يمثِّلون.

(١) كلمة فارسية بمعنى قانون أو أساس، وفي ((التاج)): ((النسخة المعمولة للجماعات)).

والمواضع: جمع موضع، والمراد بها المعاني التي يجب تنزيل الكلام عليها؛ لأنَّها هي المتبادرة منه عند الإطلاق، فهم لا يعدِلون به عنها.

[معنى الإلحاد في أسماء الله]

وأمَّا قوله: ((وَلَا يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وآيَاتِهِ))؛ فقد قال العلامة ابن القيِّم رحمه الله: ((والإلحاد في أسمائه هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها؛ مأخوذٌ من الميل؛ كما يدل عليه مادة (ل ح د)، فمنه اللحد، وهو الشق في جانب القبر، الذي قد مال عن الوسط، ومنه المُلْحِد في الدين: المائل عن الحق، المُدْخِل فيه ما ليس منه)). اهـ

فالإلحاد فيها إمَّا أن يكون بجحدها وإنكارها بالكليَّة، وإمَّا بجحد معانيها وتعطيلها، وإمَّا بتحريفها عن الصواب وإخراجها عن الحق بالتأويلات الفاسدة، وإمَّا بجعلها أسماء لبعض المبتَدَعات؛ كإلحاد أهل الاتحاد.

وخلاصة ما تقدم:

أنَّ السَّلف رضي الله عنهم يؤمنون بكل ما أخبر الله به عن نفسه في كتابه، وبكل ما أخبر به عنه رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إيمانًا سالما من التحريف والتعطيل، ومن التكييف والتمثيل، ويجعلون الكلام في ذات الباري وصفاته بابًا واحدًا؛ فإنَّ الكلام في الصفات فرعُ الكلام في الذات، يُحْتَذَى فيه حَذْوُه، فإذا كان إثبات الذات إثباتَ وجودٍ لا إثبات تكييف؛ فكذلك إثبات الصفات.

وقد يعبِّرون عن ذلك بقولهم: ((تُمَرُّ كما جاءت بلا تأويل))، ومَن لم

يفهم كلامهم؛ ظنَّ أنَّ غرضهم بهذه العبارة هو قراءة اللفظ دون التعرُّض للمعنى، وهو باطل، فإنَّ المراد بالتأويل المنفي هنا هو حقيقة المعنى وكنهه وكيفيته(١).

قال الإمام أحمد رحمه الله: ((لا يوصَفُ الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، ولا يتجاوز القرآن والحديث))(٢).

وقال نُعيم بن حمَّاد (شيخ البخاري): ((مَن شبَّه اللهَ بخلقه؛ كفر، ومَن جحد ما وصف الله به نفسه؛ كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيهٌ ولا تمثيلٌ))(٣).

(لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ: لَا سَمِيَّ لَهُ، وَلَا كُفْءَ لَهُ، وَلَا نِدَّ لهُ).

قوله: ((**لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ: لَا سَمِيَّ لَهُ** ...)) إلخ؛ تعليل لقوله فيما تقدم إخبارًا عن أهل السُّنَّة والجماعة: ((لا يكيِّفون ولا يمثِّلون)).

---

(١) ومما يؤيِّد ذلك أنهم كانوا يقولون أحيانًا: ((تُمَرُّ كما جاءت؛ بلا كيف))، وما كانوا يقولون: ((تُمَرُّ كما جاءت بلا معنى))، فعُلِمَ من ذلك أنهم يُثْبِتُون المعنى، وينفون الكيف.
والشارح يعني بقوله: ((حقيقة المعنى))؛ أي: الكيفية؛ يفرق بين المعنى وحقيقة المعنى، فيثبتون المعنى وينفون حقيقته، وهي الكيفية.

(٢) انظر: ((مجموع الفتاوى)) (٥/٢٦).

(٣) أورده الذهبي بإسناده في كتاب ((العلو))، وقال الألباني في ((مختصر العلو)) (ص١٨٤): ((وهذا إسنادٌ صحيحٌ)). اهـ
ونُعَيم بن حماد: هو أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخُزاعي المروزي، قال الخطيب: ((يقال إنه أوَّل من جمع المسند في الحديث)). وهو أعلم الناس بالفرائض، كان شديد الرد على الجهمية وأهل الأهواء، توفي سنة (٢٢٨هـ).

[معنى لا سمي له]

ومعنى: ((لا سَمِيَّ لـه)) أي: لا نظير لـه يستحقُّ مثل اسمه، أو لا مسامِيَ له يساميه، وقد دلَّ على نفيه قوله تعالى في سورة مريم: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم:٦٥]. فإنَّ الاستفهام هنا إنكاريٌّ، معناه النفي.

وليس المراد من نفي السميِّ أنَّ غيره لا يسمَّى بمثل أسمائه، فإنَّ هناك أسماء مشتركة بينه وبين خلقه، ولكنَّ المقصود أنَّ هذه الأسماء إذا سُمِّي الله بها؛ كان معناها مختصًّا به لا يَشْرَكُهُ فيه غيره، فإنَّ الاشتراك إنَّما هو في مفهوم الاسم الكلِّي، وهذا لا وجود له إلَّا في الذهن، وأمَّا في الخارج؛ فلا يكون المعنى إلا جزئيًّا مختصًّا، وذلك بحسب ما يضاف إليه، فإن أضيف إلى الرَّبِّ؛ كان مختصًّا به، لا يشاركه فيه العبد، وإن أضيف إلى العبد كان مختصًّا به لا يشاركه فيه الرب.

وأمَّا الكفء؛ فهو المكافئ المساوي، وقد دلَّ على نفيه قوله تعالى: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص:٤].

وأمَّا النِّدُّ؛ فمعناه المساوي المناوئ؛ قال تعالى: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢].

(ولَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى).

وأمَّا قوله: ((ولَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ))؛ فالمقصود به أنَّه لا يجوز استعمال شيءٍ من الأقيسة التي تقتضي المماثلة والمساواة بين المقِيس والمقِيس عليه في الشؤون الإلهية.

[قياس التمثيل] وذلك مثل قياس التمثيل الذي يُعرِّفه علماء الأصول بأنَّه إلحاق فرع بأصل في حكمٍ جامع؛ كإلحاق النبيذ بالخمر في الحرمة لاشتراكهما في علة الحكم، وهي الإسكار.

فقياس التمثيل مبنيٌّ على وجود مماثلة بين الفرع والأصل، والله عزَّ وجلَّ لا يجوز أن يُمثَّل بشيء من خلقه.

[قياس الشمول] ومثل قياس الشمول المعروف عند المناطقة بأنَّه الاستدلال بكليٍّ على جزئيٍّ بواسطة اندراج ذلك الجزئي مع غيره تحت هذا الكُلِّي.

فهذا القياس مبنيٌّ على استواء الأفراد المنْدَرِجة تحت هذا الكُلِّي، ولذلك يُحكَم على كل منها بما حُكِمَ به عليه. ومعلومٌ أنَّه لا مساواة بين الله عزَّ وجلَّ وبين شيء من خلقه.

[قياس الأولى] وإنَّما يُستعمل في حقه تعالى قياس الأوْلى، ومضمونه أنَّ كلَّ كمال ثبت للمخلوق وأمكن أن يتَّصف به الخالق؛ فالخالق أولى به من المخلوق، وكلَّ نقصٍ تَنَزَّهَ عنه المخلوق؛ فالخالق أحق بالتنزُّه عنه.

[قاعدة الكمال] وكذلك قاعدة الكمال التي تقول: إنَّه إذا قُدِّر اثنان: أحدهما موصوف بصفة كمال، والآخر يمتنع عليه أن يتصف بتلك الصفة؛ كان الأول أكمل من الثاني، فيجب إثبات مثل تلك الصفة لله ما دام وجودها كمالًا وعدمها نقصًا.

(فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلًا، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ.

ثُمَّ رُسُلُه صَادِقُونَ مُصَدَّقون؛ بِخِلَافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لَا

يَعْلَمُونَ﴾

قوله: ((فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ ...)) إلى قوله: ((...ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ مَصْدُوقُونَ))؛ تعليلٌ لصحَّة مذهب السَّلف في الإيمان بجميع الصفات الواردة في الكتاب والسنة؛ فإنَّه إذا كان الله عزَّ وجلَّ أعلم بنفسه وبغيره، وكان أصدق قولًا وأحسن حديثًا، وكان رسله عليهم الصلاة والسلام صادقين في كل ما يخبرون به عنه، معصومين من الكذب عليه والإخبار عنه بما يخالف الواقع؛ وجب التعويل إذًا في باب الصفات نفيًا وإثباتًا على ما قاله الله وقاله رسوله الذي هو أعلم خلقه به، وأن لا يُتْرك ذلك إلى قول مَن يفترون على الله الكذب ويقولون عليه ما لا يعلمون.

[دلالة الكلام على المعاني]

وبيان ذلك أنَّ الكلام إنَّما تَقْصُر دلالته على المعاني المرادة منه لأحد ثلاثة أسباب: إمَّا لجهل المتكلم وعدم علمه بما يتكلَّم به، وإمَّا لعدم فصاحته وقدرته على البيان، وإمَّا لكذبه وغشه وتدليسه. ونصوص الكتاب والسنة بريئة من هذه الأمور الثلاثة من كل وجه، فكلام الله وكلام رسوله في غاية الوضوح والبيان؛ كما أنَّه المثل الأعلى في الصدق والمطابقة للواقع؛ لصدوره عن كمال العلم بالنسب الخارجية، وهو كذلك صادر عن تمام النصح، والشفقة، والحرص على هداية الخلق وإرشادهم.

فقد اجتمعت له الأمور الثلاثة التي هي عناصر الدلالة والإفهام على أكمل وجه.

فالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلم الخلق بما يريد إخبارهم به، وهو

أقدرهم على بيان ذلك والإفصاح عنه، وهو أحرصهم على هداية الخلق، وأشدُّهم إرادة لذلك، فلا يمكن أن يقع في كلامه شيء من النقص والقصور؛ بخلاف كلام غيره؛ فإنَّه لا يخلو من نقص في أحد هذه الأمور أو جميعها، فلا يصح أن يُعْدَلَ بكلامه كلام غيره؛ فضلًا عن أن يُعْدَلَ عنه إلى كلام غيره؛ فإنَّ هذا هو غاية الضلال، ومنتهى الخذلان.

(وَلِهَـذَا قَـالَ: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٨٢﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ المخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ، وَسَلَّمَ عَلَى المرْسَلِينَ؛ لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ).

قوله: ((**وَلِهَذَا قَالَ**...)) إلخ؛ تعليلٌ لما تقدَّم من كون كلام الله وكلام رسوله أكمل صدقًا، وأتمُّ بيانًا ونصحًا، وأبعد عن العيوب والآفات من كلام كل أحد.

[معنى التسبيح]

و((**سُبْحَانَ**))؛ اسم مصدر من التسبيح، الذي هو التنزيه والإبعاد عن السوء، وأصله من السبح، الذي هو السرعة والانطلاق والإبعاد، ومنه فرسٌ سبوح؛ إذا كانت شديدة العدو.

وإضافة الرب إلى العزة من إضافة الموصوف إلى صفته، وهو بدل من الرب قبله. فهو سبحانه ينزِّه نفسه عما ينسبه إليه المشركون من اتخاذ الصَّاحبة والولد، وعن كل نقص وعيب، ثمَّ يسلِّم على رسله عليهم الصلاة والسلام بعد ذلك؛ للإشارة إلى أنَّه كما يجب تنزيه الله عزَّ وجلَّ وإبعاده عن

كل شائبة نقص وعيب، فيجب اعتقاد سلامة الرسل في أقوالهم وأفعالهم من كل عيب كذلك، فلا يكذبون على الله، ولا يشركون به، ولا يغشُّون أممهم، ولا يقولون على الله إلا الحق.

قوله: ((والحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين))؛ ثناءٌ منه سبحانه على نفسه بماله من نعوت الكمال، وأوصاف الجلال، وحميد الفعال، وقد تقدم الكلام على معنى الحمد، فأغنى عن إعادته.

(وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيما وَصَفَ (وَسَمَّى)(١) بِهِ نَفْسَهُ بين النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ).

لـمَّا بيَّن فيما سبق أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة يصفون الله عزَّ وجلَّ بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، ولم يكن ذلك كله إثباتًا ولا كله نفيًا؛ نبَّه على ذلك بقوله: ((وهو سُبْحَانَه قَدْ جَمَعَ...)) إلخ.

واعلم أنَّ كلًّا من النفي والإثبات في الأسماء والصفات مجملٌ ومفصَّلٌ.

[الإجمال في النفي]

أمَّا الإجمال في النفي؛ فهو أن يُنفَى عن الله عزَّ وجلَّ كلُّ ما يضادُّ كماله من أنواع العيوب والنقائص؛ مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٥٩]، [المؤمنون: ٩١].

---

(١) زيادة ليست في الأصل.

[التفصيل في النفي]

وأمَّا التفصيل في النفي؛ فهو أن يُنَزَّهَ الله عن كل واحد من هذه العيوب والنقائص بخصوصه، فينَزَّهُ عن الوالد، والولد، والشريك، والصاحبة، والند، والضد، والجهل، والعجز، والضلال، والنسيان، والسِّنة، والنوم، والعبث، والباطل... إلخ.

ولكن ليس في كتاب الله ولا في السنة نفيٌ محضٌ؛ فإنَّ النفي الصرف لا مدح فيه، وإنَّما يُراد بكل نفيٍ فيهما إثبات ما يضاده من الكمال: فنفي الشريك والند؛ لإثبات كمال عظمته وتفرُّده بصفات الكمال، ونفي العجز؛ لإثبات كمال قدرته، ونفي الجهل؛ لإثبات سعة علمه وإحاطته، ونفي الظلم؛ لإثبات كمال عدله، ونفي العبث؛ لإثبات كمال حكمته، ونفي السِّنة والنوم والموت؛ لإثبات كمال حياته وقيُّومِيَّتِه.. وهكذا.

ولهذا كان النَّفي في الكتاب والسنة إنَّما يأتي مجملًا في أكثر أحواله؛ بخلاف الإثبات؛ فإنَّ التفصيل فيه أكثر من الإجمال؛ لأنَّه مقصود لذاته.

[الإجمال في الإثبات]

وأمَّا الإجمال في الإثبات؛ فمثل إثبات الكمال المطلق، والحمد المطلق، والمجد المطلق، ونحو ذلك؛ كما يشير إليه مثل قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل:٦٠].

[التفصيل في الإثبات]

وأمَّا التفصيل في الإثبات؛ فهو متناوِلٌ لكل اسم أو صفة وردت في الكتاب والسنة، وهو من الكثرة بحيث لا يمكن لأحد أن يحصيه؛ فإنَّ منها ما اختص الله عزَّ وجلَّ بعلمه؛ كما قال عليه الصلاة والسلام:

((سبحانك لا نحصي ثناءً عليكَ أنت كما أثنيتَ على نفسك))[1].

وفي حديث دعاء المكروب: ((أسألك بكل اسم هو لك؛ سميتَ به نفسك، أو أنزلته في كتابك أو علَّمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك))[2].

(فَلَا عُدُولَ لأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَ بِهِ الـمرْسَلُونَ؛ فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ المسْتَقِيمُ، صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّين وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ والصَالِحِينَ).

[الصراط المستقيم] قوله: ((**فلا عُدُولَ...**)) إلخ؛ هذا مترتِّبٌ على ما تقدم من بيان أنَّ ما جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام هو الحق الذي يجب اتِّباعه، ولا يصحُّ العدول عنه، وقد علل بأنَّه الصراط المستقيم، يعني الطريق السوي القاصد الذي لا عوج فيه ولا انحراف.

والصراط المستقيم لا يكون إلا واحدًا؛ من زاغ عنه أو انحرف وقع في طريقٍ من طرق الضلال والجَور؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[الأنعام:١٥٣]

---

(١) رواه مسلم (٤٨٦) عن عائشة مرفوعًا: ((اللهُمَّ إنِّي أعوذ برضاك من سَخَطِكَ، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيتَ على نفسك)).

(٢) رواه أحمد في ((المسند)) (٣٩١/١ و٤٥٢)، والحاكم في ((المستدرك)) (٥٠٩/١)، وابن حبان في ((صحيحه))، وصححه ابن القيم في ((بدائع الفوائد)) (١٦٦/١) وفي ((الصواعق المرسلة)) (٩١٣/٣)، وصحح إسناده أحمد شاكر في ((المسند)) (٢٦٦/٥)، وصححه الألباني في ((السلسلة الصحيحة)) (١٩٨).

والصراط المستقيم هو طريق الأمَّة الوسط، الواقع بين طرفي الإفراط والتفريط، ولهذا أمرنا الله عزَّ وجلَّ وعلَّمنا أن نسأله أن يهدينا هذا الصراط المستقيم في كل ركعة من الصلاة؛ أي: يلهمنا ويوفقنا لسلوكه واتباعه، فإنَّه صراط الذين أنعم الله عليهم من النَّبيِّين والصدِّيقين والشهداءِ والصالحين وحَسُنَ أُولئك رفيقًا.

[آيات الصفات]

((وَقَدْ دَخَلَ فِي هذِهِ الْجُمْلَةِ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الإِخْلَاصِ الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، حَيثُ يَقُولُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ① ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ④﴾ [الإخلاص: ١-٤])).

[سورة الإخلاص]

قوله: ((وَقَدْ دَخَلَ ...)) إلخ؛ شروعٌ في إيراد النصوص من الكتاب والسنة المتضمِّنة لما يجب الإيمان به من الأسماء والصفات في النفي والإثبات.

وابتدأ بتلك السورة العظيمة؛ لأنَّها اشتملت من ذلك على ما لم يشتمل عليه غيرها، ولهذا سُمِّيَتْ سُورة الإخلاص؛ لتجريدها التوحيد من شوائب الشرك والوثنية.

روى الإمام أحمد في ((مسنده)) عن أُبيٍّ بن كعب رضي الله عنه في سبب نزولها: أنَّ المشركين قالوا: يا محمد! انسب لنا ربك. فأنزل الله تبارك

وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ إلخ السورة[١].

وقد ثبت في الصحيح أنَّها تعدل ثلث القرآن[٢].

وقد اختلف العلماء في تأويل ذلك على أقوال؛ أقربها [ما نقله شيخ الإسلام عن أبي العباس][٣]، وحاصله أنَّ القرآن الكريم اشتمل على ثلاثة مقاصد أساسية:

أولها: الأوامر والنواهي المتضمِّنة للأحكام والشرائع العملية التي هي موضوع علم الفقه والأخلاق.

ثانيها: القصص والأخبار المتضمنة لأحوال الرسل عليهم الصلاة والسلام مع أممهم، وأنواع الهلاك التي حاقت بالمكذِّبين لهم، وأحوال الوعد

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢١٢٥٧)، والترمذي (٣٣٦٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٩٧/١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٨٧) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه الذهبي».

ولكن ذكر الإمام البخاري في «التاريخ الأوسط» (١٩٧/٢) و«الصغير» (٢٥٥/٢) أنه مرسل، وفي «الكبير» (٢٤٥/١) ذكر له سندين: أحدهما مرسل والآخر فيه محمد بن ميسر، قال: «فيه اضطراب».

والحديث صححه المعلمي في «التنكيل» (٢٩٩/٢) وذكر أن له شاهداً من حديث جابر رضي الله عنه، وحسَّنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢٦٨٠).

(٢) يشير إلى ما رواه البخاري (٥٠١٣) من حديث أبي سعيد الخدري، ومسلم (٨١١) و(٨١٢) من حديث أبي الدرداء وأبي هريرة رضي الله عنهم أجمعين.

(٣) في طبعة الجامعة الإسلامية: [ما نقله شيخ الإسلام أبو العباس]. والصواب ما هو مثبت هنا، وكذا في طبعة «الإفتاء»، وأبو العباس هو أبو العباس بن سريج. انظر: «مجموع الفتاوى» (١٠٣/١٧).

والوعيد، وتفاصيل الثواب والعقاب.

ثالثها: علم التوحيد، وما يجب على العباد من معرفة الله بأسمائه وصفاته، وهذا هو أشرف الثلاثة.

ولما كانت سورة الإخلاص قد تضمَّنَت أُصول هذا العلم، واشتملت عليه إجمالًا؛ صحَّ أن يقال: إنَّها تعدل ثلث القرآن.

وأمَّا كيف اشتملت هذه السورة على علوم التوحيد كلها، وتضمَّنت الأصول التي هي مجامع التوحيد العلمي الاعتقادي؟ فنقول:

[توحيد الإثبات]

إنَّ قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ دلَّت على نفي الشريك من كل وجهٍ: في الذات، وفي الصفات، وفي الأفعال؛ كما دلَّت على تفرُّده سبحانه بالعظمة والكمال والمجد والجلال والكبرياء، ولهذا لا يُطلَق لفظ ﴿أَحَدٌ﴾ في الإثبات إلا على الله عزَّ وجلَّ، وهو أبلغ من واحد.

[معنى الصمد]

وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ قد فسَّرها ابن عباس رضي الله عنه بقوله: «السَّيِّد الذي كَمُل في سؤدده، والشَّريف الذي كَمُل في شرفه، والعظيم الذي قد كَمُل في عظمته، والحليم الذي قد كَمُل في حلمه، والغني الذي قد كَمُل في غناه، والجبَّار الذي قد كَمُل في جبروته، والعليم الذي قد كَمُل في علمه، والحكيم الذي قد كَمُل في حكمته، وهو الذي قد كَمُل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله عزَّ وجلَّ، هذه صفته، لا تنبغي إلا له، ليس له

كفءٌ، وليس كمثله شيء»[١].

وقد فُسِّر الصمد أيضًا بأنَّه الذي لا جوف له[٢]، وبأنَّه الذي تصمد إليه الخليقة كلها وتقصده في جميع حاجاتها ومهمَّاتها[٣].

فإثبات الأحدية لله تضمَّن نفي المشاركة والمماثلة.

وإثبات الصمديَّة بكل معانيها المتقدمة تتضمن إثبات جميع تفاصيل الأسماء الحسنى والصفات العلى. وهذا هو توحيد الإثبات.

[توحيد التنزيه] وأمَّا النوع الثاني - وهو توحيد التنزيه -؛ فيؤخذ من قوله تعالى: ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾؛ كما يؤخذ

---

(١) رواه ابن جرير في «جامع البيان» (٧٣٦/٢٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (ص ٣٤١٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٣٨٣/١)، كلهم من طريق علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه؛ وعلي ابن أبي طلحة صدوق يخطيء، ولم يَلقَ ابن عباس، وإنما أخذ تفسيره عن مجاهد، فروايته عنه منقطعة.

لكن نقل السيوطي في «الاتقان» (٢٣٧/٤) عن الحافظ ابن حجر قوله: «بعد أن عرفت الواسطة، وهو ثقة - يعني مجاهدًا - فلا ضير في ذلك». وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٥٠/٨): «ثابت عن عبد الله بن أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة الوالبي، لكن يقال: إنه لم يسمع التفسير من ابن عباس، ولكن مثل هذا الكلام ثابت عن السَّلف».

(٢) صحَّ ذلك عن: مجاهد، والحسن، والضحاك، وورد مرفوعًا، ولكن لا يصحّ. انظر: «العظمة» لأبي الشيخ (٣٧٩/١)، و«السنة» لابن أبي عاصم، ومعه «ظلال الجنَّة» للألباني (رقم٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٨٠، ٦٨٨، ٦٨٩).

(٣) صحَّ ذلك عن إبراهيم النخعي. انظر: «السنة» لابن أبي عاصم (رقم٦٨٧). وورد عن ابن عباس رضي الله عنهما بإسناد ضعيف. انظر «العظمة» (٣٨٠/١).

إجمالًا من قوله: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ أي: لم يتفرَّع عنه شيء، ولم يتفرَّع هو عن شيء، وليس له مكافئ ولا مماثل ولا نظير.

فانظر كيف تضمَّنت هذه السورة توحيد الاعتقاد والمعرفة، وما يجب إثباته للرَّبِّ تعالى من الأَحَدِيَّة المنافية لمطلق المشاركة، والصمَدِيَّةِ المثْبِتَة له جميع صفات الكمال الذي لا يلحقه نقصٌ بوجه من الوجوه، ونفي الولد والوالد الذي هو من لوازم غناه وصمَدِيَّتِه وأَحدِيَّتِه، ثمَّ نفي الكفء المتضمن لنفي التشبيه والتمثيل والنظير[1]؟

فحُقَّ لسورة تضمَّنت هذه المعارف كلها أن تعدل ثلث القرآن.

[آية الكرسي]

((وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ؛ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥]))[2].

روى مسلم في ((صحيحه)) عن أُبيّ بن كعب أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سأله: ((أي آية في كتاب الله أعظم؟)). قال: الله ورسوله أعلم. فردَّدها مرارًا، ثمَّ قال أُبيٌّ: آية الكرسي. فوضع النبي يده على كتفه، وقال:

(١) كذا في المطبوع، والأولى أن يقال: ((الكفء المتضمن لنفي الشبيه والمثيل والنظير)).

(٢) زاد في الأصل بعد الآية: ((ولهذا كان من قَرَأَ هذه الآيَةَ في ليلةٍ لَم يَزَلْ عليه مِنَ الله حَافِظٌ وَلَا يقربهُ شَيْطَانٌ حَتَّى يُصْبِحَ)).

((ليهنك هذا العلم أبا المنذر))[١].

وفي رواية عند أحمد: ((والذي نفسي بيده؛ إنَّ لها لسانًا وشفتين تُقدِّس الملك عند ساق العرش))[٢].

ولا غرو، فقد اشتملت هذه الآية العظيمة من أسماء الربِّ وصفاته على ما لم تشتمل عليه آية أخرى.

فقد أخبر الله فيها عن نفسه بأنَّه المتوحِّد في إلهيَّتِه، الذي لا تنبغي العبادة بجميع أنواعها وسائر صورها إلا له.

ثم أردف قضية التوحيد بما يشهد لها من ذكر خصائصه وصفاته الكاملة، فذكر أنَّه الحي الذي له كمال الحياة؛ لأنَّ حياته من لوازم ذاته، فهي أزليَّة أبديَّة، وكمال حياته يستلزم ثبوت جميع صفات الكمال الذاتيَّة له، من العزَّة والقدرة والعلم والحكمة والسمع والبصر والإرادة والمشيئة وغيرها؛ إذ لا يتخلَّف شيء منها إلا لنقصٍ في الحياة، فالكمال في الحياة يتبعه الكمال في سائر الصفات اللازمة للحيِّ.

[معنى القيوم] ثم قرن ذلك باسمه القيوم، ومعناه الذي قام بنفسه، واستغنى عن جميع خلقه غنًى مطلقًا لا تشوبه شائبةُ حاجةٍ أصلًا؛ لأنَّه غنًى ذاتيٌّ، وبه قامت الموجودات كلها، فهي فقيرة إليه فقرًا ذاتيًّا، بحيث لا تستغني عنه لحظة،

---

(١) رواه مسلم (٨١٠).

(٢) روى هذه الزيادة بإسناد صحيح: عبد بن حميد في ((مسنده)) (١٩٩/١) من طريق مسلم نفسه، كما رواها أحمد في ((المسند)) (١٤١/٥) (٢١٣١٥)، والطيالسي (٣١٢/١) (٥٥٢)، والبغوي في ((شرح السنة)) (٤٥٩/٤)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٣٢٣/٥).

فهو الذي ابتدأ إيجادها على هذا النحو من الإحكام والإتقان، وهو الذي يدبِّر أمورها، ويمدها بكل ما تحتاج إليه في بقائها، وفي بلوغ الكمال الذي قدَّره لها.

فهذا الاسم متضمِّنٌ لجميع صفات الكمال الفعليَّة، كما أنَّ اسمه الحي متضمِّن لجميع صفات الكمال الذاتية، ولهذا ورد أنَّ الحي القيوم هما اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دُعي به أجاب.

ثم أعقب ذلك بما يدلُّ على كمال حياته وقيُّوميَّته، فقال: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ﴾؛ أي لا تغلبه ﴿سِنَةٌ﴾؛ أي نعاسٌ ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾؛ فإنَّ ذلك ينافي القيومية؛ إذ النوم أخو الموت،ولهذا كان أهل الجنَّة لا ينامون.

ثم ذكر عموم ملكه لجميع العوالم العُلْوية والسُّفلية، وأنَّها جميعًا تحت قهره وسلطانه، فقال: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

ثم أردف ذلك بما يدلُّ على تمام ملكه، وهو أنَّ الشفاعة كلها له، فلا يشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه.

وقد تضمَّن هذا النفي والاستثناء أمرين:

[إثبات الشفاعة الشرعية]

أحدهما: إثبات الشفاعة الصحيحة، وهي أنَّها تقع بإذنه سبحانه لمن يرضى قوله وعمله.

[إبطال الشفاعة الشركية]

والثاني: إبطال الشفاعة الشركيَّة التي كان يعتقدها المشركون لأصنامهم، وهي أنَّها تشفع لهم بغير إذن الله ورضاه.

ثم ذكر سعة علمه وإحاطته، وأنَّه لا يخفى عليه شيء من الأمور المستقبلة والماضية.

وأمَّا الخلق فإنَّهم ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾؛ قيل: يعني من معلومه. وقيل: من علم أسمائه وصفاته؛ ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ الله سبحانه أن يعلمهم إياه على ألسنة رسله، أو بغير ذلك من طرق البحث والنظر والاستنتاج والتجربة.

ثم ذكر ما يدل على عظيم ملكه، وواسع سلطانه، فأخبر أنَّ كرسيَّه قد وسع السماوات والأرض جميعًا.

[معنى الكرسي] والصحيح في الكرسي أنَّه غير العرش، وأنَّه موضع القدمين، وأنَّه في العرش كحلْقة ملقاة في فلاة.

وأمَّا ما أورده ابن كثير عن ابن عباس في تفسير الكرسي بالعلم؛ فإنَّه لا يصحُّ(١)، ويفضي إلى التكرار في الآية.

---

(١) لأنه من رواية جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

قال الدارمي في رده على بشر المريسي (٤١١/١): «ليس جعفر ممن يُعتمد على روايته، إذ قد خالفته الرواة الثقات المتقنون». وقال الذهبي في «الميزان» (٤١٧/١): «قال ابن منده: ليس هو بالقوي في سعيد بن جبير. وقال عن سند هذه الرواية: لم يُتابع عليه».

وقال أحمد شاكر في «عمدة التفسير» (١٦٢/٢): «إسناده جيد، ولكنه شاذٌّ بمرة، مخالفٌ للثابت الصحيح عن ابن عباس». ثمَّ علَّق على رواية ابن عباس في تفسيره بأنه موضع القدمين، وقال: «وهذا هو الصحيح الثابت عن ابن عباس، وأما الرواية السابقة عنه بتأويل الكرسي بالعلم؛ فهي رواية شاذَّة، لا يقوم عليها دليلٌ من كلام العرب، ولذلك رجَّح =

ثم أخبر سبحانه بعد ذلك عن عظيم قدرته وكمال قوته بقوله: ﴿وَلَا يَئُودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ﴾؛ أي: السموات والأرض وما فيهما.

وفَسَّر الشيخ رحمه الله ﴿وَلَا يَئُودُهُۥ﴾ بـ: (يثقله ويُكْرِثُه)، وهو من آده الأمر: إذا ثقل عليه.

ثم وصف نفسه سبحانه في ختام تلك الآية الكريمة بهذين الوصفين الجليلين؛ وهما: ﴿ٱلْعَلِيُّ﴾، و ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾.

فالعَلِيُّ: هو الذي له العلوُّ المطلق من جميع الوجوه: [أنواع العلو]

علو الذَات: وكونه فوق جميع المخلوقات مستويًا على عرشه.

وعلو القَدْر: إذ كان له كل صفة كمال، وله من تلك الصفة أعلاها وغايتها.

وعُلُو القَهْر: إذ كان هو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير.

وأمَّا العظيم؛ فمعناه الموصوف بالعظمة، الذي لا شيء أعظم منه، ولا أجل، ولا أكبر، وله سبحانه التعظيم الكامل في قلوب أنبيائه وملائكته وأصفيائه.

(وَقَوْلُه سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣])

= أبو منصور الأزهريُّ الرواية الصحيحة عن ابن عباس، وقال: ((وهذه رواية اتَّفق أهل العلم على صحتها، ومن روي عنه في الكرسي أنه العلم؛ فقد أبطل)). اهـ

[معنى: الأول، والآخر، والظاهر، والباطن]

قولـه: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾؛ الجملـة هنـا جـاءت معرفـة الطـرفين؛ فهـي تفيـد اختصاصـه سـبحانه بهـذه الأسمـاء الأربعـة ومعانيهـا علـى مـا يليـق بجلالـه وعظمته، فلا يُثْبَت لغيره من ذلك شيء.

وقد اضطربت عبارات الـمتكلِّمين في تفسير هذه الأسماء، ولا داعي لهذه التفسيرات بعدما ورد تفسيرها عن المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، فقد روى مسلم في ((صحيحه)) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه كان يقول إذا أوى إلى فراشه: ((اللهمَّ ربَّ السماواتِ السبع، وربَّ الأرضِ، ربَّ كل شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن؛ أعوذ بك من شر كل ذي شرٍّ أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقضِ عني الدين وأغْنِني من الفقر))[١].

فهذا تفسير واضحٌ جامعٌ يدلُّ على كمال عظمته سبحانه، وأنَّه محيطٌ بالأشياء من كل وجه.

فالأول والآخر: بيان لإحاطته الزَّمانية.

والظاهر والباطن: بيان لإحاطته المكانية.

كما أنَّ اسمه الظاهر يدل على أنَّه العالي فوق جميع خلقه، فلا شيء منها فوقه.

---

(١) رواه مسلم (٢٧١٣)، ورواه أيضًا أبو داود والترمذي بألفاظ متقاربة.

فمدار هذه الأسماء الأربعة على الإحاطة، فأحاطت أَوَّلِيَّتُهُ وآخريَّتُهُ بالأوائل والأواخر، وأحاطت ظاهريَّته وباطنيَّتُهُ بكل ظاهرٍ وباطنٍ.

فاسمه **الأول**: دالٌّ على قِدَمِهِ وأزليَّتِهِ.

واسمه **الآخر**: دالٌّ على بقائِهِ وأبديَّتِه.

واسمه **الظاهر**: دالٌّ على علوِّه وعظمته.

واسمه **الباطن**: دالٌّ على قربِه ومعيَّتِه.

ثم خُتِمَت الآية بما يفيد إحاطة علمه بكل شيء من الأمور الماضية والحاضرة والمستقبلة، ومن العالم العُلوي والسُّفلي، ومن الواجبات والجائزات والمستحيلات، فلا يغيب عن علمه مثقال ذرَّة في الأرض ولا في السماء.

فالآية كلها [في][1] شأن إحاطة الرب سبحانه بجميع خلقه من كل وجه، وأنَّ العوالم كلها في قبضة يده؛ كخردلة في يد العبد، لا يفوته منها شيء، وإنَّما أتى بين هذه الصفات بالواو مع أنَّها جارية على موصوف واحد؛ لزيادة التقرير والتأكيد؛ لأنَّ الواو تقتضي تحقيق الوصف المتقدم وتقريره، وَحَسُنَ ذلك لمجيئها بين أوصاف متقابلة قد يسبق إلى الوهم استبعاد الاتصال بها جميعًا؛ فإنَّ الأوَّلية تنافي الآخريَّة في الظاهر، وكذلك الظاهرية والباطنية، فاندفع توهُّم الإنكار بذلك التأكيد.

(١) ليست في الشرح الأصل، ولكن يقتضيها السياق.

(وَقَوْلُه سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨])(١).

[إثبات اسم الحي] قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ﴾... إلخ؛ هذه الجملة من الآيات ساقها المؤلف لإثبات بعض الأسماء والصفات.

فالآية الأولى فيها إثبات اسمه الحيِّ، كما تضمَّنت سلب الموت الذي هو ضد الحياة عنه، وقد قدَّمنا أنَّه سبحانه حيٌّ بحياة هي صفة له لازمة لذاته، فلا يعرض لها موت ولا زوال أصلًا، وأنَّ حياته أكمل حياة وأتمها، فيستلزم ثبوتُها له ثبوتَ كلِّ كمال يضادُّ نفيُه كمالَ الحياة.

[إثبات صفة العلم] وأمَّا الآيات الباقية؛ ففيها إثبات صفة العلم وما اشتُقَّ منها؛ ككونه عليمًا، ويعلم وأحاط بكل شيءٍ علمًا... إلخ.

(وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ [التحريم: ٢]، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [سبأ: ١-٢]، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ﴾ [فصلت: ٤٧] [فاطر: ١١]، وَقَوْلُهُ: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ۝١٢﴾ [الطلاق: ١٢]).

والعلم صفة لله عزَّ وجلَّ، بها يدرك جميع المعلومات على ما هي به،

---

(١) في الأصل تقديم وتأخير بين هذه الآية والتي قبلها.

فلا يخفى عليه منها شيء؛ كما قدمنا.

[إثبات اسم الحكيم]

وفيها إثبات اسمه الحكيم، وهو مأخوذٌ من الحكمة، ومعناه: الذي لا يقول ولا يفعل إلا الصواب، فلا يقع منه عبثٌ ولا باطلٌ، بل كل ما يخلقه أو يأمر به فهو تابعٌ لحكمته.

وقيل: هو من فعيل بمعنى مُفْعِل، ومعناه: المحْكِم للأشياء، من الإحكام: وهو الإتقان، فلا يقع في خلقه تفاوتٌ ولا فطورٌ، ولا يقع في تدبيره خللٌ أو اضطرابٌ.

[إثبات اسم الخبير]

وفيها كذلك إثبات اسمه الخبير، وهو من الخبرة؛ بمعنى كمال العلم، ووثوقه، والإحاطة بالأشياء على وجه التفصيل، ووصول علمه إلى ما خفي ودقَّ من الحسيات والمعنويات.

وقد ذكر سبحانه في هذه الآيات بعض ما يتعلَّق به علمُه؛ للدلالة على شموله وإحاطته بما لا تبلغه علوم خلقه:

فذكر أنَّه:﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ ﴾؛ أي: يدخل ﴿فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ من حبٍّ وبذرٍ ومياه وحشرات ومعادن،﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ من زرعٍ وأشجارٍ وعيونٍ جاريةٍ ومعادن نافعة كذلك، ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ من ثلجٍ وأمطار وصواعقَ وملائكةٍ،﴿وَمَا يَعْرُجُ ﴾؛ أي: يصعد ﴿فِيهَاۚ ﴾ كذلك من ملائكة وأعمال وطير صوافَّ... إلى غير ذلك مما يعلمه جل شأنه.

وذكر فيها أيضًا أنَّ ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ ﴾،

ومفاتح الغيب؛ قيل: خزائنه. وقيل: طرقه وأسبابه التي يتوصل بها إليه، جمع مِفتح؛ بكسر الميم، أو مفتاح؛ بحذف ياء مفاعيل.

وقد فَسَّرها النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: ((مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله))[١]، ثمَّ تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤].

[المعتزلة]

وقد دلَّت الآيتان الأخيرتان على أنَّه سبحانه عالم بعلم هو صفة له، قائم بذاته؛ خلافًا للمعتزلة[٢] الذين نفوا صفاته، فمنهم من قال: إنَّه عالم بذاته، وقادر بذاته.. إلخ، ومنهم مَن فسَّر أسماءه بمعانٍ سلبية، فقال: عليم؛ معناه: لا يجهل. وقادرٌ؛ معناه: لا يعجز.. إلخ.

وهذه الآيات حجة عليهم، فقد أخبر فيها سبحانه عن إحاطة علمه بحمل كل أنثى ووضعها من حيث المعنى والكيف؛ كما أخبر عن عموم قدرته، وتعلقها بكل ممكن، وعن إحاطة علمه بجميع الأشياء.

---

(١) رواه البخاري (٤٧٧٨).

(٢) المعتزلة: هم في الصفات جهمية ينفونها، وفي القدر قدريَّة يقولون: أعمال العباد مخلوقةٌ لهم، وينكِرون رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، ويوجبون على الله الثواب والعقاب والصلاح والأصلح، ويقولون بالعدل، والمنزلة بين المنزلتين، ويقدمون العقل على النقل، وهم أتباع واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري، وهم عشرون فرقة، وأصل معتقدهم باقٍ إلى اليوم، متمثل بوجه أو بآخر في كل من الشيعة والزيدية والإباضية، وفيمن يُسمَّوْن بالعقلانيين أو العصرانيين، ويلحق بهم من سُمُّوا زورًا بالتنويريين أو المستنيرين.

وما أحسن ما قاله الإمام عبد العزيز المكي[(١)] في كتابه «الحيدة» لبشر المرِيسِيِّ[(٢)] المعتزلي وهو يناظره في مسألة العلم: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يمدح في كتابه [مَلَكًا مقرَّبًا ولا نبيًا مرسلًا][(٣)] ولا مؤمنًا تقيًّا بنفي الجهل عنه؛ ليدل على إثبات العلم له، وإنَّما مدحهم بإثبات العلم لهم، فنفى بذلك الجهل عنهم... فمَن أثبت العلم نفى الجهل، ومَن نفى الجهل لم يثبت العلم»[(٤)].

والدليل العقلي على علمه تعالى أنَّه يستحيل إيجاده الأشياء مع الجهل؛ لأنَّ إيجاده الأشياء بإرادته، والإرادة تستلزم العلم بالمراد، ولهذا قال سبحانه: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك: ١٤].

ولأنَّ المخلوقات فيها من الإحكام والإتقان وعجيب الصنعة ودقيق الخلقة ما يشهد بعلم الفاعل لها؛ لامتناع صدور ذلك عن غير علم.

ولأنَّ من المخلوقات من هو عالم، والعلم صفة كمال، فلو لم يكن الله عالما؛ لكان في المخلوقات مَن هو أكمل منه.

---

(١) هو عبد العزيز بن يحيى الكناني المكي الفقيه، كان من أهل العلم والفضل، تفقَّه على الشافعي وصاحَبَهُ، توفي سنة (٢٤٠هـ).

(٢) متكلِّم مناظر من موالي آل زيد بن الخطاب، من الداعين بخلق القرآن، وكان عالم الجهمية في عصره، مات سنة (٢١٨هـ).

(٣) كذا في طبعة الجامعة الإسلامية، وكتاب «الحيدة» نشر عبد العزيز آل الشيخ (ص٣٢)، وفي طبعة الإفتاء بدون [مقربًا]، وفي كتاب «الحيدة» تحقيق الدكتور علي الفقيهي (ص٤٦): [ملكًا ولا نبيًّا].

(٤) «الحيدة» (ص٣٠) طبعة الجامعة الإسلامية، و(ص٤٦) بتحقيق الفقيهي.

وكل علم في المخلوق إنَّما استفاده من خالقه، وواهب الكمال أحق به، وفاقد الشيء لا يعطيه.

[الفلاسفة] وأنكرت الفلاسفة(١) علمه تعالى بالجزئيات، وقالوا: إنَّه يعلم الأشياء على وجه كليٍّ ثابتٍ، وحقيقة قولهم أنَّه لا يعلم شيئًا؛ فإنَّ كل ما في الخارج هو جزئي.

[القدرية] كما أنكر الغُلاة من القدَرِيَّة(٢) علمه تعالى بأفعال العباد حتى يعملوها؛ توهُّمًا منهم أنَّ علمه بها يفضي إلى الجبر، وقولهم معلوم البطلان بالضرورة في جميع الأديان.

(وَقَوْله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات:٥٨])

[إثبات اسم الرزاق] قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ؛ تضمَّنَتْ إثبات اسمه الرَّزَّاق، وهو مبالغة من الرزق، ومعناه: الذي يرزق عباده رزقًا بعد رزق في إكثار وسعة.

وكل ما وصل منه سبحانه من نفعٍ إلى عباده فهو رزقٌ؛ مباحًا كان أو غير مباح، على معنى أنَّه قد جعله لهم قوتًا ومعاشًا؛ قال تعالى: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ [ق:١٠-١١]. وقال: ﴿وَفِي

---

(١) الفلاسفة: هم الذين ينكرون علم الله تعالى، وينكرون حشر الأجساد، ومذهبهم أن العالم قديم، وعلته مؤثرة بالإيجاب، وليست فاعلة بالاختيار.

(٢) القدرية: هم أتباع معبدٍ الجُهَنِيّ، وغيلان الدمشقي، المنكرون للقدر، المكذبون بتقدير الله تعالى لأفعال العباد، الذين قالوا: إن علم الله مستأنفٌ ليس بقديم، وإن العباد هم الموجِدون لأعمالهم. وبقولهم قالت المعتزلة.

﴿ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾ [الذاريات:٢٢].

إلا أنَّ الشيء إذا كان مأذونًا في تناوله؛ فهو حلالٌ حكمًا، وإلا كان حرامًا، وجميع ذلك رزقٌ.

وتعريف الجملة الاسمية والإتيان فيها بضمير الفصل؛ لإفادة اختصاصه سبحانه بإيصال الرزق إلى عباده.

وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنِّي أنا الرزاق ذو القوة المتين»[1].

[إثبات اسم القوي]

وأمَّا قوله: ﴿ذُو ٱلۡقُوَّةِ﴾؛ أي صاحب القوة؛ فهو بمعنى اسمه القوي؛ إلا أنَّه أبلغ في المعنى، فهو يدلُّ على أنَّ قوَّته سبحانه [لا تتناقص فَيَهِنُ أو يَفتُرُ][2].

[إثبات اسم المتين]

وأمَّا ﴿ٱلۡمَتِينُ﴾؛ فهو اسم له من المتانة، وقد فسَّره ابن عباس بـ «الشديد»[3].

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣٧٤١)، والترمذي في «السنن» (٢٩٤٠)، وقال: «حديث حسن صحيح»، وأبو داود في «السنن» (٣٩٩٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٤/٤٠٦).
والحديث صحح إسناده أحمد شاكر في «تحقيق المسند» (٥/٢٧٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢٣٤٣).

(٢) علَّق الشيخ عبد الرزاق عفيفي في طبعة الجامعة الإسلامية بقوله: «هكذا بالأصل، والصواب أن يقال: [لا نقص فيها ولا فتور]». اهـ

(٣) رواه ابن جرير بسنده في تفسير الآية (٥٨) من سورة الذاريات، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، وقد تقدم الكلام عن رواية علي عن ابن عباس.

(وَقَوْله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].
وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨])

قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ...﴾ إلخ؛ دلَّ إثباتُ صفتي السمع والبصر له سبحانه بعد نفي المثل عنه، على أنَّه ليس المراد من نفي المثل نفي الصفات؛ كما يدَّعي ذلك المعطِّلة، ويحتجون به باطلًا، بل المراد إثبات الصفات مع نفي مماثلتها لصفات المخلوقين.

قال العلَّامة ابن القيم رحمه الله: «قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ...﴾ إنَّما قصد به نفي أن يكون معه شريكٌ أو معبودٌ يستحقُّ العبادة والتعظيم؛ كما يفعله المشبهون والمشركون، ولم يقصد به نفي صفات: كماله، وعلوِّه على خلقه، وتكلمه بكتبه، وتكلمه لرسله، ورؤية المؤمنين له جهرة بأبصارهم كما ترى الشمس والقمر في الصحو...»(١) اهـ.

[إثبات اسمي: السميع، والبصير]

ومعنى ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾: المدرك لجميع الأصوات مهما خفتت، فهو يسمع السر والنجوى بسمع هو صفة لا يماثل أسماع خلقه(٢).

ومعنى ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾: المدرك لجميع المرئيات من الأشخاص والألوان مهما لطفت أو بعدت، فلا تؤثر على رؤيته الحواجز والأستار، وهو من فعيل بمعنى مُفْعِل، وهو دالٌّ على ثبوت صفة البصر له سبحانه على الوجه

---

(١) «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» (٢/٢٣١).

(٢) (إن أراد به لا يماثله في مطلق السمع والإدراك فهذا خطأ، لأن المطلق الكلي مشترك وهو إدراك المسموع، وإن أراد به لا يماثله فيما يختص به سمع الله من الإحاطة والشمول وانتفاء النقص والحدوث؛ فهذا حق، والأولى أن يقال: بسمع يليق به) (ابن عثيمين).

الذي يليق به.

روى أبو داود في ((سننه)) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء:٥٨]، فوضع إبهامه على أذنه، والتي تليها على عينيه(١).

ومعنى الحديث أنَّه سبحانه يسمع بسمع، ويرى بعين، فهو حجة على بعض الأشاعرة(٢) الذين يجعلون سمعه علمه بالمسموعات، وبصره علمه بالمبصرات، وهو تفسير خاطئ؛ فإنَّ الأعمى يعلم بوجود السماء ولا يراها، والأصم يعلم بوجود الأصوات ولا يسمعها.

(وقوله: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف:٣٩]، وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٢٨)، وابن حبان (١/٤٩٨) (٢٦٥)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٩/١٣٢) (٩٣٣٤).

قال الحافظ ابن حجر في ((الفتح)) (١٣/٣٧٣): ((أخرجه أبو داود بسند قوي على شرط مسلم)). ثمَّ ذكر حديث عقبة بن عامر عند البيهقي: ((سمعتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يقول على المنبر: ((إن ربنا سميع بصير))، وأشار بيده إلى عينه)). وقال الحافظ: ((سنده حسن)).

وفي صحيح البخاري (٧٤٠٧) من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: (إن الله ليس بأعور – وأشار بيده إلى عينه–).

(٢) الأشاعرة: هم أتباع أبي الحسن الأشعري؛ الذي كان معتزليًّا، ثمَّ ترك الاعتزال، واتَّخذ له مذهبًا بين الاعتزال ومذهب أهل السُّنَّة والجماعة، ثمَّ رجع وتاب، ووافق الإمام أحمد وأهل السُّنَّة والجماعة في معتقداتهم، وبقي بعض أتباعه إلى اليوم يحملون معتقده الثاني، وهم مرجئة في الإيمان، مؤوِّلة في الصفات، أقرب فرق البدع إلى أهل السُّنَّة والجماعة.

يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ [البقرة:٢٥٣]، وَقَوْلِه: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾ [المائدة:١]، وَقَوْلِه: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [الأنعام:١٢٥])

[إثبات صفتي الإرادة والمشيئة]

قوله: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ..﴾ إلخ. هذه الآيات دلَّت على إثبات صفتي الإرادة والمشيئة، والنصوص في ذلك لا تحصى كثرة.

والأشاعرة يثبتون إرادة واحدة قديمة تعلَّقت في الأزل بكل المرادات، فيلزمهم تخلُّف المراد عن الإرادة.

وأمَّا المعتزلة؛ فعلى مذهبهم في نفي الصفات لا يثبتون صفة الإرادة، ويقولون: إنَّه يريد بإرادة حادثة لا في محل، فيلزمهم قيام الصفة بنفسها، وهو من أبطل الباطل.

وأمَّا أهل الحق؛ فيقولون: إنَّ الإرادة على نوعين:

١- إرادة كونية ترادفها المشيئة، وهما تتعلَّقان بكل ما يشاء الله فعله وإحداثه، فهو سبحانه إذا أراد شيئًا وشاءه؛ كان عقب إرادته له؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]. وفي الحديث الصحيح: ((ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن))[1].

---

(١) جزء من حديث ضعيف؛ رواه أبو داود، (٥٠٧٥)، والنسائي في ((عمل اليوم والليلة)) (ص١٤٠ رقم١٢)، وابن السني من طريقه في ((عمل اليوم والليلة)) (ص٢٥ رقم٤٦). =

٢- وإرادة شرعية تتعلق بما يأمر الله به عباده مما يحبه ويرضاه، وهي المذكورة في مثل قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[البقرة: ١٨٥].

ولا تلازم بين الإرادتين؛ بل قد تتعلَّق كل منهما بما لا تتعلق به الأخرى، فبينهما عمومٌ وخصوصٌ من وجه.

[الإرادة الكونية والشرعية]

فالإرادة الكونية أعمُّ من جهة تعلُّقها بما لا يحبُّه الله ويرضاه من الكفر والمعاصي، وأخصُّ من جهة أنَّها لا تتعلق بمثل إيمان الكافر وطاعة الفاسق.

والإرادة الشرعية أعمُّ من جهة تعلُّقها بكل مأمور به واقعًا كان أو غير واقع، وأخصُّ من جهة أنَّ الواقع بالإرادة الكونية قد يكون غير مأمور به.

والحاصل أنَّ الإرادتين قد تجتمعان معًا في مثل إيمان المؤمن، وطاعة المطيع.

وتنفرد الكونية في مثل كفر الكافر، ومعصية العاصي.

وتنفرد الشرعية في مثل إيمان الكافر، وطاعة العاصي.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ ﴾ الآية؛ هذا من قول الله حكاية عن الرجل المؤمن لزميله الكافر صاحب الجنَّتين؛ يعظه به أن يشكر نعمة

= والحديث ضعفه العراقي في تخريج الإحياء (٤١٧/١)، وقال الحافظ في «الفتوحات الربانية» (١٢١/٢): «حديث غريب». وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٤١٢١).
لكنَّ معناه صحيحٌ حتمًا.

الله عليه، ويردَّها إلى مشيئة الله، ويبرأ من حوله وقوته؛ فإنَّه لا قوة إلا بالله.

وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ الآية؛ إخبارٌ عمَّا وقع بين أتباع الرسل من بعدهم: من التنازع، والتعادي بغيًا بينهم وحسدًا، وأنَّ ذلك إنَّما كان بمشيئة الله عزَّ وجلَّ، ولو شاء عدم حصوله ما حصل، ولكنه شاءه فوقع.

وقوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ...﴾ إلخ؛ الآية تدل على أنَّ كلًّا من الهداية والضلال بخلق الله عزَّ وجلَّ،فمن يرد هدايته أي:إلهامه وتوفيقه يشرح صدره للإسلام، بأن يقذف في قلبه نورًا، فيتسع له، وينبسط؛ كما ورد في الحديث، ومن يرد إضلاله وخذلانه يجعل صدره في غاية الضيق والحرج، فلا ينفذ إليه نور الإيمان، وشبَّه ذلك بمن يصعد في السماء.

[إثبات صفة المحبة]

(وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة:١٩٥]، ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات:٩]، ﴿فَمَا ٱسْتَقَـٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾ [التوبة:٧]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة:٢٢٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [الصف:٤])

تضمَّنت هذه الآيات إثبات أفعالٍ له تعالى ناشئة عن صفة المحبة، ومحبة الله عزَّ وجلَّ لبعض الأشخاص والأعمال والأخلاق صفة له قائمة به،

وهي من صفات الفعل الاختيارية التي تتعلق بمشيئته، فهو يحبُّ بعض الأشياء دون بعض على ما تقتضيه الحكمة البالغة.

وينفي الأشاعرة والمعتزلة صفة المحبة؛ بدعوى أنَّها توهم نقصًا؛ إذ المحبة في المخلوق معناها ميله إلى ما يناسبه أو يستلذُّه.

فأمَّا الأشاعرة؛ فيُرجعونها إلى صفة الإرادة، فيقولون: إنَّ محبة الله لعبده لا معنى لها إلا إرادته لإكرامه ومثوبته.

وكذلك يقولون في صفات الرضا والغضب والكراهية والسخط؛ كلها عندهم بمعنى إرادة الثواب والعقاب.

وأمَّا المعتزلة؛ فلأنَّهم لا يثبتون إرادة قائمة به، فيفسرون المحبة بأنَّها نفس الثواب الواجب عندهم على الله لهؤلاء؛ بناء على مذهبهم في وجوب إثابة المطيع وعقاب العاصي.

وأمَّا أهل الحق؛ فيثبتون المحبة صفة حقيقية لله عزَّ وجلَّ على ما يليق به، فلا تقتضي عندهم نقصًا ولا تشبيهًا.

كما يثبتون لازم تلك المحبة، وهي إرادته سبحانه إكرام من يحبه وإثابته[١].

وليت شعري بماذا يجيب النافون للمحبَّة عن مثل قوله عليه السلام في

(١) الأولى أن يقال: «كما يثبتون لازم تلك المحبة؛ وهي إكرام من يحبه وإثابته» حتى لا تفسَّر الصفة بصفة أخرى، فالإرادة صفة والإكرام صفة فلا يقال إرادة الإكرام، بل لازم المحبة إكرام من يحبه.

حديث أبي هريرة: ((إنَّ الله إذا أحبَّ عبدًا؛ قال لجبريل عليه السلام: إنِّي أحب فلانًا فأحبَّه. قال: فيقول جبريل عليه السلام لأهل السماء: إنَّ ربكم عزَّ وجلَّ يحب فلانًا فأحبوه. قال: فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغضه فمثيل ذلك))[١]، رواه الشيخان؟!

[معنى الإحسان]

وقوله تعالى في الآية الأولى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ﴾ أمرٌ[٢] بالإحسان العام في كل شيء؛ لاسيما في النفقة المأمور بها قبل ذلك، والإحسان فيها يكون بالبذل وعدم الإمساك، أو بالتوسط بين التقتير والتبذير، وهو القوام الذي أمر الله به في سورة الفرقان[٣].

روى مسلم في ((صحيحه)) عن شداد بن أوس أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((إنَّ الله كتب الإحسان على كل شيء؛ فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحدَّ أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته))[٤].

وأمَّا قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فهو تعليل للأمر بالإحسان، فإنَّهم

(١) رواه البخاري (٧٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٧).

(٢) (إن أراد أن الله تعالى أمر به بصيغة الأمر المعروفة فغير صحيح فإن الله لم يأمر به فيها، وإن أراد أن الله أمر به ضمنًا ولازمًا حيث أخبر أنه من صفات عباد الرحمن الذين أثنى عليهم ومدحهم، فهذا حق) (ابن عثيمين).

(٣) يشير إلى قوله تعالى في سورة الفرقان (٦٧): ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾.

(٤) رواه مسلم (١٩٥٥)، والترمذي، وأبو داود، والنسائي، وغيرهم.

إذا علموا أنَّ الإحسان موجبٌ لمحبَّته؛ ساروعوا إلى امتثال الأمر به.

[معنى الإقساط]

وأمَّا قوله في الآية الثانية: ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ﴾؛ فهو أمرٌ بالإقساط، وهو العدل في الحكم بين الطائفتين المتنازعتين من المؤمنين، وهو من قَسَطَ؛ إذا جار، فالهمزة فيه للسلب، ومن أسمائه تعالى: المقْسِط.

وفي الآية الحث على العدل وفضله، وأنَّه سبب لمحبة الله عزَّ وجلَّ.

وأمَّا قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ﴾؛ فمعناه: إذا كان بينكم وبين أحدٍ عهدٌ كهؤلاء الذين عاهدتموهم عند المسجد الحرام؛ فاستقيموا لهم على عهدهم مدة استقامتهم لكم، فـ(ما) هنا مصدرية ظرفية.

ثم علَّل ذلك الأمر بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾؛ أي: يحبُّ الذين يتَّقون الله في كل شيء، ومنه عدم نقض العهود.

وأمَّا قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ...﴾ إلخ؛ فهو إخبار من الله سبحانه وتعالى عن محبته لهذين الصنفين من عباده.

أمَّا الأول: فهم التَّوَّابون؛ أي: الذين يكثرون التوبة والرجوع إلى الله عزَّ وجلَّ بالاستغفار مما ألَمُّوا به على ما تقتضيه صيغة المبالغة، فهم بكثرة التوبة قد تطهَّروا من الأقذار والنجاسات المعنوية التي هي الذنوب والمعاصي.

وأمَّا الثاني: فهم المتطهرون؛ الذين يبالغون في التطهر، وهو التنظيف بالوضوء أو بالغسل من الأحداث والنجاسات الحسية. وقيل: المراد

بالمتطهرين هنا الذين يتنزهون من إتيان النساء في زمن الحيض أو في أدبارهن، والحمل على العموم أولى.

وأمَّا قوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾؛ فقد رُوِيَ عن الحسن في سبب نزولها أنَّ قومًا ادَّعوا أنَّهم يحبُّون الله، فأنزل الله هذه الآية محنة لهم[1].

[شرط محبة الله]

وفي هذه الآية قد شرط الله لمحبَّته اتباع نبيه صلى الله عليه وسلم، فلا ينال تلك المحبة؛ إلا من أحسن الاتباع والاستمساك بهديه عليه السلام.

(وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ١٤﴾ [البروج:١٤][2]، وَقَوْلُهُ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١﴾، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧]، ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ٤٣﴾ [الأحزاب:٤٣]، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦]، ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤]، ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الأحقاف:٨] [يونس:١٠٧][3]، ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤﴾ [يوسف:٦٤])

[إثبات اسمي: الغفور، والودود]

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ...﴾ إلخ؛ تضمنت الآية إثبات اسمين من الأسماء

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في ((التفسير)) رقم (٣٧٩)، وابن جرير موقوفًا على الحسن، وقال ابن جرير: ((وأما ما روى الحسن في ذلك مما قد ذكرناه؛ فلا خبر به عندنا يصح)). ثمّ رجَّح أنها نزلت في وفد نصارى نجران. انظر ((تفسير الطبري))، تحقيق: شاكر، (٦/٣٢٢-٣٢٤).

(٢) ليست في الأصل.

(٣) في الأصل آية: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

الحسنى، وهما: الغفور، والودود.

أمَّا الأول: فهو مبالغة في الغفر، ومعناه الذي يكثر منه الستر على المذنبين من عباده، والتجاوز عن مؤاخذتهم.

وأصل الغفر: الستر، ومنه يقال: الصبغ أغفر للوسخ. ومنه: المغفر لسترة الرأس.

وأمَّا الثاني: فهو من الودِّ الذي هو خالص الحب وألطفه، وهو إمَّا من فعول بمعنى فاعل، فيكون معناه: الكثير الود لأهل طاعته، والمتقرب إليهم بنصره لهم ومعونته. وإمَّا من فعول بمعنى مفعول، فيكون معناه: المودود لكثرة إحسانه، المستَحِقُّ لأن يَوَدَّه خلقه فيعبدوه ويحمدوه.

[إثبات صفتي الرحمة، والعلم]

وأمَّا قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وما بعدها من الآيات؛ فقد تضمنت إثبات اسميه الرحمن والرحيم، وإثبات صفتي الرحمة والعلم.

وقد تقدم في تفسير ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الكلام على هذين الاسمين، وبيان الفرق بينهما، وأنَّ أولهما دالٌّ على صفة الذات والثاني دالٌّ على صفة الفعل.

وقد أنكرت الأشاعرة والمعتزلة صفة الرحمة بدعوى أنَّها في المخلوق ضعفٌ وخَوَرٌ وتألم للمرحوم، وهذا من أقبح الجهل، فإنَّ الرحمة إنَّما تكون من الأقوياء للضعفاء، فلا تستلزم ضعفًا ولا خورًا؛ بل قد تكون مع غاية العزة والقدرة، فالإنسان القوي يرحم ولده الصغير وأبويه الكبيرين ومَن هو أضعف منه، وأين الضعف والخور - وهما من أذم الصفات - من الرحمة

التي وصف الله نفسه بها، وأثنى على أوليائه المتصفين بها، وأمرهم أن يتواصَوْا بها[(١)]؟!

وقوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ ...﴾ إلخ؛ من كلام الله عزَّ وجلَّ حكاية عن حملة العرش والذين حوله، يتوسَّلون إلى الله عزَّ وجلَّ بربوبيَّته وسعة علمه ورحمته في دعائهم للمؤمنين، وهو من أحسن التوسُّلات التي يُرْجَى معها الإجابة.

ونصب قوله: ﴿رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ على التمييز المحوَّل عن الفاعل، والتقدير: وسعت رحمتُك وعلمُك كل شيء. فرحمته سبحانه وسعت في الدنيا المؤمن والكافر والبر والفاجر، ولكنها يوم القيامة تكون خاصة بالمتَّقين؛ كما قال تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[الأعراف:١٥٦] الآية.

وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤]؛ أي: أوجبها على نفسه تفضُّلًا وإحسانًا، ولم يوجبها عليه أحدٌ.

وفي حديث أبي هريرة في ((الصحيحين)): ((إنَّ الله لـمَّا خلق الخلق كتب كتابًا، فهو عنده فوق العرش: إنَّ رحمتي سبقت - أو تسبق - غضبي))[(٢)].

[إثبات صفتي: الحافظ، والحفيظ]

وأمَّا قوله: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾؛ فالحافظ والحفيظ مأخوذ من الحفظ،

(١) (إن الله أمر بالتواصي بالمرحمة، فإن الذي في القرآن خبر عن صفات من اقتحم العقبة والأمر مستفاد باللازم لا بصيغته المعروفة) (ابن عثيمين).

(٢) رواه بألفاظ مختلفة: البخاري (٧٤٢٢)، (٧٥٥٤)، ومسلم (٢٧٥١).

وهو الصيانة، ومعناه: الذي يحفظ عباده بالحفظ العام، فييسر لهم أقواتهم، ويقيهم أسباب الهلاك والعطب، وكذلك يحفظ عليهم أعمالهم، ويحصي أقوالهم، ويحفظ أولياءه بالحفظ الخاص، فيعصمهم عن مواقعة الذنوب، ويحرسهم من مكايد الشيطان، وعن كل ما يضرُّهم في دينهم ودنياهم.

وانتصب ﴿حَٰفِظٗا﴾ تمييزًا لـ ﴿خَيۡرٌ﴾ الذي هو أفعل تفضيل.

[إثبات صفات: الرضا، والغضب، والسخط، والأسف، والكره، والمقت]

﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣﴾.

(قوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾[المائدة: ١١٩]، و[التوبة: ١٠٠]، و[المجادلة:٢٢]، و[البينة: ٨]، ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء:٩٣]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾ [محمد:٢٨]، ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ [الزخرف:٥٥]، وقوله: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ﴾ [التوبة:٤٦]، وقوله: ﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣﴾ [الصف:٣]).

قوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ إلخ؛ تضمَّنت هذه الآيات إثبات بعض صفات الفعل من الرِّضى لله، والغَضَب، واللَّعنُ، وَالكُرهِ، والسَّخْط، والمقْت، والأَسَف.

وهي عند أهل الحق صفات حقيقية لله عزَّ وجلَّ، على ما يليق به، ولا تشبه ما يتصف به المخلوق من ذلك، ولا يلزم منها ما يلزم في المخلوق.

فلا حجة للأشاعرة والمعتزلة على نفيها، ولكنهم ظنُّوا أنَّ اتصاف الله عزَّ وجلَّ بها يلزمه أن تكون هذه الصفات فيه على نحو ما هي في المخلوق، وهذا الظنُّ الذي ظنوه في ربهم أرداهم فأوقعهم في حمأة النفي والتعطيل.

والأشاعرة يُرْجعون هذه الصفات كلها إلى الإرادة؛ كما علمت سابقًا، فالرضا عندهم إرادة الثواب، والغضب والسخط.. إلخ؛ إرادة العقاب.

وأمَّا المعتزلة؛ فيرجعونها إلى نفس الثواب والعقاب.

وقوله سبحانه: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ إخبارٌ عمَّا يكون بينه وبين أوليائه من تبادل الرضا والمحبة.

أمَّا رضاه عنهم؛ فهو أعظم وأجلُّ من كل ما أُعطوا من النعيم؛ كما قال سبحانه: ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ﴾ [التوبة: ٧٢].

وأمَّا رضاهم عنه؛ فهو رضا كل منهم بمنزلته مهما كان، وسروره بها؛ حتى يظن أنَّه لم يؤت أحدٌ خيرًا ممَّا أُوتي، وذلك في الجنَّة.

وأمَّا قوله: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا﴾ الآية؛ فقد احترز بقوله: ﴿مُؤۡمِنٗا﴾ عن قتل الكافر، وبقوله: ﴿مُّتَعَمِّدٗا﴾ - أي: قاصدًا لذلك، بأن يقصد مَن يعلمه آدميًّا معصومًا، فيقتله بما يغلب على الظن موته به - عن القتل الخطأ.

وقوله: ﴿خَٰلِدٗا فِيهَا﴾؛ أي: مقيمًا على جهة التأبيد، وقيل الخلود:

المكث الطويل.

[معنى اللعن]

واللعن: هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله، واللعين والملعون: من حَقَّت عليه اللعنة، أو دُعِي عليه بها.

وقد استشكل العلماء هذه الآيات من حيث إنَّها تدلُّ على أنَّ القاتل عمدًا لا توبة له، وأنَّه مخلَّد في النَّار، وهذا معارضٌ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء:٤٨].

وقد أجابوا عن ذلك بعدة أجوبة؛ منها:

١ - أنَّ هذا الجزاء لمن كان مستحلًّا قتل المؤمن عمدًا[١].

٢- أنَّ هذا هو الجزاء الذي يستحقُّه لو جوزي، مع إمكان أن لا يجازى، بأن يتوب أو يعمل صالحًا يرجح بعمله السيئ.

٣- أنَّ الآية واردة مورد التغليظ والزجر.

٤- أنَّ المراد بالخلود المكث الطويل كما قدمنا.

وقد ذهب ابن عباس وجماعة إلى أنَّ القاتل عمدًا لا توبة له، حتى قال

---

(١) (ينبغي أن يعرف بأن الجواب الأول باطل، فإن مستحل قتل المؤمن عمداً كافر سواءً قتله أم لا، وأن الجواب الأخير فيه نظر! لأن المعروف أن الخلود المكث الدائم، ثمَّ إن تصويره إمكان أن لا يجازى بأن يتوب أو يأتي بحسنات ماحية، فيه قصور لأن أسباب عدم المجازاة لا تنحصر فيما ذكره ولعل ما ذكره مثال لا حصر) (ابن عثيمين).

ابن عباس: ((إنَّ هذه الآية من آخر ما نزل، ولم ينسخها شيءٌ))[(١)].

والصحيح أنَّ على القاتل حقوقًا ثلاثة: حقًّا لله، وحقًّا للورثة، وحقًّا للقتيل..

فحق الله يسقط بالتوبة.

وحق الورثة يسقط بالاستيفاء في الدُّنيا أو العفو.

وأمَّا حق القتيل؛ فلا يسقط حتى يجتمع بقاتله يوم القيامة، ويأتي رأسه في يده، ويقول: يا رب! سل هذا فيمَ قتلني؟

[معنى الأسف والانتقام]

وأمَّا قوله: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا .. ﴾ إلخ؛ فالأسَفُ يستعمل بمعنى شدة الحزن، وبمعنى شدة الغضب والسخط، وهو المراد في الآية.

والانتقام: المجازاة بالعقوبة، مأخوذ من النقمة، وهي شدة الكراهة والسخط.

[إثبات صفتي: الإتيان، والمجيء]

(وَقوله: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ [البقرة:٢١٠]، ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام:١٥٨]، ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا

---

(١) رواه البخاري (٤٧٦٣)، ومسلم (٣٠٢٣). وانظر إن شئت كتاب ((تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة)) (١/٢٥٩-٢٦٤) للدكتور عبدالعزيز الحميدي، ففيه مبحث لطيف عن هذه المسألة.

صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الفجر:٢١-٢٢]، ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الفرقان:٢٥]).

قوله: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ... ﴾ في هذه الآيات إثبات صفتين من صفات الفعل له سبحانه، وهما صفتا الإتيان والمجيء، والذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة الإيمان بذلك على حقيقته، والابتعاد عن التأويل الذي هو في الحقيقة إلحادٌ وتعطيل.

ولعلَّ من المناسب أن ننقل إلى القارئ هنا ما كتبه حامل لواء التجهُّم والتعطيل في هذا العصر، وهو المدعو بزاهد الكوثري(١)؛ قال في حاشيته على كتاب ((الأسماء والصفات)) للبيهقي(٢) ما نصه: ((قال الزمخشري(٣) ما معناه: إنَّ الله يأتي بعذابٍ في الغمام الذي يُنْتَظَرُ منه الرحمة، فيكون مجيء العذاب من حيث تُنتظر الرحمة أفظع وأهول. وقال إمام الحرمين في معنى الباء كما سبق. وقال الفخر الرازي: أن يأتيهم أمر الله)).اهـ

فأنت ترى من نقل هذا الرجل عن أسلافه في التعطيل مدى اضطرابهم في التخريج والتأويل.

---

(١) هو محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري، جركسي الأصل، فقيه حنفي متعصب، جهمي المعتقد، حاقد على أهل السُّنَّة، كتبه تطفح بسبهم وشتمهم، ولد سنة (١٢٩٦هـ)، وتوفي سنة (١٣٧١هـ).

(٢) (ص: ٥٦٣).

(٣) هو أبو القاسم، محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري، مفسِّر، لغويٌّ، معتزليٌّ، صاحب ((الكشاف)) في التفسير، و((الفائق)) في غريب الحديث، توفي سنة (٥٣٨هـ).

على أنَّ الآيات صريحة في بابها، لا تقبل شيئًا من تلك التأويلات.

فالآية الأولى تتوعَّد هؤلاء المصِرِّين على كفرهم وعنادهم واتباعهم للشيطان بأنَّهم ما ينتظرون إلا أن يأتيهم الله عزَّ وجلَّ في ظلَلٍ من الغمام لفصل القضاء بينهم، وذلك يوم القيامة، ولهذا قال بعد ذلك: ﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ﴾.

والآية الثانية أشد صراحة؛ إذ لا يمكن تأويل الإتيان فيها بأنَّه إتيان الأمر أو العذاب؛ لأنَّه ردَّد فيها بين إتيان الملائكة وإتيان الرب، وإتيان بعض آيات الرب سبحانه.

وقوله في الآية التي بعدها: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ لا يمكن حملها على مجيء العذاب؛ لأنَّ المراد مجيئه سبحانه يوم القيامة لفصل القضاء، والملائكة صفوف؛ إجلالًا وتعظيمًا له، وعند مجيئه تنشق السماء بالغمام؛ كما أفادته الآية الأخيرة.

وهو سبحانه يجيء ويأتي وينزل ويدنو وهو فوق عرشه بائن من خلقه.

فهذه كلها أفعال له سبحانه على الحقيقة، ودعوى المجاز تعطيلٌ له عن فعله، واعتقادُ أنَّ ذلك المجيء والإتيان من جنس مجيء المخلوقين وإتيانهم نزوعٌ إلى التشبيه يفضي إلى الإنكار والتعطيل.

[إثبات صفة الوجه] (وقوله: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧﴾ [الرحمن:٢٧]، ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ [القصص:٨٨]).

قوله: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ﴾ إلخ، تضمَّنت هاتان الآيتان إثبات صفة

الوجه لله عزَّ وجلَّ.

والنصوص في إثبات الوجه من الكتاب والسنة لا تُحصى كثرةً، وكلها تنفي تأويل المعطِّلة الذين يفسرون الوجه بالجهة أو الثواب أو الذات، والذي عليه أهل الحق أنَّ الوجه صفةٌ غيرُ الذات، ولا يقتضي إثباته كونه تعالى مركبًا من أعضاء، كما يقوله المجسِّمة، بل هو صفة لله على ما يليق به، فلا يشبه وجهًا ولا يشبهه وجه.

واستدلَّت المعطِّلة بهاتين الآيتين على أنَّ المراد بالوجه الذات؛ إذ لا خصوص للوجه في البقاء وعدم الهلاك.

ونحن نعارض هذا الاستدلال بأنَّه لو لم يكن لله عزَّ وجلَّ وجهٌ على الحقيقة لما جاء استعمال هذا اللفظ في معنى الذات؛ فإنَّ اللفظ الموضوع لمعنى لا يمكن أن يستعمل في معنى آخر إلا إذا كان المعنى الأصلي ثابتًا للموصوف، حتى يمكن للذهن أن ينتقل من الملزوم إلى لازمه.

على أنَّه يمكن دفع مجازهم بطريق آخر؛ فيقال: إنَّه أسند البقاء إلى الوجه، ويلزم منه بقاء الذات؛ بدلًا من أن يقال: أطلق الوجه وأراد الذات.

وقد ذكر البيهقي نقلًا عن الخطابي أنَّه تعالى لما أضاف الوجه إلى الذات، وأضاف النعت إلى الوجه، فقال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾؛ دلَّ على أنَّ ذكر الوجه [ليس بصلة] [1]، وأنَّ قوله: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ صفةٌ للوجه، والوجه صفةٌ للذَّات.

---

(١) كذا في المطبوع، والصواب: [ليس بصفة].

وكيف يمكن تأويل الوجه بالذات أو بغيرها في مثل قوله عليه السلام في حديث الطائف: ((أعوذُ بنورِ وجهِكَ الذي أشرقتْ له الظُّلُمات...)) إلخ(١)، وقوله فيما رواه أبو موسى الأشعري: ((حجابه النور أو النَّار، لو كشفه لأحرقت سُبُحَات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه))(٢)؟!

[إثبات صفة اليدين]

(وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤])

قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ﴾ إلخ؛ تضمَّنَتْ هاتان الآيتان إثبات اليدين صفة حقيقية له سبحانه على ما يليق به، فهو في الآية الأولى يوبخ إبليس على امتناعه عن السجود لآدم الذي خلقه بيديه.

ولا يمكن حمل اليدين هنا على القدرة؛ فإنَّ الأشياء جميعًا - حتى إبليس - خلقها الله بقدرته، فلا يبقى لآدم خصوصية يتميز بها.

وفي حديث عبد الله بن عمرو(٣): ((إنَّ الله عزَّ وجلَّ خلق ثلاثة أشياء

---

(١) رواه ابن عدي (١١١/٦)، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (١٥٢/٤٩). من حديث عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما.

قال ابن عدي: (لم نسمع أن أحداً حدث بهذا الحديث غير أبي صالح الراسبي)، وضعفه الألباني في ((سلسلة الأحاديث الضعيفة)) (٢٩٣٣).

(٢) رواه مسلم (١٧٩). وقيل: معنى: ((سُبُحات وجهه)): نوره وجلاله.

(٣) كذا في أصل الشرح، والصواب: عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

بيده: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده»[(١)].

فتخصيص هذه الثلاثة بالذكر مع مشاركتها لبقية المخلوقات في وقوعها بالقدرة دالٌّ على اختصاصها بأمر زائد.

وأيضًا؛ فلفظ اليدين بالتثنية لم يُعرف استعماله إلا في اليد الحقيقية، ولم يرد قط بمعنى القدرة أو النعمة؛ فإنَّه لا يسوغ أن يقال: خلقه الله بقدرتين أو بنعمتين. على أنَّه لا يجوز إطلاق اليدين بمعنى النعمة أو القدرة أو غيرهما إلا في حق من اتصف باليدين على الحقيقة، ولذلك لا يقال: للريح يد، ولا للماء يد.

وأمَّا احتجاج المعطِّلة بأنَّ اليد قد أفردت في بعض الآيات، وجاءت بلفظ الجمع في بعضها؛ فلا دليل فيه؛ فإنَّ ما يصنع بالاثنين قد يُنسب إلى الواحد؛ تقول: رأيت بعيني، وسمعت بأذني، والمراد: عيناي، وأذناي. وكذلك الجمع يأتي بمعنى المثنى أحيانًا؛ كقوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ [التحريم:٤]، والمراد: قلباكما.

وكيف يتأتَّى حملُ اليد على القدرة أو النعمة؛ مع ما ورد من إثبات

---

(١) رواه الدارقطني في «الصفات» (ص٤٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٠٣)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٤١)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/١٥٥٥)؛ من حديث الحارث بن نوفل مرسلاً. وثبت موقوفًا على ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «خلق الله أربعة أشياء بيده: العرش، والقلم، وآدم، وجنة عدن. ثمَّ قال لسائر الخلق: كن: فكان». جوَّد إسناده الذهبي في «العلو»، وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص١٠٥): «سنده صحيح على شرط مسلم».

الكفِّ والأصابع واليمين والشمال والقبض والبسط وغير ذلك مما لا يكون إلا لليد الحقيقيَّة[(١)]؟!

وفي الآية الثانية يحكي الله سبحانه مقالة اليهود قبَّحهم الله في ربهم، ووصفهم إياه – حاشاه – بأنَّ يده مغلولة؛ أي: ممسكة عن الإنفاق.

ثم أثبت لنفسه سبحانه عكس ما قالوا، وهو أنَّ يديه مبسوطتان بالعطاء؛ ينفق كيف يشاء؛ كما جاء في الحديث: ((إنَّ يمين الله ملأى سحَّاء الليلَ والنهارَ؛ لا تَغيضُها نَفَقةٌ))[(٢)].

---

(١) (أقول إثبات الكف والأصابع واليمين والقبض والبسط كل ذلك وارد، وأما الشمال فقد قال الحافظ البيهقي: وقد ورد ذكر الشمال لله تعالى من طريقين في أحدهما جعفر بن الزبير وفي الآخر يزيد الرقاشي وهما متروكان، قال: وكيف يصح ذلك عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وقد صح عنه أنه سمى كلتا يديه يميناً وكأن من قال ذلك أرسله من لفظه على ما وقع له أو على عادة العرب من ذكر الشمال في مقابلة اليمين، وقال الخطابي: ليس فيما يضاف إلى الله من صفة اليدين شمال. وقال محمد بن خزيمة في كتابه ((السُّنَّة)) مذهبنا مذهب أهل الآثار ومتبعي السنن إلى أن قال: وكلتا يديه يمين لا شمال فيهما أ هـ. ملخصاً من شرح السفاريني (ص ٢٣٤ ج ١) الطبعة الأخيرة. قلت: وقد ورد ذكر الشمال في صحيح مسلم من حديث ابن عمر مرفوعاً وفي إسناده عمر بن حمزة قال أحمد: أحاديثه مناكير، وقال النسائي: ضعيف، وذكره ابن حبان في الثقات). (ابن عثيمين)

قلت: انظر المسألة بشيء من التفصيل في كتاب ((صفات الله الواردة في الكتاب والسنة)) (ص٤١٩) الطبعة الرابعة.

(٢) رواه البخاري (٤٦٨٤)، و (٧٤١١)، واللفظ له، ومسلم (٩٩٣): ((يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة؛ سحَّاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق مذ خلق السموات والأرض؟ فإنه لم يغض ما في يمينه)) قال النووي: ((السحُّ: الصبُّ، الدائم)).

ترى لو لم يكن لله يدان على الحقيقة؛ هل كان يحسن هذا التعبير ببسط اليدين؟!

ألا شاهَتْ وُجوهُ المتأوِّلين!!

[إثبات صفة العين]

(وَقَوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطور:٤٨]، ﴿وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ١٣ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ١٤﴾ [القمر:١٣-١٤]، ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾ [طه:٣٩]).

قوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾... إلخ؛ في هذه الآيات الثلاث يثبت الله سبحانه لنفسه عينًا يرى بها جميع المرئيات، وهي صفة حقيقية لله عزَّ وجلَّ على ما يليق به، فلا يقتضي إثباتها كونها جارحة مركَّبة من شحم وعصب وغيرهما[1].

وتفسير المعطِّلة لها بالرؤية أو بالحفظ والرعاية نفيٌ وتعطيلٌ.

وأمَّا إفرادها في بعض النصوص وجمعها في البعض الآخر؛ فلا حجة لهم

---

(١) (اعلم أن المؤلف رحمه الله نفى أن يكون مقتضى إثباتها جارحة مقيدة بكونها مركبة، أي فالنفي متسلط على جارحة مركبة من شحم وعصب إلخ، أما الجارحة المطلقة فهذه لا ينبغي إثباتها لله ولا نفيها إذ قد يراد بالجارحة ما يترتب عليها مقتضاها وأثرها المختص بها مثل إدراك المرئي بالعين وحصول القبض والبسط باليد ونحو ذلك فيتوصل بنفي الجارحة إلى نفي حقيقة الصفة، والحاصل أن إطلاق القول في الجارحة نفياً وإثباتاً لا يصح بل الواجب التفصيل، فإن أريد بالجارحة ما تركب من أجزاء وافتقر بعضها إلى بعض في التركيب فهذا مستحيل يجب نفيه في حق الله تعالى، وإن أريد بالجارحة حقيقة الصفة كالعين المدركة للمرئيات واليد القابضة المبسوطة ونحو ذلك فهذا حق يجب إثباته في حق الله تعالى) (ابن عثيمين).

فيه على نفيها؛ فإنَّ لغة العرب تتسع لذلك، فقد يعبَّر فيها عن الاثنين بلفظ الجمع، ويقوم فيها الواحد مقام الاثنين كما قدَّمنا في اليدين.

على أنَّه لا يمكن استعمال لفظ العين في شيء من هذه المعاني التي ذكروها إلا بالنسبة لمن له عين حقيقية.

فهل يريد هؤلاء المعطِّلة أن يقولوا: إنَّ الله يتمدَّح بما ليس فيه، فيثبت لنفسه عينًا وهو عاطلٌ عنها؟! وهل يريدون أن يقولوا: إنَّ رؤيته للأشياء لا تقع بصفة خاصة بها؛ بل هو يراها بذاته كلها - كما تقول المعتزلة: إنَّه قادر بذاته، مريد بذاته... إلخ؟!

وفي الآية الأولى يأمر الله نبيَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصبر لحكمه، والاحتمال لما يلقاه من أذى قومه، ويعلِّل ذلك الأمر بأنَّه بمرأى منه، وفي كلاءته وحفظه.

وفي الآية الثانية يخبر الله عزَّ وجلَّ عن نبيِّه نوحٍ عليه السلام أنَّه لما كذَّبه قومه، وحقَّت عليهم كلمة العذاب، وأخذهم الله بالطوفان؛ حمله هو ومَن معه من المؤمنين على سفينة ذات ألواحٍ عظيمة من الخشب ودُسُرٍ؛ أي: مسامير، جمع دِسَار، تُشَدُّ بها الألواح، وأنَّها كانت تجري بعين الله وحراسته.

وفي الآية الثالثة خطابٌ من الله لنبيِّه موسى عليه السلام بأنَّه ألقى عليه محبَّةً منه؛ يعني: أحبه هو سبحانه وحبَّبه إلى خلقه، وأنَّه صنعه على عينه، وربَّاه تربية استعد بها للقيام بما حمله من رسالة إلى فرعون وقومه.

(وَقَوْلُهُ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ

يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [المجادلة: ١]، وَقَوْلُهُ: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وَقَوْلُهُ: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الزخرف: ٨٠]، ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [طه: ٤٦]، ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ [العلق: ١٤]، ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠]، ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥]).

[إثبات صفة السمع، والبصر، والرؤية]

قوله: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ ... ﴾ إلخ؛ هذه الآيات ساقها المؤلف لإثبات صفات السمع والبصر والرؤية.

أمَّا السمع؛ فقد عبَّرت عنه الآيات بكل صيغ الاشتقاق، وهي: سَمِعَ، ويَسْمَعُ، وسميعٌ، ونَسْمَعُ، وَأسمَعُ، فهو صفة حقيقية لله، يدرك بها الأصوات؛ كما قدمنا.

وأمَّا البصر؛ فهو الصفة التي يدرك بها الأشخاص والألوان، والرؤية لازمة له، وقد جاء في حديث أبي موسى: ((يا أيها الناس ! ارْبَعُوا على أنفسكم؛ إنَّكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، ولكن تدعون سميعًا بصيرًا، إنَّ الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته))[1].

وكلٌّ من السمع والبصر صفة كمال، وقد عاب الله على المشركين

---

(١) رواه بألفاظ متقاربة: البخاري (٦٣٨٤)، ومسلم (٢٧٠٤).

عبادتهم ما لا يسمع ولا يبصر.

وقد نزلت الأولى في شأن خولة بنت ثعلبة حين ظاهر منها زوجها، فجاءت تشكو إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتحاوِرُهُ، وهو يقول لها: «ما أراك إلا قد حرمت عليه»(١).

أخرج البخاري في «صحيحه» عن عروة عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: «الحمد لله الذي وسعَ سمعُهُ الأصواتَ؛ لقد جاءت المجادلة تشكو إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا في ناحيةٍ من البيتِ ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا...﴾ الآيات»(٢).

وأمَّا الآية الثانية؛ فقد نزلت في فنحاص اليهودي الخبيث، حين قال لأبي بكر رضي الله عنه لما دعاه إلى الإسلام: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة من فقر، وإنَّه إلينا لفقير، ولو كان غنيًّا ما استَقْرَضَنا(٣)!

---

(١) روي مرسلاً، وانظر الذي بعده.

(٢) رواه البخاري (٩/١١٧) تعليقًا بصيغة الجزم، ووصله النسائي (٣٤٦٠)، ووصله من طريقه الحافظ في «التعليق» (٥/٣٣٩) وصحَّحه، وأحمد في «المسند» (٦/٤٦)، وابن ماجه، والحاكم في «المستدرك»، وفيه: «قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لخولة: ما أراك إلا قد حرمت عليه».

وانظر: «صحيح سنن النسائي» (٣٢٣٧).

(٣) (إسناده ضعيف). رواه ابن جرير بسنده في «التفسير» (٨٣٠٠، ٨٣٠١)، وفيه محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت، ذكره البخاري في «التاريخ الكبير» ولم يذكر فيه =

وأمَّا الآية الثالثة؛ فـ(أم) بمعنى (بل)، والهمزة للاستفهام، فهي (أم) المنقطعة، والاستفهام انكاريٌّ يتضمَّن معنى التوبيخ، والمعنى: بل أيظنُّ هؤلاء في تخفِّيهم واستتارهم أنا لا نسمع سرهم ونجواهم؛ بلى نسمع ذلك، وحفظتنا لديهم يكتبون ما يقولون وما يفعلون.

وأمَّا الآية الرابعة؛ فهي خطابٌ من الله عزَّ وجلَّ لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام حين شكوا إلى الله خوفهما من بطش فرعون بهما، فقال لهما: ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾.

وأمَّا الآية الخامسة؛ فقد نزلت في شأن أبي جهل لعنه الله حين نهى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الصلاة عند البيت، فنزل قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [العلق: ٩-١٤] إلخ السورة[1].

[إثبات صفتي: المكر، والكيد]

(وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد: ١٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران: ٥٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النمل: ٥٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ [الطارق: ١٥]).

= جرحًا ولا تعديلاً، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال عنه الذهبي في «الميزان» (لا يعرف)، وقال الحافظ: مجهول.

(١) رواه مسلم (٢٧٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ...﴾ إلخ؛ تضمَّنت هذه الآيات إثبات صفتي المكر والكيد، وهما من صفات الفعل الاختيارية.

ولكن لا ينبغي أن يشتقَّ له من هاتين الصفتين اسم، فيقال: ماكر، وكائد؛ بل يوقف عند ما ورد به النص من أنَّه خير الماكرين، وأنَّه يكيد لأعدائه الكافرين.

أمَّا قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾؛ فمعناه: شديد الأخذ بالعقوبة؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [البروج:١٢]، ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢].

وقال ابن عباس: ((معناه: شديد الحَوْل))(١).

وقال مجاهد: ((شديد القوَّة))(٢). والأقوال متقاربة.

وأمَّا قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾؛ فمعناه: أنفذهم وأسرعهم مكرًا.

وقد فسَّر بعض السَّلف مكر الله بعباده بأنَّه استدراجهم بالنِّعم من حيث لا يعلمون، فكلما أحدثوا ذنبًا أحدث لهم نعمة؛ وفي الحديث: ((إذا رأيتَ الله يُعطي العبد من الدنيا ما يحبُّ وهو مقيمٌ على معصيته؛ فاعلم أنما ذلك منه استدراج))(٣).

---

(١) رواه الطبري في ((تفسيره)) (٣٩٦/١٦).

(٢) رواه الطبري في ((تفسيره)) (٣٩٦/١٦).

(٣) رواه أحمد في ((المسند)) (١٤٥/٤)، والطبري في تفسيره (٣٦١/١١)، والطبراني (٩١٣)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٤٥٤٠). من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه. =

وقد نزلت هذه الآية في شأن عيسى عليه السلام حين أراد اليهود قتله، فدخل بيتًا فيه كوَّةٌ، وقد أيَّده الله بجبريل عليه السلام، فرفعه إلى السماء من الكوَّة، فدخل عليه يهوذا؛ ليدلَّهم عليه فيقتلوه، فألقى الله شبهَ عيسى على ذلك الخائن، فلما دخل البيت فلم يجد فيه عيسى؛ خرج إليهم وهو يقول: ما في البيت أحدٌ. فقتلوه وهم يرون أنَّه عيسى، فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾[1].

وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكۡرًا...﴾ إلخ؛ فهي في شأن الرهط التسعة من قوم صالح عليه السلام حين ﴿قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ﴾ أي: لَيَقْتُلُنَّه بياتًا هو وأهله، ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ﴾، فكانَ عاقبةُ هذا المكر منهم أن مكر الله بهم فدمَّرهم وقومهم أجمعين[2].

(وَقَوْلُـــهُ: ﴿إِن تُبۡدُوا۟ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُوا۟ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ١٤٩﴾ [النساء:١٤٩]، ﴿وَلۡيَعۡفُوا۟ وَلۡيَصۡفَحُوٓا۟ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢﴾ [النور:٢٢]).

= والحديث حسَّن إسناده العراقي في «تخريج الإحياء» (١٣٢/٤)، وصحَّحه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤١٣).

(١) ذكر هذا المعنى ابن كثير في «التفسير» (٣٧/٢) دون أن يعزوه لأحد، وذكره ابن جرير بسنده إلى السُّدي (٤٥٤/٦-شاكر)، وعزاه ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣٩٥/١) لابن عبَّاس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢٠٧/٦).

[إثبات اسم العفُو]

قوله: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا ...﴾ إلخ؛ هذه الآيات تضمَّنت إثبات صفات العفو والقدرة والمغفرة والرحمة والعزة والتبارك والجلال والإكرام.

[معنى العفو]

فالعَفُوُّ الذي هو اسمه تعالى؛ معناه: المتجاوز عن عقوبة عباده إذا هم تابوا إليه وأنابوا(١)؛ كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى: ٢٥].

ولما كان أكمل العفو هو ما كان عن قدرة تامَّة على الانتقام والمؤاخذة؛ جاء هذان الاسمان الكريمان: العَفُوُّ والقدير مقترنين في هذه الآية وفي غيرها.

وأمَّا القدرة؛ فهي الصفة التي تتعلَّق بالممكنات إيجادًا وإعدامًا، فكلُّ ما كان ووقع من الكائنات واقع بمشيئته وقدرته؛ كما في الحديث: ((ما شاء الله كانَ وما لم يشأ لم يكن))(٢).

وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ...﴾ الآية؛ فقد نزلت في شأن أبي بكر رضي الله عنه حين حلف لا ينفق على مسطح بن أثاثة، وكان ممَّن خاضوا في الإفك، وكانت أم مسطح بنت خالة أبي بكر، فلما نزلت هذه

(١) (تقييد عفو الله عنهم بالتوبة والإنابة فيه نظر فإنَّ عفو الله سبحانه قد يكون عن توبة وإنابة من العبد، وقد يكون مجرد فضل وإحسان من الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥] وقال: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]). (ابن عثيمين)

(٢) سبق تخريجه (ص: ١٢٦).

الآية قال أبو بكر: ((والله إنِّي لأحب أن يغفر الله لي))، ووصل مسطحًا[1].

[إثبات صفة العزة]

((وَقَوْلُهُ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨]، وَقَوْلُهُ عَنْ إِبْلِيسَ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [ص:٨٢])).

وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ فقد [نزلت في شأن عبد الله بن أُبَيٍّ ابن سلول رئيس المنافقين، وكان في بعض الغزوات قد أقسم ليخرجنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو وأصحابه من المدينة، فنزل قول الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾؛ يقصد بالأعزِّ - قبَّحه الله - نفسه وأصحابه، ويقصد بالأذل رسول الله ومن معه من المؤمنين، فردَّ الله عزَّ وجلَّ عليه بقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾][2].

والعزَّة صفةٌ أثبتها الله عزَّ وجلَّ لنفسه؛ قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾ [إبراهيم:٤] وقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب:٢٥].

وأقسم بها سبحانه؛ كما في حديث الشفاعة: ((وعزَّتي وكِبْريائي وعظمتي؛ لأخرجنَّ منها مَن قال: لا إله إلا الله))[3].

---

(١) جزء من حديث حادثة الإفك، وقد رواه البخاري (٤٧٥٧)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٢) أورد سبب النزول: البخاري (٤٩٠٤)، ومسلم (٢٧٧٢).

(٣) رواه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) بلفظ مقارب.

وأخبر عن إبليس أنَّه قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص:٨٢-٨٣].

وفي ((صحيح البخاري)) وغيره عن أبي هريرة: ((بينما أيُّوب عليه السلام يغتسل عريانًا خرَّ عليه جراد من ذهب، فجعل يحثي في ثوبه، فناداه ربُّه: يا أيُّوب! ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى؛ وعزَّتك، ولكن لا غنى لي عن بركتك))(١).

وقد جاء في حديث الدعاء الذي علَّمه النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمن كان به وجع: ((أعوذ بعزَّة الله وقدرته من شرِّ ما أجد وأُحاذر))(٢).

[معنى العزة] والعزة تأتي بمعنى الغلبة والقهر؛ من عزَّ يعُزُّ - بضم العين في المضارع- يقال: عزَّه؛ إذا غلبه.

وتأتي بمعنى القوة والصلابة(٣)؛ من عزَّ يعَزُّ - بفتحها -، ومنه أرض عزاز؛ للصلبة الشديدة.

---

(١) رواه البخاري (١/٣٨٧).

(٢) رواه مسلم (١٤/٤٣٩) من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه. ولفظه: ((أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر)).

(٣) (الحق أن الصلابة لا يمكن القول بثبوتها لله عزَّ وجلَّ ولا بنفيها عنه لعدم ورود ذلك، أما بقية المعاني التي ذكرها فيصح إثباتها لله ...، لكن قد يقول قائل: إن كلامه الأول على معاني العزة من حيث هي وبيان اشتقاقها ثمَّ إن الواجب إثبات ما يليق بالله من ذلك وهذا= = قول محتمل لولا قوله وهذه المعاني كلها ثابتة لله فإن التوكيد بكل ينفي احتمال إرادة البعض والله أعلم). (ابن عثيمين)

وتأتي بمعنى علوِّ القدر والامتناع عن الأعداء؛ من:عزَّ يَعِزُّ -بكسرها-.

وهذه المعاني كلها ثابتة لله عزَّ وجلَّ.

(وَقَوْلُهُ: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الرحمن:٧٨])

وأمَّا قوله تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ﴿٧٠﴾.. ﴾ فإنَّه من البركة بمعنى دوام الخير وكثرته.

وقوله: ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ﴾؛ أي: صاحب الجلال والعظمة سبحانه، الذي لا شيء أجلَّ ولا أعظم منه.

و﴿وَٱلْإِكْرَامِ﴾: الذي يكرم[1] عما لا يليق به، وقيل: الذي يكرم عباده الصالحين بأنواع الكرامة في الدنيا والآخرة. والله أعلم.

(وَقَوْلُهُ: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم:٦٥]، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص:٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[البقرة:٢٢]، ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ﴾[البقرة:١٦٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾[الإسراء:١١١]، ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [التغابن:١]، وَقَوْلُهُ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى

(١) أي: يتنزَّه؛ قال ابن منظور في «لسان العرب»: «تكرَّم عن الشيء وتكارم: تنزَّه».

﴿نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [الفرقان: ١-٢]، وقوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٩٢﴾ [المؤمنون: ٩١-٩٢]

﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧٤﴾، [النحل: ٧٤]، ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٣﴾ [الأعراف: ٣٣])

[صفات السلوب] قوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ...﴾ إلخ؛ تضمَّنت هذه الآيات الكريمة جملة من صفات السلوب، وهي نفي السمي والكفء والنِّد والولد والشريك والولي من ذلٍّ وحاجة؛ كما تضمَّنت بعض صفات الإثبات؛ من: الملك، والحمد، والقدرة والكبرياء، والتبارك.

[معنى السَّمي] أمَّا قوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾؛ فقد قال شيخ الإسلام رحمه الله: «قال أهل اللغة: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾؛ أي: نظيرًا استحقَّ مثل اسمه، ويقال: مساميًا يساميه. وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ

سَمِيًّا﴾؛ مثلًا أو شبيهًا))[1].

والاستفهام في الآية إنكاري، معناه النفي؛ أي: لا تعلم له سميًّا.

وأمَّا قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾؛ فالمراد بالكفء: المكافئ المساوي.

فهذه الآية تنفي عنه سبحانه النظير والشبيه من كل وجه؛ لأنَّ ﴿أَحَدٌ﴾ وقع نكرة في سياق النفي، فيعم، وقد تقدم الكلام على تفسير سورة الإخلاص كلها، فليرجع إليها.

[معنى الند]

وأمَّا قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ إلخ. فالأنداد جمع نِدٍّ، ومعناه – كما قيل-: النظير المناوئ. ويقال: ليس لله ندٌّ ولا ضدٌّ، والمراد نفي ما يكافئه ويناوئه، ونفي ما يضاده وينافيه.

وجملة: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وقعت حالًا من الواو في ﴿تَجْعَلُوا۟﴾، والمعنى: إذا كنتم تعلمون أنَّ الله هو وحده الذي خلقكم ورزقكم، وأنَّ هذه الآلهة التي جعلتموها له نظراء وأمثالًا وساويتموها به في استحقاق العبادة لا تخلق شيئًا، بل هي مخلوقة، ولا تملك لكم ضرًّا ولا نفعًا؛ فاتركوا عبادتها، وأفرِدوه سبحانه بالعبادة والتعظيم.

(١) انظر: «الفتاوى» (٣/٤). وأثر ابن عباس أورده ابن جرير في تفسير الآية بسنده عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وقد تقدَّم الكلام (ص: ١١٠) عن رواية علي عن ابن عباس رضي الله عنه. وانظر أيضًا: «تفسير ابن كثير» (٥/٢٤٥).

وأمَّا قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ... ﴾ إلخ؛ فهو إخبارٌ من الله عن المشركين بأنَّهم يحبُّون آلهتهم كحبهم لله عزَّ وجلَّ؛ يعني: يجعلونها مساوية له في الحب. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ من حب المشركين لآلهتهم؛ لأنَّهم أخلصوا له الحب، وأفردوه به، أما حب المشركين لآلهتهم؛ فهو موزَّعٌ بينها، ولا شك أنَّ الحبَّ إذا كان لجهة واحدة كان أمكن وأقوى.

[معنى يحبونهم كحب الله]

وقيل: المعنى: أنَّهم يحبُّون آلهتهم كحب المؤمنين لله، والذين آمنوا أشدُّ حبًّا لله من الكفار لأندادهم.

وأما قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا... ﴾ الآية؛ فقد تقدم الكلام في معنى الحمد[١]، وأنَّه الثناء باللسان على النعمة وغيرها، وقلنا: إنَّ إثبات الحمد له سبحانه متضمِّنٌ لإثبات جميع الكمالات التي لا يستحقُّ الحمد المطلق إلا من بلغ غايتها.

ثم نفى سبحانه عن نفسه ما ينافي كمال الحمد من الولد والشريك والولي من الذلِّ، أي: من فقر وحاجة، فهو سبحانه لا يوالي أحدًا من خلقه من أجل ذلة وحاجة إليه.

ثم أمر عبده ورسوله أن يكبره تكبيرًا؛ أي: يعظمه تعظيمًا ويُنَزِّهَهُ عن كل صفة نقص وصفه بها أعداؤه من المشركين.

وأما قوله: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ إلخ؛ فالتسبيح هو التنزيه والإبعاد عن السوء؛

---

(١) انظر: (ص: ٧٨).

كما تقدم.

ولا شكَّ أنَّ جميع الأشياء في السموات وفي الأرض تسبِّح بحمد ربها، وتشهد له بكمال العلم والقدرة والعزَّة والحكمة والتدبير والرحمة؛ قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

[تسبيح الجمادات]

وقد اختُلف في تسبيح الجمادات التي لا تنطق؛ هل هو بلسان الحال أو بلسان المقال؟ وعندي أنَّ الثاني أرجح؛ بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾؛ إذ لو كان المراد تسبيحها بلسان الحال؛ لكان ذلك معلومًا، فلا يصحُّ الاستدراك.

وقد قالَ تعالى مخبرًا عن داودَ عليه السلامُ: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ۝١٨ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٨-١٩].

[معنى لتبارك]

وأمَّا قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى﴾ إلخ؛ فقد قلنا: إنَّ معنى ﴿تَبَارَكَ﴾ من البركة؛ وهي دوام الخير وكثرته، ولكن لا يلزم من تلك الزيادة سبق النقص، فإنَّ المراد تجدُّد الكمالات الاختيارية التابعة لمشيئته وقدرته، فإنَّها تتجدَّد في ذاته على وفق حكمته، فالخلوُّ عنها قبل اقتضاء الحكمة لها لا يعتبرُ نقصًا[١].

(١) قال الشيخ صالح الفوزان في شرحه لـ «الواسطية» (ص: ٧٢): «تبارك: فعل ماضٍ مأخوذ من البركة، وهي النماء والزيادة المستقرة الثابتة الدائمة، وهذه اللفظة لا تستعمل إلا لله سبحانه، ولا تستعمل إلا بلفظ الماضي». اهـ

وقد فسَّر بعضهم التبارك بالثبات وعدم التغيُّر، ومنه سمِّيت البِرْكَة؛ لثبوت مائها. وهو بعيد.

والمراد بـ ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾ القرآن، سمي بذلك لقوَّة تفرقته بين الحق والباطل والهدى والضلال.

والتعبير بـ ﴿نَزَّلَ﴾ بالتشديد؛ لإفادة التدرُّج في النزول، وأنَّه لم ينزل جملة واحدة.

والمراد بـ ﴿عَبْدِهِۦ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم، والتعبير عنه بلقب العبودية للتشريف - كما سبق.

و﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾؛ جمع عالم، وهو جمع لما يعقل، واختُلِف في المراد به، فقيل: الإنس. وقيل: الإنس والجن. وهو الصحيح؛ فقد ثبت أنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرسلٌ إلى الجن أيضًا، وأنَّه يجتمع بهم، ويقرأ عليهم القرآن، وأنَّ منهم نفرًا أسلم حين سمع القرآن وذهب ينذر قومه به؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩].

والنَّذير والمنذر هو من يُعْلِم بالشيء مع التخويف، وضده البشير أو المبشِّر، وهوَ من يخبرك بما يسرُّك.

وقوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ إلخ؛ تضمَّنت هذه الآية الكريمة أيضًا جملة من صفات التنزيه التي يُراد بها نفي ما لا يليق بالله عزَّ وجلَّ عنه، فقد

نزَّه سبحانه نفسه فيها عن اتِّخاذ الولد وعن وجود إله خالقٍ معه، وعمَّا وصفه به المفترون الكذَّابون؛ كما نهى عن ضرب الأمثال له، والإشراك به بلا حجة ولا برهان، والقول عليه سبحانه بلا علم ولا دليل.

فهذه الآية تضمَّنت إثبات توحيد الإلهية، وإثبات توحيد الرُّبوبية، فإنَّ الله بعدما أخبر عن نفسه بعدم وجود إله معه أوضح ذلك بالبرهان القاطع والحجة الباهرة، فقال: ﴿إِذًا﴾؛ أي: إذ لو كان معه آلهةٌ كما يقول هؤلاء المشركون؛ ﴿لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾.

[دليل التمانع]

وتوضيح هذا الدليل أن يقال: إذا تعدَّدت الآلهة؛ فلا بدَّ أن يكون لكل منهم خلق وفعل، ولا سبيل إلى التعاون فيما بينهم؛ فإنَّ الاختلاف بينهم ضروريٌّ، كما أنَّ التعاون بينهم في الخلق يقتضي عجز كل منهم عند الانفراد، والعاجز لا يصلح إلهًا، فلا بد أن يستقلَّ كلٌّ منهم بخلقه وفعله، وحينئذٍ؛ فإمَّا أن يكونوا متكافئين في القدرة، لا يستطيع كلٌّ منهم أن يقهر الآخرين ويغلبهم، فيذهب كلٌّ منهم بما خلق، ويختص بملكه؛ كما يفعل ملوك الدنيا من انفراد كل بمملكته إذا لم يجد سبيلًا لقهر الآخرين، وإمَّا أن يكون أحدهم أقوى من الآخرين، فيغلبهم، ويقهرهم، وينفرد دونهم بالخلق والتدبير، فلا بد إذًا مع تعدُّد الآلهة من أحد هذين الأمرين: إمَّا ذهاب كل بما خلق، أو علو بعضهم على بعض.

وذهاب كلٍّ بما خلق غير واقع؛ لأنَّه يقتضي التنافر والانفصال بين أجزاء العالم، مع أنَّ المشاهدة تثبت أنَّ العالم كله كجسم واحد مترابط

الأجزاء، متَّسق الأنحاء، فلا يمكن أن يكون إلا أثرًا لإله واحد.

وعلو بعضهم على بعض يقتضي أن يكون الإله هو العالي وحده.

وأما قوله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾؛ فهو نهيٌ لهم أن يشبِّهوه بشيء من خلقه؛ فإنَّه سبحانه له المثل الأعلى الذي لا يشركه فيه مخلوق.

وقد قدَّمنا أنَّه لا يجوز أن يستعمل في حقه من الأقيسة ما يقتضي المماثلة أو المساواة بينه وبين غيره؛ كقياس التمثيل وقياس الشمول.

[قياس الأولى]

وإنَّما يستعمل في ذلك قياس الأولى الذي مضمونه أنَّ كلَّ كمالٍ وجوديٍّ غيرِ مستلزمٍ للعدم ولا للنقص بوجهٍ من الوجوه اتَّصف به المخلوق فالخالق أولى أن يتَّصف به؛ لأنَّه هو الذي وهب المخلوق ذلك الكمال، ولأنَّه لو لم يتَّصف بذلك الكمال - مع إمكان أن يُتَّصف به - لكان في الممكنات من هو أكمل منه، وهو محالٌ، وكذلك كل نقصٍ يتنزَّه عنه المخلوق، فالخالق أولى بالتنزُّه عنه.

وأمَّا قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ﴾ إلخ؛ فـ ﴿إِنَّمَا﴾ أداة حصرٍ تفيد اختصاص الأشياء المذكورة بالحرمة، فيفهم أنَّ مَن عداها من الطَّيِّبات فهو مباحٌ لا حرج فيه؛ كما أفادته الآية التي قبلها.

و﴿الْفَوَاحِشَ﴾ جمع فاحشة؛ وهي الفعلة المتناهية في القبح، وخصَّها بعضهم بما تضمَّن شهوة ولذة من المعاصي؛ كالزنا، واللواط، ونحوهما من الفواحش الظاهرة، وكالكبر والعجب وحب الرياسة من الفواحش الباطنة.

وأمَّا ﴿وَٱلۡإِثۡمَ﴾؛ فمنهم مَن فسره بمطلق المعصية، فيكون المراد منه ما دون الفاحشة، ومنهم مَن خصَّه بالخمر؛ فإنَّها جِماع الإثم.

وأمَّا ﴿وَٱلۡبَغۡىَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾؛ فهو التسلُّط والاعتداء على الناس من غير أن يكون ذلك على جهة القصاص والمماثلة.

وقوله: ﴿وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾، وحرَّم أن تعبدوا مع الله غيره، وتتقرَّبوا إليه بأي نوع من أنواع العبادات والقربات؛ كالدعاء، والنذر،والذبح، والخوف، والرجاء، ونحو ذلك مما يجب أن يُخْلِص فيه العبدُ قلبَه ويُسْلِمَ وجهَه لله، وحرَّم أن تتَّخذوا من دونه سبحانه أولياء يشرِّعون لهم من الدين ما لم يأذن به الله في عباداتهم ومعاملاتهم؛ كما فعل أهل الكتاب مع الأحبار والرهبان؛ حيث اتَّخذوهم أربابًا من دون الله في التشريع، فأحلُّوا ما حرَّم الله، وحرَّمُوا ما أحلَّ الله، فاتَّبعوهم في ذلك.

وقوله: ﴿مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾ قيدٌ لبيان الواقع؛ فإنَّ كلَّ ما عُبِدَ أو اتُّبع أو أُطيع من دون الله قد فعل به ذلك من غير سلطان.

[حرمة القول على الله بغير علم]

وأما القول على الله بلا علم؛ فهو بابٌ واسعٌ جدًّا يدخل فيه كل خبر عن الله بلا دليل ولا حجة؛ كنفي ما أثبته، أو إثبات ما نفاه، أو الإلحاد في آياته بالتحريف والتأويل.

قال العلَّامة ابن القيم في كتابه ((إعلام الموقعين))[١]: ((وقد حرَّم الله

---

(١) (٣٨/١).

القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء وجعله من أعظم المحرَّمات؛ بل جعله في المرتبة العليا منها؛ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ...﴾ الآية، فرتَّب المحرمات أربع مراتب، وبدأ بأسهلها، وهو الفواحش، وثنَّى بما هو أشد تحريمًا منه، وهو الإثم والظلم، ثمَّ ثلَّث بما هو أعظم تحريمًا منهما، وهو الشرك به سبحانه، ثمَّ ربَّع بما هو أعظم تحريمًا من ذلك كله، وهو القول عليه بلا علم، وهذا يعمُّ القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي دينه وشرعه)).

(وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ فِي [سَبْعَةِ] [1] مَوَاضِعَ:

[فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ؛ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وَقَالَ فِي سُورَةِ يُونُسَ - عَلَيْهِ السَّلامُ -: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الرَّعْدِ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ﴾ [الرعد: ٢].

---

(١) في الأصل: وَقَوْلِهِ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ في (ستة مواضع).

وهذا هو الصواب لأن الآية التي تكررت في ستة مواضع في القرآن الكريم هي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾.

وَقَالَ فِي سُورَةِ طَهَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان:٥٩].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الم السَّجْدَةِ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة:٤]، وَقَالَ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ﴾ [الحديد:٤]).

وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ...﴾ إلخ؛ هذه هي المواضع السبعة التي أخبر فيها سبحانه باستوائه على العرش، وكلها قطعية الثبوت؛ لأنَّها من كتاب الله، فلا يملك الجهميُّ المعطِّل لها ردًّا ولا إنكارًا، كما أنَّها صريحة في بابها، لا تحتمل تأويلاً، فإنَّ لفظ: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ في اللغة إذا عُدِّي بـ (على) لا يمكن أن يُفْهَمَ منه إلا العلو والارتفاع، ولهذا لم تخرج تفسيرات السَّلف لهذا اللفظ عن أربع عبارات؛ ذكرها العلَّامة ابن القيم في ((النُّونية))[(١)]؛ حيث قال:

فَلَهُمْ عِبَارَاتٌ عَلَيْهَا أَرْبَعٌ	قَدْ حُصِّلَتْ لِلْفَارِسِ الطَّعَّانِ
وَهِيَ اسْتَقَرَّ وَقَدْ عَلَا وَكَذلِكَ ارْ	تَفَعَ الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانِ
وَكَذَاكَ قَدْ صَعِدَ الَّذِي هُوَ رَابِعٌ	وَأَبُو عُبَيْدَةَ صَاحِبُ الشِّيبَانِي

(١) انظر: ((شرح الهراس)) (٢١٥/١)، و((شرح أحمد بن عيسى)) (٤٤٠/١).

يَخْتَـارُ هَـذَا القَـوْلَ فِي تَفْسِـيرِهِ أَدْرَى مِـنَ الجَهْمِـيِّ بِـالْقُرآنِ

فأهل السُّنَّة والجماعة يؤمنون بما أخبر به سبحانه عن نفسه من أنَّه مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه بالكيفية التي يعلمها هو جلَّ شأنه؛ كما قال مالك وغيره: ((الاستواء معلومٌ، والكيفُ مجهولٌ))[1].

وأما ما يشغِّب به أهل التعطيل من إيراد اللوازم الفاسدة على تقرير الاستواء؛ فهي لا تلزمنا؛ لأننا لا نقول بأنَّ فوقيَّتَهُ على العرش كفوقِيَّة المخلوق على المخلوق.

وأما ما يحاولون به صرف هذه الآيات الصريحة عن ظواهرها بالتأويلات الفاسدة التي تدُلُّ على حيرتهم واضطرابهم؛ كتفسيرهم: ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ بـ(استولى)، أو حملهم ﴿عَلَىٰ﴾ على معنى (إلى)، و﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾؛ بمعنى: (قصد)... إلى آخر ما نقله عنهم حامل لواء التجهُّم والتعطيل زاهد الكوثري[2]؛ فكلها تشغيبٌ بالباطل، وتغييرٌ في وجه الحق لا يغني عنهم في قليلٍ ولا كثيرٍ.

وليت شعري! ماذا يريد هؤلاء المعطِّلة أن يقولوا؟! أيريدون أن يقولوا: ليس في السماء ربٌّ يُقْصَدُ، ولا فوق العرش إله يُعْبَدُ؟! فأين يكون إذن؟!

[الله في السماء]

ولعلَّهم يضحكون منا حين نسأل عنه بـ(أين)! ونسوا أنَّ أكمل الخلق وأعلمهم بربهم صلوات الله عليه وسلامه قد سأل عنه بـ(أين) حين قال

---

(١) انظر: (ص: ٩٦).

(٢) سبقت ترجمته (ص: ١٣٩).

للجارية: ((أين الله؟)). ورضي جوابها حين قالت: في السماء[(١)].

وقد أجاب كذلك مَن سأله بـ: أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض؟ بأنَّه كان في عماء.. الحديث[(٢)].

ولم يُرْوَ عنه أنَّه زجر السائل، ولا قال له: إنَّك غلطت في السؤال.

إنَّ قصارى ما يقوله المتحذلق منهم في هذا الباب: إنَّ الله تعالى كان ولا مكان، ثمَّ خلق المكان، وهو الآن على ما كان قبل المكان.

فماذا يعني هذا المخَرِّف بالمكان الذي كان الله ولم يكن؟!

هل يعني به تلك الأمكنة الوجودية التي هي داخل محيط العالم؟!

فهذه أمكنة حادثة، ونحن لا نقول بوجود الله في شيءٍ منها؛ إذ لا يحصره ولا يحيط به شيء من مخلوقاته.

---

(١) رواه مسلم (٥٣٧)، ومالك، وأبو داود، والنسائي.

(٢) يشير إلى حديث أبي رزين العقيلي رضي الله عنه، قال: قلتُ: يا رسول الله! أين كان ربُّنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: ((كان في عماء، ما تحته هواء، وما فوقه هواء، وخلق عرشه على الماء)).

أخرجه أحمد في ((المسند)) (١١/٤)، والترمذي (٣١٠٩)، وابن ماجه (١٨٢).

والحديث حسَّنه الترمذي، وصححه الطبري في التاريخ (٤٠/١)، وابن العربي في عارضة الأحوذي (٢٠٨/٦)، وابن القيم في أعلام الموقعين (٢٢٤/٤)، وحسن إسناده الذهبي في العلو (١٨)، وقال ابن تيمية في ((مجموع الفتاوى)) (٢٧٥/٢): (مشهور في كتب المسانيد والسنن)، وضعف إسناده الألباني في تخريج كتاب ((السنة)) (رقم ٦١٢)، لأنه من طريق وكيع بن حُدُس أو عُدُس، لم يوثقه غير ابن حبان.

قال يزيد بن هارون: ((العماء؛ أي: ليس معه شيء)).

وأما إذا أراد بها المكان العَدَميَّ الذي هو خلاءٌ محضٌ لا وجود فيه؛ فهذا لا يقال: إنَّه لم يكن ثمَّ خلق؛ إذ لا يتعلق به الخلق، فإنَّه أمر عدميٌّ، فإذا قيل: إنَّ الله في مكان بهذا المعنى؛ كما دلَّت عليه الآيات والأحاديث؛ فأي محذورٍ في هذا؟!

بل الحق أن يقال: كان الله ولم يكن شيء قبله، ثمَّ خلق السموات والأرض في ستة أيام، وكان عرشه على الماء، ثمَّ استوى على العرش، وثم هنا للترتيب الزماني لا لمجرَّد العطف.

[إثبات صفة العلو لله تعالى وأنه في السماء]

(وَقَوْلُهُ: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران:٥٥]، ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ﴾ [النساء:١٥٨]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر:١٠]، ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ﴾ [غافر:٣٦-٣٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًاۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ [الملك:١٦-١٧]).

وقوله: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ..﴾ إلخ؛ هذه الآيات جاءت مؤيِّدة لما دلَّت عليه الآيات السابقة من علوِّه تعالى وارتفاعه فوق العرش مباينًا للخلق، وناعية على المعطِّلة جحودهم وإنكارهم لذلك، تعالى الله عمَّا يقولون علوًّا كبيرًا.

ففي الآية الأولى ينادي الله رسوله وكلمته عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام بأنَّه متوفِّيه ورافعه إليه حين دبَّر اليهود قتله، والضمير في قوله:

﴿إِلَيَّ﴾ هو ضمير الرب جلَّ شأنه، لا يحتمل غير ذلك، فتأويله بأنَّ المراد: إلى محل رحمتي، أو مكان ملائكتي... إلخ لا معنى له.

ومثل ذلك يقال أيضًا في قوله سبحانه ردًّا على ما ادَّعاه اليهود من قتل عيسى وصلبه: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾.

وقد اختُلِفَ في المراد بالتوفِّي المذكور في الآية، فحمله بعضهم على الموت، والأكثرون على أنَّ المراد به النوم، ولفظ المتوفَّى يُسْتَعْمَل فيه؛ قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠].

ومنهم مَن زعم أنَّ في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، وأنَّ التقدير: إنِّي رافعك ومتوفيك؛ أي: مميتك بعد ذلك.

والحق أنَّه عليه السلام رُفع حيًّا، وأنَّه سينزل قرب قيام الساعة؛ لصحَّة الحديث بذلك(١).

وأمَّا قوله سبحانه: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾؛ فهو صريحٌ أيضًا في صعود أقوال العباد وأعمالهم إلى الله عزَّ وجلَّ، يصعد بها الكرام الكاتبون كل يوم عقب صلاة العصر، وعقب صلاة الفجر؛ كما جاء في الحديث: «فيعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ربهم - وهو أعلم - كيف تركتم

---

(١) يشير إلى حديث: «والذي نفسي بيده؛ ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحدٌ». رواه البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥)، وأبو داود، والترمذي.

عبادي؟ فيقولون: يا ربنا! أتيناهم وهم يصلُّون، وتركناهم وهم يصلُّون»[(١)].

وأما قوله سبحانه حكايةً عن فرعون: ﴿يَـٰهَـٰمَـٰنُ﴾ إلخ؛ فهو دليل على أنَّ موسى عليه السلام أخبر فرعون الطاغية بأنَّ إلهه في السماء، فأراد أنْ يتلمَّس الأسباب للوصول إليه تمويهًا على قومه، فأمر وزيره هامان أنْ يبني له الصرح، ثمَّ عقَّب على ذلك بقوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ﴾؛ أي: موسى ﴿كَـٰذِبًاۚ﴾ فيما أخبر به من كون إلهه في السماء، فمَن إذًا أشبه بفرعون وأقرب إليه نسبًا؛ نحنُ أم هؤلاء المعطِّلة؟! إنَّ فرعونَ كَذَّبَ موسى في كون إلهه في السماء، وهو نفس ما يقوله هؤلاء.

قوله: ﴿ءَأَمِنتُم﴾ إلخ؛ هاتان الآيتان فيهما التصريح بأنَّ الله عزَّ وجلَّ في السماء، ولا يجوز حمل ذلك على أنَّ المراد به: العذاب، أو الأمر، أو الملَك؛ كما يفعل المعطلة؛ لأنَّه قال: ﴿مَّن﴾، وهي [للعاقل][(٢)]، وحَمْلُها على الملَك إخراجُ اللفظ عن ظاهره بلا قرينة توجب ذلك.

ولا يجوز أنْ يُفهم من قوله: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أنَّ السماء ظرفٌ له سبحانه؛ بل إنْ أُريد بالسماء هذه المعروفة؛ فـ﴿فِي﴾ بمعنى على؛ كما في

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢)، والنسائي، ومالك في «الموطأ»، وأوله: «يتعاقبون فيكم ملائكة.. ».

(٢) علَّق الشيخ إسماعيل الأنصاري هنا بقوله: (لو عبَّر المؤلف هنا بلفظ: «للعالم»؛ بدل قوله: «للعاقل»؛ لأصاب).

قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[طه:٧١]، وإنْ أريد بها جهة العلو؛ فـ ﴿فِي﴾ على حقيقتها؛ فإنَّه سبحانه في أعلى العلوِّ.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد:٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة:٧]، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿٤٦﴾﴾ [طه:٤٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل:١٢٨]، ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾[الأنفال:٤٦]، ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤٩]).

قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ﴾ إلخ؛ تضمَّنت هذه الآية الكريمة إثبات صفة المعيَّة له عزَّ وجلَّ، وهي على نوعين.

[إثبات صفة المعيَّة]

١ – **معيَّة عامَّة:** شاملة لجميع المخلوقات، فهو سبحانه مع كل شيء بعلمه وقدرته وقهره وإحاطته، لا يغيب عنه شيء، ولا يعجزه، وهذه المعيَّة المذكورة في الآية.

ففي هذه الآية يخبر عن نفسه سبحانه بأنَّه هو وحده الذي خلق السموات والأرض - يعني: أوجدهما على تقدير وترتيب سابق في مدة ستة أيام-، ثمَّ علا بعد ذلك وارتفع على عرشه؛ لتدبير أمور خلقه. وهو مع كونه فوق عرشه لا يغيب عنه شيءٌ من العالمَيْن العُلويِّ والسُّفليِّ؛ فهو ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ﴾؛ أي: يدخل ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ﴾؛ أي: يصعد ﴿فِيهَا﴾، ولا شَكَّ أنَّ مَن كان علمه وقدرته محيطَيْن بجميع الأشياء؛ فهو مع كل شيء، ولذلك قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٤﴾.

قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ...﴾ إلخ؛ يثبت سبحانه شمول علمه وإحاطته بجميع الأشياء، وأنَّه لا يخفى عليه نجوى المتناجين، وأنَّه شهيدٌ على الأشياء كلها، مطَّلِع عليها.

وإضافة ﴿نَّجۡوَىٰ﴾ إلى ثلاثة من إضافة الصفة إلى الموصوف، والتقدير: ما يكون من ثلاثة نجوى؛ أي: متناجين.

٢- وأما الآيات الباقية؛ فهي في إثبات **المعيَّة الخاصَّة** التي هي معيَّتُه لرسله تعالى وأوليائه بالنصر والتأييد والمحبة والتوفيق والإلهام.

فقوله تعالى: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ حكايةٌ عما قاله عليه الصلاة والسلام لأبي بكرٍ الصدِّيق وهما في الغار، فقد أحاط المشركون بفم الغار عندما خرجوا في طلبه عليه السلام، فلما رأى أبو بكر ذلك انزعج، وقال: ((والله يا رسول الله! لو نظر أحدهم تحت قدمه لأبصرنا)). فقال له

الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما حكاه الله عزَّ وجلَّ هنا: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾(١).

فالمراد بالمعيَّة هنا معية النصر والعصمة من الأعداء.

وأمَّا قوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾؛ فقد تقدَّم الكلام عليه، وأنَّه خطابٌ لموسى وهارون عليهما السلام أن لا يخافا بطش فرعون بهما؛ لأنَّ الله عزَّ وجلَّ معهما بنصره وتأييده.

وكذلك بقيَّة الآيات يخبر الله فيها عن معيته للمتَّقين الذين يراقبون الله عزَّ وجلَّ في أمره ونهيه، ويحفظون حدوده، وللمحسنين الذين يلتزمون الإحسان في كل شيء، والإحسان يكون في كل شيء بحسبه، فهو في العبادة - مثلًا - أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإنْ لم تكن تراه فإنَّه يراك؛ كما جاء في حديث جبريل عليه السلام(٢).

وكذلك يخبر عن معيَّته للصابرين الذين يحبسون أنفسهم على ما تكره، ويتحمَّلون المشاقَّ والأذى في سبيل الله وابتغاء وجهه؛ صبرًا على طاعة الله، وصبرًا عن معصيته، وصبرًا على قضائه.

[إثبات صفة الكلام]

(وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء:٨٧]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء:١٢٢]، ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾

(١) رواه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١)، بألفاظ متقاربة.

(٢) سبق تخريجه (ص:٩٠).

[المائدة:١١٦]، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام:١١٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۝١٦٤﴾، ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٥٣]، ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[الأعراف:١٤٣]، ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ۝٥٢﴾[مريم:٥٢]، وَقَوْله: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠﴾ [الشعراء:١٠]، ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾[الأعراف:٢٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦٥﴾[القصص:٦٥]).

تضمَّنت هذه الآيات إثبات صفة الكلام لله عزَّ وجلَّ.

وقد تنازع الناس حول هذه المسألة نزاعًا كبيرًا:

فمنهم من جعل كلامه سبحانه مخلوقًا منفصلًا منه، وقال: إنَّ معنى (متكلِّم): خالقٌ للكلام. وهم المعتزلة.

[الكُلَّابية] ومنهم من جعله لازمًا لذاته أزلًا وأبدًا، لا يتعلَّق بمشيئته وقدرته، ونفى عنه الحرف والصوت، وقال: إنَّه معنى واحد في الأزل. وهم الكُلَّابيَّة[١] والأشعرية.

ومنهم مَن زعم أنَّه حروفٌ وأصواتٌ قديمةٌ لازمة للذَّات، وقال: إنَّها

---

(١) هم أتباع عبد الله بن سعيد بن كُلاّب، وهم يزعمون أن صفاته تعالى: لا هي هو، ولا غيره، ويقولون: إن أسماء الله هي صفاته، ولم يفرقوا بين صفات الذات وصفات الأفعال.
انظر: «الصواعق المرسلة» لابن القيم (٢٣١/١).

مقترنة في الأزل، فهو سبحانه لا يتكلم بها شيئًا بعد شيء. وهم بعض الغلاة.

[الكرَّامية]

ومنهم من جعله حادثًا قائمًا بذاته تعالى، ومتعلِّقًا بمشيئته وقدرته، ولكن زعم أنَّ له ابتداء في ذاته، وأنَّ الله لم يكن متكلِّمًا في الأزل. وهم الكرَّامية[١].

ويطول بنا القول لو اشتغلنا بمناقشة هذه الأقوال وإفسادها، على أنَّ فسادها بيِّنٌ لكل ذي فهمٍ سليمٍ، ونظرٍ مستقيمٍ.

وخلاصةُ مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في هذه المسألة أنَّ الله تعالى لم يزل متكلِّمًا إذا شاء، وأنَّ الكلام صفة له قائمة بذاته، يتكلَّم بها بمشيئته وقدرته، فهو لم يزل ولا يزال متكلِّمًا إذا شاء، وما تكلَّم الله به فهو قائمٌ به ليس مخلوقًا منفصلًا عنه؛ كما تقول المعتزلة، ولا لازمًا لذاته لزوم الحياة لها؛ كما تقول الأشاعرة؛ بل هو تابعٌ لمشيئته وقدرته.

والله سبحانه نادى موسى بصوتٍ، ونادى آدم وحواء بصوتٍ، وينادي عباده يوم القيامة بصوتٍ، ويتكلَّم بالوحي بصوتٍ، ولكن الحروف والأصوات التي تكلَّم الله بها صفة له غير مخلوقة، ولا تشبه أصوات المخلوقين وحروفهم[٢]؛ كما أنَّ علم الله القائم بذاته ليس مثل علم عباده؛

---

(١) هم أتباع أبي عبد الله محمد بن كرَّام السجستاني، المتوفى سنة (٢٥٥هـ)، وهم مشبِّهة مجسِّمة مرجئة، ينقسمون إلى اثنتي عشرة فرقة.

(٢) (فيه نظر من وجهين الأول: جمع الصوت فإن ظاهره أن لله أصواتاً متنوعة وهذا ما لا سبيل إلى إثباته أو نفيه والوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم: فينادي بصوت. ولم يرد أصوات =

فإنَّ الله لا يماثل المخلوقين في شيء من صفاته.

والآيتان الأوليان هنا – وهما من سورة النساء – تنفيان أن يكون أحدٌ أصدقَ حديثًا وقولًا من الله عزَّ وجلَّ، بل هو سبحانه أصدق من كل أحدٍ في كل ما يخبر به، وذلك لأنَّ علمه بالحقائق المخبرِ عنها أشمل وأضبط، فهو يعلمها على ما هي به من كل وجه، وعلم غيره ليس كذلك.

وأما قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى﴾ إلخ؛ فهو حكايةٌ لما سيكون يوم القيامة من سؤال الله لرسوله وكلمته عيسى عمَّا نسبه إليه الَّذين ألَّهوه وأمه من النصارى من أنَّه هو الذي أمرهم بأن يتَّخِذوه وأمَّه إلهينِ من دون الله.

وهذا السؤال لإظهار براءة عيسى عليه السلام، وتسجيل الكذب والبهتان على هؤلاء الضالِّين الأغبياء.

وأمَّا قوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾؛ فالمراد صدقًا في أخباره، وعدلًا في أحكامه؛ لأنَّ كلامه تعالى إمَّا أخبار، وهي كلها في غاية الصدق،

= بلفظ الجمع فإن أراد بالجمع الآحاد أي أنه جمعه باعتبار آحاده أو أراد به اختلاف صفاته فتارة يكون منادة وتارة مناجاة كما في قوله: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم:٥٢] فهذا صحيح، الثاني: قوله إن الحروف التي تكلم الله بها لا تشبه حروف المخلوقين، فإننا نعلم أن كلام الله هو الحروف والمعاني هذا مذهب أهل السُّنَّة ومن المعلوم أن الحروف التي في القرآن هي الحروف التي تكلم الله بها وهي أحرف المخلوقين التي يكون العرب منها لغتهم وكلامهم و لا ضرر في إثبات كلام الله بهذه الحروف التي يتكلم الناس بها فإن هذا هو المعقول من قولنا إن كلام الله هو الحروف والمعاني وإلا لكانت هذه الحروف عبارة أو بدلًا عن حروفٍ أخرى لا نعلمها فتخرج بذلك عن أن تكون كلام الله وهذا خلاف مذهب أهل السُّنَّة. (ابن عثيمين)

وإمَّا أمر ونهي، وكلها في غاية العدل الذي لا جور فيه؛ لابتنائها على الحكمة والرحمة.

والمراد بالكلمة هنا الكلمات؛ لأنَّها أُضيفت إلى معرفة، فتفيد معنى الجمع؛ كما في قولنا: رحمة الله ونعمة الله.

وأما قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ وما بعدها من الآيات التي تدل على أنَّ الله قد نادى موسى وكلمه تكليمًا، وناجاه حقيقة من وراء حجاب، وبلا واسطة ملَكٍ؛ فهي تردُّ على الأشاعرة الذين يجعلون الكلام معنى قائمًا بالنفس؛ بلا حرف، ولا صوت!

فيقال لهم: كيف سمع موسى هذا الكلامَ النفسيَّ؟

فإنْ قالوا: ألقى الله في قلبه علمًا ضروريًّا بالمعاني التي يريد أن يكلِّمَه بها؛ لم يكن هناك خصوصية لموسى في ذلك.

وإنْ قالوا: إنَّ الله خلق كلامًا في الشجرة أو في الهواء، ونحو ذلك؛ لزم أن تكون الشجرة هي التي قالت لموسى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه:١٢].

وكذلك تردُّ عليهم هذه الآيات في جعلهم الكلام معنى واحدًا في الأزل، لا يحدث منه في ذاته شيءٌ، فإنَّ الله يقول: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾؛ فهي تفيد حدوث الكلام عند مجيء موسى للميقات، ويقول: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾؛ فهذا يدل حدوث النداء عند جانب الطور الأيمن. والنداء لا يكون إلا صوتًا مسموعًا.

وكذلك قوله تعالى في شأن آدم وحواء: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ﴾ الآية؛ فإنَّ هذا النداء لم يكن إلا بعد الوقوع في الخطيئة، فهو حادث قطعًا.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ إلخ؛ فإنَّ هذا النداء والقول سيكون يوم القيامة. وفي الحديث: «ما من عبدٍ إلَّا سيكلِّمُهُ الله يومَ القيامة ليس بينَهُ وبينَه تَرجمان»[(١)].

(﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة:٧٥]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ﴾ [الفتح:١٥]، ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾ [الكهف:٢٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [النمل:٧٦]، ﴿وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام:٩٢، ١٥٥]، ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الحشر:٢١]، ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ

---

(١) رواه البخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (١٠١٦) بلفظ: ما منكم من أحدٍ إلا سيكلمه الله ... و(تَرجمان)؛ بفتح التاء والجيم، وضم الجيم (تَرجُمان)، وبضم التاء والجيم (تُرجُمان)؛ ثلاث لغات صحيحة. انظر: «الصحاح» (مادة: ر ج م).

مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠١-١٠٣]).

[القرآن كلام الله]

قوله: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ...﴾ إلخ؛ هذه الآيات الكريمة تفيد أنَّ القرآن المتلوَّ المسموع المكتوب بين دفَّتي المصحف هو كلام الله على الحقيقة، وليس فقط عبارة أو حكاية عن كلام الله؛ كما تقول الأشعريَّة(١).

وإضافته إلى الله عزَّ وجلَّ تدلُّ على أنَّه صفةٌ له قائمة به، وليست كإضافة البيت أو الناقة؛ فإنَّها إضافة معنى إلى الذات، تدلُّ على ثبوت المعنى لتلك الذات؛ بخلاف إضافة البيت أو الناقة؛ فإنَّها إضافة أعيان، وهذا يردُّ على المعتزلة في قولهم: إنَّه مخلوق منفصلٌ عن الله.

ودلَّت هذه الآيات أيضًا على أن القرآن منزَّلٌ من عند الله، بمعنى أنَّ الله تكلَّم به بصوتٍ سمعه جبريل عليه السلام، فنزل به، وأدَّاه إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما سمعه من الربِّ جل شأنه.

وخلاصة القول في ذلك: أنَّ القرآن العربي كلام الله، منزَّلٌ، غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، والله تكلَّم به على الحقيقة، فهو كلامه حقيقة لا كلام غيره، وإذا قرأ الناس القرآن أو كتبوه في المصاحف لم يخرجه ذلك

---

(١) (المعروف عن الأشعرية أنهم يقولون إنه عبارة وأن الذين يقولون إنه حكاية هم الكلابية وهو ما ذكره المؤلف الشارح ص٢٢١). (ابن عثيمين)

عن أن يكون كلام الله؛ فإنَّ الكلام إنَّما يضاف حقيقةً إلى مَن قاله مبتدئًا، لا إلى مَن بلغه مؤدِّيًا، والله تكلَّم بحروفه ومعانيه بلفظ نفسه، ليس شيء منه كلامًا لغيره، لا لجبريل، ولا لمحمد، ولا لغيرهما، والله تكلم به أيضًا بصوت نفسه، فإذا قرأه العباد قرؤوه بصوت أنفسهم، فإذا قال القارئ مثلاً: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة:٢]؛ كان هذا الكلام المسموع منه كلام الله، لا كلام نفسه، وكان هو قرأه بصوت نفسه لا بصوت الله.

وكما أنَّ القرآن كلام الله، فكذلك هو كتابه؛ لأنَّه كتبه في اللوح المحفوظ، ولأنَّه مكتوبٌ في المصاحف؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨﴾ [الواقعة:٧٧-٧٨]. وقال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢﴾ [البروج:٢١-٢٢]. وقال: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ۝١٦﴾ [عبس:١٣-١٦].

والقرآن في الأصل مصدرٌ كالقراءة؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨﴾ [الإسراء:٧٨].

ويراد به هنا أن يكونَ عَلَمًا على هذا المنزَّل من عند الله، المكتوب بين دفَّتي المصحف، المتعبَّد بتلاوته، المتحدَّى بأقصر سورة منه.

وقوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ يدلُّ أنَّ ابتداء نزوله من عند الله عزَّ وجلَّ، وأنَّ روح القدس جبريل عليه السلام تلقَّاه عن الله سبحانه بالكيفيَّة التي يعلمها.

(وَقَوْلُهُ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾ [المطففين: ٢٣،٣٥]، ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس:٢٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [ق:٣٥]، وَهَذَا الْبَابُ فِي كِتَابِ اللهِ كَثِيرٌ، مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبًا لِلْهُدَى مِنْهُ؛ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ) .

[إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة]

قوله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ... ﴾ إلخ؛ هذه الآيات تثبت رؤية المؤمنين لله عزَّ وجلَّ يوم القيامة في الجنَّة.

وقد نفاها المعتزلة؛ بناء على نفيهم الجهة عن الله؛ لأنَّ المرئي يجب أن يكون في جهة من الرائي، وما دامت الجهة مستحيلة، وهي شرط في الرؤية؛ فالرؤية كذلك مستحيلة.

واحتجُّوا من النقل بقوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [الأنعام:١٠٣]، وقوله لموسى عليه السلام حين سأله الرؤية: ﴿ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ﴾ [الأعراف:١٤٣].

وأما الأشاعرة؛ فهم مع نفيهم الجهة كالمعتزلة يثبتون الرؤية، ولذلك حاروا في تفسير تلك الرؤية، فمنهم مَن قال: يرونه من جميع الجهات، ومنهم من جعلها رؤية بالبصيرة لا بالبصر، وقال: المقصود زيادة الانكشاف والتجلي حتى كأنَّها رؤية عين.

وهذه الآيات التي أوردها المؤلِّف حجة على المعتزلة في نفيهم الرؤية؛

فإنَّ الآية الأولى عُدِّي النظر فيها بـ ﴿إِلَىٰ﴾، فيكون بمعنى الإبصار؛ يقال: نظرتُ إليه وأبصرتُه بمعنى، ومتعلّق النظر هو الربُّ جلَّ شأنه.

وأما ما يتكلَّفه المعتزلة من جعلهم ﴿نَاظِرَةٌ﴾ بمعنى منتظرة، و﴿إِلَىٰ﴾ بمعنى النعمة. والتقدير: ثواب ربها منتظرة؛ فهو تأويل مضحك.

وأما الآية الثانية؛ فتفيد أنَّ أهل الجنَّة، وهم على أرائكهم - يعني: أَسِرَّتَهم، جمع أريكة - ينظرون إلى ربهم.

وأما الآيتان الأخيرتان؛ فقد صحَّ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله عزَّ وجلَّ[1].

ويشهد لذلك أيضًا قوله تعالى في حق الكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين:١٥]، فدلَّ حجب هؤلاء على أنَّ أولياءه يرونه.

وأحاديث الرؤية متواترة في هذا المعنى عند أهل العلم بالحديث، لا ينكرها إلا ملحد زنديق.

وأما ما احتجَّ به المعتزلة من قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]؛ فلا حجة لهم فيه؛ لأنَّ نفي الإدراك لا يستلزم نفي الرؤية، فالمراد أنَّ الأبصار تراه، ولكن لا تحيط به رؤية؛ كما أنَّ العقول تعلمه

---

(١) يشير إلى ما رواه مسلم (١٨١)، وأحمد في «المسند» (٤/٣٣٢)، والترمذي (٢٥٥٢)، وفيه أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: «... فيكشف الحجاب، فما أعْطُوا شيئًا أحبَّ إليهم من النَّظَر إلى ربِّهم عزَّ وجلَّ، ثمَّ تلا هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦].

ولكن لا تحيط به علمًا؛ لأنَّ الإدراك هو الرؤية على جهة الإحاطة، فهو رؤية خاصة، ونفي الخاص لا يستلزم نفي مطلق الرؤية.

وكذلك استدلالهم على نفي الرؤية بقوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ لا يصلح دليلاً، بل الآية تدل على الرؤية من وجوهٍ كثيرةٍ؛ منها:

١- وقوع السؤال من موسى، وهو رسول الله وكليمه، وهو أعلمُ بما يستحيل في حق الله من هؤلاء المعتزلة، فلو كانت الرؤية ممتنعة لما طلبها.

٢- أنَّ الله عزَّ وجلَّ علَّق الرؤية على استقرار الجبل حال التجلِّي وهو ممكنٌ، والمعلَّق على الممكن ممكنٌ.

٣- أنَّ الله تجلَّى للجبل بالفعل، وهو جمادٌ، فلا يمتنع إذًا أن يتجلَّى لأهل محبَّته وأصفيائه.

وأمَّا قولهم: إنَّ، لتأبيد النفي، وإنَّها تدل على عدم وقوع الرؤية أصلاً؛ فهو كذب على اللغة فقد قال تعالى حكايةً عن الكفار: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة:٩٥]، ثمَّ قال: ﴿وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف:٧٧]، فأخبر عن عدم تمنِّيهم للموت بـ ﴿لَن﴾، ثمَّ أخبر عن تمنِّيهم له وهم في النَّار.

وإذًا؛ فمعنى قوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾: لن تستطيع رؤيتي في الدنيا؛ لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته سبحانه، ولو كانت الرؤية ممتنعة لذاتها؛ لقال: إنِّي لا أُرى، أو لا يجوز رؤيتي، أو لست بمرئيٍّ... ونحو ذلك، والله أعلم.

مباحث عامَّة حول آيات الصفات

إنَّ الناظر في آيات الصفات التي ساقها المؤلِّف رحمه الله يستطيع أن يستنبط منها قواعدَ وأصولًا هامَّة يجب الرجوع إليها في هذا الباب:

الأصل الأوَّل: اتفق السَّلف على أنَّه يجب الإيمان بجميع الأسماء الحسنى، وما دلَّت عليه من الصفات، وما ينشأ عنها من الأفعال.

مثال ذلك القدرة مثلاً، يجب الإيمان بأنَّه سبحانه على كل شيء قدير، والإيمان بكمال قدرته، والإيمان بأنَّ قدرته نشأت عنها جميع الكائنات.

وهكذا بقية الأسماء الحسنى على هذا النمط.

وعلى هذا؛ فما ورد في هذه الآيات التي ساقها المصنِّف من الأسماء الحسنى؛ فإنَّها داخلةٌ في الإيمان بالاسم.

وما فيها من ذكر الصفات؛ مثل: عزَّة الله، وقدرته، وعلمه، وحكمته، وإرادته، ومشيئته، فإنَّها داخلة في الإيمان بالصفات.

وما فيها من ذكر الأفعال المطلقة والمقيَّدة، مثل: يعلم كذا، ويحكم ما يريد، ويرى، ويسمع، وينادي، ويناجي، وكلَّم، ويكلِّم؛ فإنَّها داخلةٌ في الإيمان بالأفعال.

الأصل الثاني: دلَّت هذه النصوص القرآنية على أنَّ صفات الباري قسمان:

[صفات الذات]

١- **صفات ذاتيَّة** لا تنفكُّ عنها الذات، بل هي لازمة لها أزلًا وأبدًا، ولا تتعلَّق بها مشيئته تعالى وقدرته، وذلك كصفات: الحياة، والعلم، والقدرة، والقوة، والعزَّة، والملك، والعظمة، والكبرياء، والمجد، والجلال... إلخ.

[صفات الفعل]

٢- **صفات فعليَّة** تتعلق بها مشيئته وقدرته كل وقت وآن، وتحدث بمشيئته وقدرته آحاد تلك الصفات من الأفعال، وإنْ كان هو لم يزل موصوفًا بها، بمعنى أنَّ نوعها قديم، وأفرادها حادثة، فهو سبحانه لم يزل فعَّالًا لما يريد، ولم يزل ولا يزال يقول ويتكلَّم ويخلق ويدبِّر الأمور، وأفعاله تقع شيئًا فشيئًا، تبعًا لحكمته وإرادته.

فعلى المؤمن الإيمان بكل مانسبه الله لنفسه من الأفعال المتعلِّقة بذاته؛ كالاستواء على العرش، والمجيء، والإتيان، والنزول إلى السماء الدنيا، والضحك، والرضى، والغضب، والكراهية، والمحبة. والمتعلِّقة بخلقه؛ كالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، وأنواع التدبير المختلفة.

الأصل الثالث: إثبات تفرُّد الربِّ جلَّ شأنه بكل صفة كمال، وأنَّه ليس له شريك أو مثيلٌ في شيءٍ منها.

وما ورد في الآيات السابقة من إثبات المثل الأعلى له وحده، ونفي الند والمثل والكفء والسميّ والشريك عنه يدل على ذلك؛ كما يدل على أنَّه منزَّه عن كل نقصٍ وعيبٍ وآفةٍ.

الأصل الرابع: إثبات جميع ما ورد به الكتاب والسنة من الصفات، لا فرق بين الذاتية منها؛ كالعلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر

ونحوها، والفعلية؛ كالرضا والـمحبة والغضب والكراهة، وكذلك لا فرق بين إثبات الوجه واليدين ونحوهما، وبين الاستواء على العرش والنزول، فكلها مما اتفق السَّلف على إثباته بلا تأويل ولا تعطيل، وبلا تشبيه وتمثيل.

والمخالف في هذا الأصل فريقان:

١- **الجهميَّة**: ينفون الأسماء والصفات جميعًا.

٢- **الـمعتزلة**:فإنَّهم ينفون جميع الصفات،ويثبتون الأسماء والأحكام، فيقولون: عليم بلا علم، وقدير بلا قدرة، وحيٌّ بلا حياة... إلخ.

وهذا القول في غاية الفساد؛ فإنَّ إثبات موصوف بلا صفة، وإثبات ما للصفة للذات المجرَّدة محالٌ في العقل؛ كما هو باطلٌ في الشرع.

أما الأشعرية ومَن تبعهم؛ فإنَّهم يوافقون أهل السُّنَّة في إثبات سبع صفات يسمونها صفات الـمعاني، ويدَّعون ثبوتها بالعقل، وهي: الحياة، والعلم، والقدرة، و الإرادة، والسمع، والبصر، والكلام.

ولكنهم وافقوا الـمعتزلة في نفي ما عدا هذه السبع من الصفات الخبرية التي صحَّ بها الخبر.

والكل محجوجون بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة والقرون الـمفضَّلة على الإثبات العام.

(فَصْلٌ: ثُمَّ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَم، فَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ الْقُرآنَ، وتُبَيِّنُهُ، وتَدُلُّ عَلَيْهِ، وتُعَبِّرُ عَنْهُ، وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ عَزَّ

وَجَلَّ مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ المعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ؛ وَجَبَ الإيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ)(١).

قوله: ((**ثُمَّ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ**)) عطفٌ على قوله فيما تقدَّم: ((وقد دخل في هذه الجملة ما وصف الله به نفسه في سورة الإخلاص... إلخ))؛ يعني: ودخل فيها ما وصف به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَم ربَّه فيما وردت به السنة الصحيحة.

والسنَّة هي الأصل الثاني الذي يجب الرجوع إليه، والتَّعويل عليه بعد كتاب الله عزَّ وجلَّ؛ قال تعالى:﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [النساء:١١٣]. والمراد بالحكمة: السنة. وقال: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [البقرة:١٢٩]. وقال آمرًا لنساء نبيِّه: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ﴾ [الأحزاب:٣٤]. وقال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر:٧].

وقال صلواتُ الله وسلامُهُ عليهِ وآله: ((ألا إنِّي أوتيت القرآن ومثله معه))(٢).

---

(١) في الأصل: ثُمَّ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ، وتُبَيِّنُهُ، .....

(٢) رواه أحمد في ((المسند)) (١٣١/٤)، وأبو داود (٤٦٠٤)، والطبراني (٢٨٣/٢٠)، من حديث المقدام بن معديكرب رضي الله عنه.

والحديث صححه الشوكاني في ((نيل الأوطار)) (١٦٩/٢)، والألباني في ((تحذير الساجد)) رقم (٧٧).

[منزلة السنة من القرآن]

وحكم السنة حكم القرآن في ثبوت العلم واليقين والاعتقاد والعمل؛ فإنَّ السنة توضيح للقرآن، وبيانٌ للمراد منه: تفصِّل مجمله، وتقيِّد مطلقه، وتخصِّص عمومه؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤].

[موقف أهل البدع من السنة]

وأهل البدع والأهواء بإزاء السنة الصحيحة فريقان:

١- فريقٌ لا يتورَّع عن ردها وإنكارها إذا وردت بما يخالف مذهبه؛ بدعوى أنَّها أحاديث آحاد لا تفيد إلَّا الظنَّ، والواجب في باب الاعتقاد اليقين، وهؤلاء هم المعتزلة والفلاسفة.

٢- وفريق يُثبتها ويعتقد بصحة النقل، ولكنه يشتغل بتأويلها؛ كما يشتغل بتأويل آيات الكتاب، حتى يخرِجَها عن معانيها الظاهرة إلى ما يريده من معانٍ بالإلحاد والتحريف، وهؤلاء هم متأخِّرو الأشعرية، وأكثرهم توسُّعًا في هذا الباب الغزالي(١)، والرَّازي(٢).

قوله: «**وما وصف الرسول به...**» إلخ؛ يعني: أنَّه كما وجب الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ ولا تكييفٍ

---

(١) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، المتكلم، المتصوِّف، الفقيه، الأصولي، تاه في متاهات علم الكلام والتصوف فضَّل وأضلَّ، وقيل: رجع قبل وفاته. ولد بطوس سنة (٤٥٠هـ)، ومن أشهر تصانيفه: «إحياء علوم الدين».

(٢) هو فخر الدين محمد بن ضياء الدين عمر بن الحسين القرشي البكري الطبرستاني، ولد سنة (٥٤٤هـ)، أصولي، متكلم، مفسر، له تصانيف كثيرة مليئة بالضلالات والبدع والخرافات والسحر، منها «التفسير الكبير» أو «مفاتيح الغيب»، مات سنة (٦٠٦هـ) بعد أن رجع وتاب.

ولا تمثيلٍ؛ كذلك يجب الإيمان بكل ما وصفه به أعلم الخلق بربه وبما يجب له، وهو رسوله الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه وآله.

قوله: ((**كذلك**))؛ أي: إيمانًا مثل ذلك الإيمان، خاليًا من التحريف والتعطيل، ومن التكييف والتمثيل بل إثبات لها على الوجه اللائق بعظمة الربِّ جلَّ شأنه.

[أحاديث الصفات]

(**فَمِنْ ذَلِكَ: [١] مِثْلُ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَم: ((يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟)). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ**[٢]).

قوله: ((**فمن ذلك مثل قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَم...**)) إلخ؛ الكلام على هذا الحديث من جهتين:

[صفة النزول]

الأولى: صحَّته من جهة النقل؛ وقد ذكر المؤلِّف رحمه الله أنَّه متَّفق عليه. ويقول الذهبي في كتابه ((العلو للعليِّ الغفار))[٣]: ((إنَّ أحاديث النزول متواترة، تفيد القطع)).

وعلى هذا؛ فلا مجال لإنكار أو جحود.

---

(١) ليست في الأصل.

(٢) رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

(٣) انظر: ((العلو للعليِّ الغفَّار)) (ص٧٣، ٧٩)، و((مختصره)) (ص١١٠، ١١٦)، ونص عبارته: ((وأحاديث نزول الباري متواترة))، وفي الموضع الآخر؛ قال: ((وقد ألَّفتُ أحاديث النزول في جزء، وذلك متواترٌ أقطع به)).

الثانية: ما يفيده هذا الحديث؛ وهو إخباره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم بنزول الربِّ تبارك وتعالى كل ليلة... إلخ.

ومعنى هذا أنَّ النزول صفة لله عزَّ وجلَّ على ما يليق بجلاله وعظمته، فهو لا يماثل نزول الخلق؛ كما أنَّ استواءه لا يماثل استواء الخلق.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله في تفسيره سورة الإخلاص: ((فالربُّ سبحانه إذا وصفه رسوله بأنَّه ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة، وأنَّه يدنو عشية عرفة إلى الحجاج، وأنَّه كلَّم موسى بالوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة، وأنَّه استوى إلى السماء وهي دخانٌ، فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا؛ لم يلزم من ذلك أن تكون هذه الأفعال من جنس ما نشاهده من نزول هذه الأعيان المشهودة حتى يُقال: ذلك يستلزم تفريغ مكان وشغل آخر))(١).

فأهل السُّنَّة والجماعة يؤمنون بالنزول صفة حقيقية لله عزَّ وجلَّ، على الكيفية التي يشاء، فيثبتون النزول كما يثبتون جميع الصفات التي ثبتت في الكتاب والسنة، ويقفون عند ذلك، فلا يكيِّفون ولا يمثِّلون ولا ينفون ولا يعطِّلون، ويقولون: إنَّ الرسول أخبرنا أنَّه ينزل،ولكنه لم يخبرنا كيف ينزل، وقد علمنا أنَّه فعَّال لما يريد، وأنَّه على كل شيء قدير.

ولهذا ترى خواصَّ المؤمنين يتعرَّضون في هذا الوقت الجليل لألطاف ربهم ومواهبه، فيقومون لعبوديته؛ خاضعين خاشعين، داعين متضرِّعين، يرجون منه حصول مطالبهم التي وعدهم بها على لسان رسوله صَلَّى اللهُ

---

(١) انظر: ((دقائق التفسير)) (٦/٤٢٤).

عَلَيْهِ وسَلَّم.

[صفة الفرح]

(وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الـمؤْمِنِ التَّائِبِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[١]).

قوله: «**لله أَشَدُّ فَرَحًا...**» إلخ؛ تتمة هذا الحديث؛ كما في البخاري وغيره: «لله أشدُّ فرحًا بتوبة عبده المؤمن من رجل بأرض فلاة دويَّة مهلكة ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه، فنزل عنها، فنام وراحلته عند رأسه، فاستيقظ وقد ذهبت، فذهب في طلبها، فلم يقدر عليها، حتى أدركه الموت من العطش، فقال: والله لأرجعن فلأموتن حيث كان رحلي، فرجع، فنام، فاستيقظ، فإذا راحلته عند رأسه، فقال: اللهمَّ أنت عبدي وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح»[٢].

وفي هذا الحديث إثبات صفة الفرح لله عزَّ وجلَّ، والكلام فيه كالكلام في غيره من الصفات: أنَّه صفة حقيقة لله عزَّ وجلَّ، على ما يليق به، وهو من صفات الفعل التابعة لمشيئته تعالى وقدرته، فيَحْدُث له هذا المعنى المعبَّر عنه بالفرح عندما يُحدِث عبدُه التوبةَ والإنابةَ إليه، وهو مستلزمٌ لرضاه عن عبده التائب، وقبوله توبته.

وإذا كان الفرح في المخلوق على أنواع؛ فقد يكون فرح خفة وسرور وطرب، وقد يكون فرح أشرٍ وبطرٍ؛ فالله عزَّ وجلَّ منزَّه عن ذلك كله،

---

(١) رواه البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم (٢٧٤٧) واللفظ له.

(٢) تقدم تخريجه آنفًا.

ففرحهُ لا يشبه فرح أحد من خلقه، لا في ذاته، ولا في أسبابه، ولا في غاياته، فسببه كمال رحمته وإحسانه التي يحب من عباده أن يتعرَّضوا لها، وغايته إتمام نعمته على التائبين المنيبين.

وأما تفسير الفرح بلازمه،وهو الرضا، وتفسير الرضا بإرادة الثواب؛ فكلُّ ذلك نفيٌ وتعطيلٌ لفرحه ورضاه سبحانه، أوجبه سوءُ ظنِّ هؤلاء المعطِّلة بربهم، حيث توهَّموا أنَّ هذه المعاني تكون فيه كما هي في المخلوق، تعالى الله عن تشبيههم وتعطيلهم.

[إثبات صفة الضحك]

(وَقَوْلُهُ: صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: ((يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ؛ كِلاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ)) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[1]).

قوله: ((يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ ...)) إلخ؛ يثبت أهل السُّنَّة والجماعة الضحك لله عزَّ وجلَّ - كما أفاده هذا الحديث وغيره - على المعنى الذي يليق به سبحانه، والذي لا يشبهه ضحك المخلوقين عندما يستخفُّهم الفرح، أو يستفزُّهم الطرب؛ بل هو معنى يحدث في ذاته عند وجود مقتضيه، وإنَّما يحدث بمشيئته وحكمته؛ فإنَّ الضحك إنَّما ينشأ في المخلوق عند إدراكه لأمرٍ عجيبٍ يخرج عن نظائره، وهذه الحالة المذكورة في هذا الحديث كذلك؛ فإنَّ تسليط الكافر على قتل المسلم مَدعاةٌ في بادئ الرأي لسخط الله على هذا الكافر، وخذلانه، ومعاقبته في الدنيا والآخرة، فإذا منَّ الله

---

(١) رواه البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠)، واللفظ له، ومالك في ((الموطأ))، والنسائي في ((سننه))، وتتمة الحديث: ((يقاتل هذا في سبيل الله، ثمَّ يستشهد، فيتوب الله على القاتل، فيسلم، فيقاتل في سبيل الله، فيستشهد)).

على هذا الكافر بعد ذلك بالتوبة، وهداه للدخول في الإسلام، وقاتل في سبيل الله حتى يستشهد فيدخل الجنَّة؛ كان ذلك من الأمور العجيبة حقًّا.

وهذا من كمال رحمته وإحسانه وسعة فضله على عباده سبحانه؛ فإنَّ المسلم يقاتل في سبيل الله، ويقتله الكافر، فيكرم الله المسلم بالشهادة، ثمَّ يمنُّ على ذلك القاتل، فيهديه للإسلام والاستشهاد في سبيله، فيدخلان الجنَّة جميعًا.

وأما تأويل ضحكه سبحانه بالرضا أو القبول أو أنَّ الشيء حلَّ عنده بمحلٍّ ما يضحك منه، وليس هناك في الحقيقة ضحك؛ فهو نفيٌ لما أثبته رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم لربه، فلا يُلْتَفَتُ إليه.

(وَقَوْلُهُ: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ خَيْرِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أزلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ»[1]. حَدِيثٌ حَسَنٌ[2]).

[إثبات صفة العَجَب]

قوله: «**عَجِبَ رَبُّنا**...» إلخ؛ هذا الحديث يثبت لله عزَّ وجلَّ صفة العَجَب، وفي معناه قوله عليه الصلاة والسلام: «عجب ربك من شابٍّ

---

(١) (إسناده ضعيف). لم أجده بهذا اللفظ، ولكن بلفظ: «يضحك»، أو: «ضحك ربنا»، وبلفظ: «غِيَرِه»؛ بدل: «خيره». والحديث رواه ابن ماجه في المقدمة، (باب: فيما أنكرت الجهمية)، وأحمد في «المسند» (٤/١١)، والطبراني في «الكبير» (١٩/٢٠٨)، والآجري في «الشريعة» (ص٢٧٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٣/٤٢٦)؛ كلهم من طريق وكيع بن حُدُس - وقيل: عُدُس - عن عمه أبي رزين. ووكيعٌ؛ قال عنه الذهبي: «لا يعرف». وقال الحافظ: «مقبول».

والحديث حسَّنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٨١).

(٢) هذا الحكم ليس في الأصل، وقد يكون من تصرف النساخ.

ليس له صبوة»[(١)].

وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ ١٢﴾ [الصافات:١٢][(٢)]؛ بضم التاء على أنها ضميرٌ للرَّبِّ جلَّ شأنه.

وليس عجبه سبحانه ناشئًا عن خفاء في الأسباب أو جهل بحقائق الأمور؛ كما هو الحال في عجب المخلوقين؛ بل هو معنى يحدث له سبحانه على مقتضى مشيئته وحكمته وعند وجود مقتضيه، وهو الشيء الذي يستحقُّ أن يتعجب منه.

وهذا العَجَب الذي وصف به الرسولُ ربَّه هنا من آثار رحمته، وهو من كماله تعالى، فإذا تأخَّر الغيث عن العباد مع فقرهم وشدَّة حاجتهم، واستولى عليهم اليأس والقنوط، وصار نظرهم قاصرًا على الأسباب الظاهرة،

---

(١) (إسناده ضعيف). رواه أحمد في «المسند» (١٥١/٤)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٨٨/٣)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٣٣٦/١)، والطبراني في «الكبير»؛ كلهم من طريق ابن لهيعة عن أبي عَشَّانة، به. وقال عنه السخاوي في «المقاصد» (ص١٢٣): «ضعَّفه شيخُنا - يعني: الحافظ ابن حجر - في فتاويه لأجل ابن لهيعة» اهـ. وضعَّفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (رقم١٦٥٨).

ويغني عنه وعن الحديث الذي قبله ما رواه البخاري (٣٠١٠) عن أبي هريرة مرفوعًا: «عجب الله من قوم يدخلون الجنَّة في السلاسل». وما رواه أيضًا (٤٨٨٩) عن أبي هريرة مرفوعًا: «لقد عجب الله عزَّ وجلَّ -أو ضحك- من فلان وفلانة». وهو عند مسلم (٢٠٥٤) بلفظ: «قد عجِبَ الله من صنيعكما بضيفِكما الليلة».

(٢) وقد ثبتت هذه القراءة عند الحاكم (٤٣٠/٢) بسند صحيح، ومن طريقه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٢٥/٢). قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي».

وحسبوا أن لا يكون وراءها فرجٌ من القريب المجيب؛ فيعجب الله منهم.

وهذا محلٌّ عجيبٌ حقًّا؛ إذ كيف يقنطون ورحمته وسعت كلَّ شيء، والأسباب لحصولها قد توفَّرت؟! فإنَّ حاجة العباد وضرورتهم من أسباب رحمته، وكذا الدعاء بحصول الغيث والرجاء في الله من أسبابها، وقد جرت عادته سبحانه في خلقه أنَّ الفرج مع الكرب، وأنَّ اليسر مع العسر، وأنَّ الشدة لا تدوم، فإذا انضمَّ إلى ذلك قوَّة التجاء وطمع في فضل الله، وتضرع إليه ودعاء؛ فتح اللهم عليهم من خزائن رحمته ما لا يخطر على البال.

والقنوط مصدر (قَنَط)، وهو اليأس من رحمة الله؛ قال تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر:٥٦].

قوله: ((**وَقُرْب خَيْرِهِ**))؛ أي: فضله ورحمته. وقد رُوِيَ: ((غِيَرِه)). والغِيَر: اسم من قولك: غَيَّرَ الشيء فتغيَّر.

وفي حديث الاستسقاء: ((مَن يكفر بالله يلقَ الغِيَر))[1]؛ أي: تغيَّر الحال، وانتقالها من الصلاح إلى الفساد.

قوله: ((**آزلين قنطين**)): حالان من الضمير المجرور في ((إليكم)).

---

(١) (إسناده ضعيف). رواه الطبراني في ((المعجم الكبير)) (٢٥/٢٤٤)، وفي ((الدعاء)) (٣/١٧٧٥)، والبيهقي في ((دلائل النبوة)) (٦/١٤١) من حديث أنس رضي الله عنه الطويل في الاستسقاء، وفيه أن رجلًا أنشد بين يدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قصيدة آخرها:

فمن يشكرِ الله يلقى المزيد .... ومن يكفرِ الله يلقَ الغِيَر

وعلة إسنادهما: مسلم بن كيسان الملائي؛ وهو ضعيف.

و((آزِلين)): جمع آزِل، اسم فاعل من الأزْل؛ بمعنى الشِّدة والضيق. يقال: أَزِلَ الرجل يأزَل أزَلاً، من باب فرح؛ أي: صار في ضيق وجدب.

[إثبات صفة الرجل، والقَدَم]

(وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: ((لا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا رِجْلَهُ[1] [وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَيْهَا قَدَمَهُ] فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَتَقُولُ: قَط قَط)) مُتَّفَقٌ عَلَيْه[2]).

قوله: ((**لا تزال جهنَّم**...)) إلخ؛ في هذا الحديث إثبات الرجل والقدَم لله عزَّ وجلَّ، وهذه الصفة تُجرى مجرى بقيَّة الصفات، فتُثبت لله على الوجه اللائق بعظمته سبحانه.

والحكمة من وضع رجله سبحانه في النَّار أنَّه قد وعد أن يملأها؛ كما في قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود:١١٩].

ولما كان مقتضى رحمته وعدله أن لا يعذِّبَ أحدًا بغير ذنبٍ، وكانت النَّار في غاية العمق والسعة؛ حقَّق وعده تعالى، فوضع فيها قدمه، فحينئذ يتلاقى طرفاها، ولا يبقى فيها فضل عن أهلها.

وأما الجنَّة؛ فإنَّه يبقى فيها فضلٌ عن أهلها مع كثرة ما أعطاهم وأوسع لهم، فينشئ الله لها خلقًا آخرين؛ كما ثبت بذلك الحديث[3].

---

(١) ليست في الأصل.

(٢) رواه البخاري (٦٦٦١) ومسلم (٢٨٤٨).

(٣) يشير إلى ما رواه الشيخان: ((لا تزال جهنم يُلقى فيها...))، وقد تقدَّم تخريجه. وتتمة الحديث: ((... ولا تزال الجنَّة تفضل حتى ينشئ الله لها خلقًا، فيسكنهم فضل الجنَّة)).

وَقَوْلُهُ: ((يَقُولُ تَعَالَى: يَا آدَمُ! فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ. فَيُنَادِي بِصَوتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِن ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ)). مُتَّفقٌ عَلَيْهِ[١].

وَقَوْلُهُ: ((مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ))[٢].

قوله: ((**يقول تعالى: يا آدم**...)) إلخ؛ في هذين الحديثين إثباتُ القول والنداء والتكليم لله عزَّ وجلّ، وقد سبق أن بيَّنَّا مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في ذلك، وأنَّهم يؤمنون بأنَّ هذه صفات أفعال له سبحانه تابعة لمشيئته وحكمته، فهو قال، ويقول، ونادى، وينادي، وكلَّم، ويكلِّم، وأنَّ قوله ونداءه وتكليمه إنَّما يكون بحروف وأصوات يسمعها من يناديه ويكلِّمه، وفي هذا ردٌّ على الأشاعرة في قولهم: إنَّ كلامه قديم، وإنَّه بلا حرفٍ ولا صوتٍ.

وقد دلَّ الحديث الثاني على أنَّه سبحانه سيكلِّم جميع عباده بلا واسطة، وهذا تكليمٌ عامٌّ؛ لأنَّه تكليمُ محاسبةٍ، فهو يشملُ المؤمنَ والكافرَ والبر والفاجر، ولا ينافيه قوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٧٤]، [آل عمران: ٧٧]؛ لأنَّ المنفيَّ هنا هو التكليم بما يسرُّ المكلَّم، وهو تكليمٌ خاصٌّ، ويقابله تكليمه سبحانه لأهل الجنَّة تكليمَ محبة ورضوان وإحسان.

---

(١) رواه البخاري (٤٧٤١)، ومسلم (٢٢٢)، وللحديث روايات أخرى.

وتتمة الحديث: ((... قال: يا رب! وما بعث النَّار؟ قال: من كل ألف تسع مئة وتسعة وتسعون، فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد، ...)). فشق ذلك على الناس حتى تغيَّرت وجوههم، قالوا: يا رسول الله! أينا ذلك الرجل؟ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: ((من يأجوج ومأجوج تسع مئة وتسعة وتسعون، ومنكم واحد)).

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وقد سبق تخريجه (ص: ١٧٨).

[إثبات العلو، والفوقية]

(وَقَوْلُهُ فِي رُقْيَةِ المرِيضِ: ((رَبَّنَا اللهَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجِعِ؛ فَيَبْرَأَ))(١). [حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيرُهُ] (٢). وَقَوْلُهُ: ((أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ))(٣). [حَدِيثٌ صَحِيحٌ] (٤). وَقَوْلُهُ: ((وَالْعَرْشُ فَوْقَ الماءِ، وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ(٥)، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ))(٦) [حَدِيثٌ حَسَنٌ،

---

(١) رواه أبو داود (٣٨٩٢)، والحاكم (١/٤٩٤)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٨/٢٨٠) (٨٦٣٦) من حديث أبي الدرداء. وفيه زيادة بن محمد الأنصاري. قال عنه البخاري والنسائي: ((منكر الحديث)). انظر: ((الميزان)) (٢/٩٨). وقال الذهبي فيه: ((وقد انفرد بحديث الرقية: ربنا الله الذي في السماء))، فالإسناد ضعيف جدًّا.

ورواه الإمام أحمد في ((المسند)) (٦/٢١) من حديث فضالة بن عبيد الأنصاري، وفي سنده أبو بكر بن أبي مريم الغساني، وهو ضعيف. وهو في ((الكامل)) لابن عدي (٣/١٠٥٤) من طريق فضالة عن أبي الدرداء به.

(٢) ليست في الأصل.

(٣) رواه البخاري (٨/٦٧)، ومسلم (٧/١٦٨).

(٤) ليست في الأصل.

(٥) في الأصل: وَالْعَرْشُ فَوْقَ ذَلِكَ، وَاللهُ فَوْقَ عَرْشِهِ ....

(٦) رواه أبو داود (٤٧٢٥)، والترمذي (٣٣٢٠)، وابن ماجه (١٩٣)، ولم يصح مرفوعًا، وصحَّ موقوفًا على ابن مسعود رضي الله عنه، وله حكم الرفع، بلفظ: ((العرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم)). رواه ابن خزيمة في ((التوحيد)) (١/٢٤٣)، والدارمي في ((الرد على المريسي)) (ص٤٦). وأبو الشيخ في ((العظمة)) (٢/٥٦٥)، واللالكائي في ((شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة)) (٣/٣٩٦). =

رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ][١].

وَقَوْلُهُ لِلْجَارِيَةِ: ((أَيْنَ اللهُ؟)). قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: ((مَنْ أَنَا؟)). قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ. قَالَ: ((أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ)) رَوَاهُ مُسْلِمٌ[٢]

قوله: ((**ربَّنا الله الذي في السَّماء...**)) إلخ؛ الحديث الأول [والثاني][٣] صريحٌ في علوِّه تعالى وفوقيَّته؛ فهو كقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦].

وقد سبق أن قلنا: إنَّ هذه النصوص ليس المراد منها أنَّ السماء ظرفٌ حاوٍ له سبحانه؛ بل (في) إمَّا أن تكون بمعنى (على)؛ كما قاله كثير من أهل العلم واللغة، و(في) تكون بمعنى (على) في مواضع كثيرةٍ؛ مثل قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه:٧١]، وإمَّا أن يكون المراد من السماء جهة العلو، وعلى الوجهين فهي نصٌّ في علوِّه تعالى على خلقه.

وفي حديث الرقية المذكور توسُّلٌ إلى الله عزَّ وجلَّ بالثناء عليه بربوبيَّته وإلاهيَّته وتقديس اسمه وعلوِّه على خلقه وعموم أمره الشرعي وأمره القدري، ثمَّ توسلٌ إليه برحمته التي شملت أهل سماواته جميعًا أن يجعل لأهل الأرض نصيبًا

= صحح إسناده ابن القيم كما في ((مختصر الصواعق المرسلة)) (٤٣٥) والذهبي في ((العرش)) (١٠٥) وفي ((العلو)) (٧٩)، ووافقه الألباني. انظر: ((مختصر العلو)) (ص١٠٣).

(١) ليست في الأصل.

(٢) رواه مسلم (٥٣٧)، ومالك، وأبو داود، والنسائي.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

منها، ثمَّ توسلٌ إليه بسؤال مغفرة الحُوب وهو الذنب العظيم، ثمَّ الخطايا التي هي دونه، ثمَّ توسلٌ إليه بربوبيته الخاصَّة للطَّيِّبين من عباده، وهم الأنبياء وأتباعهم، التي كان من آثارها أن غمرهم بنعم الدِّين والدُّنيا الظاهرة والباطنة.

فهذه الوسائل المتنوِّعة إلى الله لا يكاد يُرَدُّ دعاء مَن توسَّل بها،ولهذا دعا الله بعدها بالشفاء الذي هو شفاءُ الله الذي لا يدع مرضًا إلا أزاله، ولا تعلُّق فيه لغير الله.

فهل يفقه هذا عُبَّاد القبور من المتوسِّلين بالذوات والأشخاص والحق والجاه والحرمة ونحو ذلك؟!

وأمَّا قوله: ((**وَالْعَرْشُ فَوْقَ الـمَاءِ...**))[1] إلخ؛ ففيه الجمع بين الإيمان بعلوِّه تعالى على عرشه، وبإحاطة علمه بالموجودات كلها.

فسبحان مَن هو عليٌّ في دنوِّه، قريبٌ في علوِّه.

وأما الحديث الرابع[2]؛ فقد تضمَّن شهادة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم بالإيمان للجارية التي اعترفت بعلوه تعالى على خلقه، فدلَّ ذلك على أنَّ وصف العلوِّ من أعظم أوصاف الباري جل شأنه، حيث خصَّه بالسؤال عنه دون بقيَّة الأوصاف، ودلَّ أيضًا على أنَّ الإيمان بعلوِّه المطلق من كل وجه هو من أعظم أصول الإيمان، فمَن أنكره؛ فقد حُرِمَ الإيمان الصحيح.

---

(١) هذا هو الحديث الثالث.

(٢) في المطبوعة: ((الثاني))، والصواب ما أثبتُّه، وفيها تقديم شرح الحديث الرابع على الثالث، وجعلته هنا مرتَّبًا حسب ما في المتن.

والعجب من هؤلاء الحمقى من المعطِّلة النفاة زعمهم أنَّهم أعلم بالله من رسوله، فينفون عنه الأين بعدما وقع هذا اللفظ بعينه من الرسول مرة سائلًا غيره -كما في هذا الحديث-، ومرة مجيبًا لمن سأله بقوله: أين كان ربنا؟

[إثبات صفة المعية]

(وَقَوْلُهُ: ((أَفْضَلُ الإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ))(١). حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وَقَوْلُهُ: ((إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاةِ؛ فَلَا يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ))(٢). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٣).

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: ((اللهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ

---

(١) ليس في الأصل.

والحديث رواه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٨/٣٣٦) (٨٧٩٦)، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (٦/١٢٤). من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (١/٦٠): ((رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وقال: تفرد به عثمان بن كثير. قلت: ولم أرَ مَن ذكره بثقة ولا جرح)) اهـ. وهو في ((الأسماء والصفات)) للبيهقي (ص٥٤١) من رواية عثمان بن كثير أيضًا، ولكنه في ((مسند الشاميين)) للطبراني (١/٣٠٥) من رواية عثمان بن سعيد بن كثير؛ قال عنه في ((التقريب)): ((ثقة عابد)). وفي سنده أيضًا نعيم بن حماد الراوي عنه. انظر ((الحلية)) (٦/١٢٤)؛ قال عنه الذهبي في ((الميزان)): ((من الأئمة الأعلام، على لينٍ في حديثه))، وقال الحافظ في ((التقريب)): ((صدوق يخطئ كثيرًا)). والحديث ضعَّفه الألباني في ((ضعيف الجامع)) (١٠٠٢).

(٢) رواه بألفاظ مختلفة: البخاري (٤١٦)، ومسلم (٣٠٠٨)، وغيرهما.

(٣) ليست في الأصل.

[وَالأَرْضِ](١) وَربَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَربَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ [نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ](٢) كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ؛ اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ»(٣). [رِوَايَةُ مُسْلِمٌ](٤).

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: لَمَّا رَفَعَ [الصَّحَابَةُ](٥) أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ: «أَيُّهَا النَّاسُ! ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا [بَصِيرًا](٦) قَرِيبًا. إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»(٧). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٨).

قوله: «أَفْضَلُ الإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ ...» إلخ؛ فيه دلالة على أنَّ أفضل الإيمان هو مقام الإحسان والمراقبة، وهو أن يعبد العبدُ ربَّه كأنَّه يراه ويشاهده، ويعلم أنَّ الله معه حيث كان، فلا يتكلَّم ولا يفعل ولا يخوض في

---

(١) في الأصل: وَرَبَّ الأَرْضِ.

(٢) ليست في الأصل.

(٣) (صحيح). سبق تخريجه (ص: ١١٦).

(٤) ليست في الأصل.

(٥) في الأصل: أصحابه.

(٦) ليست في الأصل، وهي إحدى الروايات عند البخاري.

(٧) رواه بألفاظ متقاربة: البخاري (٦٣٨٤)، ومسلم (٢٧٠٤).

(٨) ليست في الأصل.

أمرٍ إلا والله رقيبٌ مطَّلع عليه؛ قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١].

ولا شكَّ أنَّ هذه المعيَّة إذا استحضرها العبد في كل أحواله؛ فإنَّه يستحيي من الله عزَّ وجلَّ أن يراه حيث نهاه، أو أن يفتقده حيث أمره، فتكون عونًا له على اجتناب ما حرَّم الله، والمسارعة إلى فعل ما أمر به من الطاعات على وجه الكمال ظاهرًا وباطنًا، ولا سيما إذا دخل في الصلاة التي هي أعظم صلة ومناجاة بين العبد وربه، فيخشع قلبه، ويستحضر عظمة الله وجلاله، فتقلُّ حركاته، ولا يسيء الأدب مع ربه بالبصق أمامه أو عن يمينه.

قوله: ((**إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاةِ ...**)) إلخ؛ دلَّ على أنَّ الله عزَّ وجلَّ يكونُ قِبَلَ وَجهِ المصلِّي.

قال شيخ الإسلام في ((العقيدة الحموية))(١).

((إنَّ الحديث حقٌّ على ظاهره، وهو سبحانه فوق العرش، وهو قِبَل وجه المصلي، بل هذا الوصف يَثْبُتُ للمخلوقات؛ فإنَّ الإنسان لو أنَّه يناجي السماء أو يناجي الشمس والقمر؛ لكانت السماء والشمس والقمر فوقه، وكانت أيضًا قِبل وجهه)). اهـ

قوله: ((**اللهُمَّ ربَّ السَّمَوَاتِ ...**)) إلخ؛ تضمَّن الحديث إثبات أسمائه تعالى: الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، وهي من الأسماء الحسنى، وقد

---

(١) انظر: ((مجموع الفتاوى)) (١٠٧/٥).

فسرها النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم بما لا يدعُ مجالًا لقائلٍ، فهو أعلم الخلق جميعًا بأسماء ربه وبالمعاني التي تدلُّ عليها، فلا يصحُّ أن يُلْتَفَت إلى قول غيره أيًّا كان.

وفي الحديث أيضًا يعلِّمنا نبيُّنا صلوات الله وسلامه عليه وآله كيف نثني على ربِّنا عزَّ وجلَّ قبل السؤال، فهو يثني عليه بربوبيَّته العامة التي انتظمت كل شيء، ثمَّ بربوبيَّتِه الخاصة الممثَّلة في إنزاله هذه الكتب الثلاثة تحمل الهدى والنور إلى عباده، ثمَّ يعوذ ويعتصم به سبحانه من شر نفسه ومن شر كل ذي شر من خلقه، ثمَّ يسأله في آخر الحديث أن يقضي عنه دينه، وأن يغنيه من فقرٍ.

قوله: «**أيُّها النَّاس! ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ...**» إلخ؛ أفاد هذا الحديث قربه سبحانه من عباده، وأنَّه ليس بحاجة إلى أن يرفعوا إليه أصواتهم؛ فإنَّه يعلم السرَّ والنَّجوى، وهذا القرب المذكور في الحديث قرب إحاطة، وعلم، وسمع، ورؤية، فلا ينافي علوَّه على خلقه.

(قَوْلُهُ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن لَّا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا؛ فَافْعَلُوا»(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٢).

هذا الحديث الصحيح المتواتر يشهد لما دلَّت عليه الآيات السابقة من

---

(١) رواه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣)، وغيرهما.

(٢) ليست في الأصل.

رؤية المؤمنين لله عزَّ وجلَّ في الجنَّة، وتمتُّعهم بالنظر إلى وجهه الكريم.

وهذه النصوص من الآيات والأحاديث تدلُّ على أمرين:

أولهما: علوُّه تعالى على خلقه؛ لأنَّها صريحة في أنَّهم يرونه من فوقهم.

ثانيهما: أنَّ أعظم أنواع النعيم هو النظر إلى وجه الله الكريم.

[إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة]

وقوله: ((كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ))؛ المراد تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمرئي؛ يعني: أنَّ رؤيتهم لربهم تكون من الظهور والوضوح كرؤية القمر في أكمل حالاته، وهي كونه بدرًا، ولا يحجبه سحاب، ولهذا قال بعد ذلك: ((لا تُضامون في رؤيته))؛ روي بتشديد الميم من التَّضامِّ؛ بمعنى: التزاحم والتلاصق، والتاء يجوز فيها الضمُّ والفتح، على أنَّ الأصل تتضامُّون، فحذفت إحدى التاءين تخفيفًا، وروي بتخفيف الميم من الضيم؛ بمعنى: الظلم؛ يعني: لا يلحقكم في رؤيته ضيمٌ ولا غبنٌ.

وفي حثِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم في هذا الحديث على صلاة العصر وصلاة الفجر خاصة إشارة إلى أنَّ مَن حافظ عليهما في جماعة نال هذا النعيم الكامل، الذي يضمحلُّ بإزائه كل نعيم، وهو يدلُّ على تأكيد هاتين الصلاتين كما دلَّ على ذلك الحديث الآخر: ((يتعاقبون فيكم ملائكةٌ بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر))[(١)]. متفق عليه.

(١) جزء من حديث رواه البخاري (٤٨٥)، ومسلم (٦٣٢).

[أهل السُّنَّة والجماعة وسط بين الفرق]

((إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم عَن رَّبِهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ؛ فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ؛ كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ، بَلْ هُمُ الْوَسَطُ فِي فِرَقِ الأُمَّةِ؛ كَمَا أَنَّ الأمَّة هِيَ الْوَسَطُ فِي الأُمَمِ)).

قوله: ((إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الأَحَادِيثِ ...)) إلخ. لما كان ما ذكره المؤلف من الأحاديث ليس هو كل ما ورد في باب الصفات من الأخبار؛ نبَّه على أنَّ أمثال هذه الأحاديث التي ذكرها ممَّا يخبر فيه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم عن ربه بما يخبر به، فإنَّ حكمه كذلك، وهو وجوب الإيمان بما يتضمَّنه من أسماء الله وصفاته.

ثم عاد فأكَّد معتقد أهل السُّنَّة والجماعة. وهو أنَّهم يؤمنون بما وردت به السنة الصحيحة من صفات؛ كإيمانهم بما أخبر الله به في كتابه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل.

ثم أخبر عن أهل السُّنَّة والجماعة بأنَّهم وسطٌ بين فِرَق الضلال والزَّيغ من هذه الأمَّة؛ كما أنَّ هذه الأمَّة وسطٌ بين الأمم السابقة؛ قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣].

[معنى الوسطية]

ومعنى ﴿وَسَطًا﴾: عُدولًا خيارًا؛ كما وردَ الحديث بذلك[(١)].

فهذه الأمَّة وسطٌ بين الأمم التي تجنَحُ إلى الغلوِّ الضارِّ والأمم التي تميلُ إلى التَّفريط المهْلِكِ.

فإنَّ من الأمم مَن غلا في المخلوقين، وجعل لهم من صفات الخالق وحقوقه ما جعل؛ كالنصارى الذين غَلَوا في المسيح والرُّهبان.

ومنهم مَن جفا الأنبياء وأتباعَهم، حتى قتلهُم، وردَّ دعوتهم؛ كاليهود الذين قتلوا زكريا ويحيى، وحاولوا قتل المسيح، ورَمَوْه بالبُهتان.

وأمَّا هذه الأمَّة؛ فقد آمنت بكل رسول أرسله الله، واعتقدت رسالتهم، وعرفت لهم مقاماتهم الرَّفيعة التي فضَّلهم الله بها.

ومن الأمم أيضًا مَن استحلَّت كلَّ خبيثٍ وطيِّبٍ.

ومنها مَن حرَّم الطَّيِّبات غلوًّا ومجاوزةً.

وأمَّا هذه الأمَّة؛ فقد أحَلَّ الله لها الطَّيِّبات، وحرَّم عليها الخبائث..

---

(١) يشير إلى ما رواه البخاري (٤٤٨٧)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا: «يُدعى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يا رب! فيقول: هل بَلَّغتَ؟ فيقول: نعم. فيقال لأمته: هل بلَّغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير. فيقول: مَن يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته. فيشهدون أنه قد بلَّغ، ويكون الرسول عليكم شهيدًا، فذلك قوله جلَّ ذكره: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣]». قال الحافظ في «الفتح» (١٧٢/٨): «قوله: «والوسط: العدل» هو مرفوع من نفس الخبر، وليس بمدرج من قول بعض الرواة؛ كما وهم فيه بعضهم».

إلى غير ذلك من الأمور التي مَنَّ الله على هذه الأمَّة الكاملة بالتوسُّط فيها.

فكذلك أهل السُّنَّة والجماعة متوسِّطون بين فرق الأمَّة المبتدعة التي انحرفتْ عن الصراط المستقيم.

[الجهميَّة والمشبهة]

(فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الْجَهْمِيَّةِ[١]، وَأَهْلِ التَّمْثِيلِ المشَبِّهَةِ[٢]).

قوله: ((**فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللهِ ...**)) إلخ؛ يعني: أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة وسَطٌ في باب الصفات بين مَن ينفيها ويعطِّل الذات العليَّة عنها، ويحرِّف ما ورد فيها من الآيات والأحاديث عن معانيها الصَّحيحة إلى ما يعتقده هو من معانٍ بلا دليلٍ صحيح، ولا عقلٍ صريح؛ كقولهم: رحمة الله: إرادته الإحسان، ويده: قدرتُه، وعينُه: حفظه ورعايته، واستواؤه على العرش: استيلاؤه... إلى أمثال ذلك من أنواع النفي والتَّعطيل التي أوقعهم فيها سوء ظنِّهم بربِّهم، وتوهُّمِهم أنَّ قيام هذه الصفات به لا يُعْقَل إلا على النحو الموجود في قيامها بالمخلوق.

ولقد أحسن القائل حيث يقول:

---

(١) الجهميَّة: طائفة انتشرت في أواخر دولة بني أمية، تنتسب إلى الجهم بن صفوان الترمذي، ومذهبهم نفي الأسماء والصفات؛ كما أنهم من غُلاة المرجئة والجبرية.

(٢) المشبِّهة: ويسمَّوْن: المجسِّمة، وهم على النقيض من الجهمية في إثبات الأسماء والصفات، فقد قالوا: إن لله يدًا كيد المخلوقين، وسمعًا كسمعهم، وبصرًا كبصرهم، تعالى الله عمَّا يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

وَقُصَارَى أَمْرِ مَنْ أَوَّلَ أَنْ ظَنُّوا الظُّنُونَا   فَيَقُولُونَ عَلَى الرَّحْمَنِ مَا لَا يَعْلَمُونَا

وإنَّما سُمِّي أهل التعطيل جهمية نسبة إلى الجهم بن صفوان الترمذي رأس الفتنة والضلال، وقد تُوُسِّع في هذا اللفظ حتى أصبح يُطلق على كل من نفى شيئًا من الأسماء والصفات، فهو شامل لجميع فرق النُّفاة؛ من فلاسفة، ومعتزلة، وأشعرية، وقرامطة باطنية[1].

فأهل السُّنَّة والجماعة وسط بين هؤلاء الجهمية النفاة وبين أهل التمثيل المشبِّهة الذين شبَّهوا الله بخلقه، ومثَّلوه بعباده.

وقد ردّ الله على الطائفتين بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، فهذا يردُّ على المشبِّهة. وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ يردُّ على المعطِّلة.

وأما أهل الحق؛ فهم الذين يثبتون الصفات لله تعالى إثباتًا بلا تمثيل، وينزِّهُونه عن مشابهة المخلوقات تنزيهًا بلا تعطيل، فجمعوا أحسن ما عند الفريقين؛ أعني: التنزيه والإثبات، وتركوا ما أخطؤوا وأساؤوا فيه من التعطيل والتشبيه.

[الجبرية والقدرية]

(وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللهِ بَيْنَ الْجَبْرِيَّةِ[2] وَالْقَدَرِيَّةِ[3]).

قوله: ((وَهُمْ وَسَطٌ...)) إلخ؛ قال الشيخ العلَّامة محمد بن عبدالعزيز

---

(١) يعني الشارح أن نقول عنهم: هم جهمية في الأسماء والصفات.

(٢) الجبريَّة: هم الجهمية ومن وافقهم؛ القائلون: إن العباد لا إرادة لهم ولا قدرة لهم على فعل الطاعات ولا ترك المنهيات، وهم مجبورون على فعل ذلك كله، وهم نقيض القدرية.

(٣) سبق التعريف بهم (ص: ١٢٢).

بن مانع في تعليقه على هذه العبارة ما نصه[١]: «اعلم أنَّ الناس اختلفوا في أفعال العباد؛ هل هي مقدورةٌ للرب أم لا؟

فقال جهمٌ وأتباعه - وهم الجبرية -: إنَّ ذلك الفعل مقدورٌ للرَّب لا للعبد.

وكذلك قال الأشعري وأتباعه: إنَّ المؤثر في المقدور قدرة الرب دون[٢] قدرة العبد.

وقال جمهور المعتزلة -وهم القدرية؛ أي: نفاة القدر-: إنَّ الرب لا يقدر على عين مقدور العبد. واختلفوا: هل يقدر على مثل مقدوره؟ فأثبته البصريون؛ كأبي علي، وأبي هاشم، ونفاه الكعبيُّ وأتباعه البغداديُّون.

وقال أهل الحق: أفعال العباد بها صاروا مطيعين وعصاة، وهي مخلوقة لله تعالى، والحق سبحانه منفردٌ بخلق المخلوقات، لا خالق لها سواه.

فالجبرية غلَوْا في إثبات القدر، فنَفَوْا فعل العبد أصلاً.

والمعتزلة نفاة القدر جعلوا العباد خالقين مع الله، ولهذا كانوا مجوس هذه الأمَّة.

وهدى الله المؤمنين أهل السُّنَّة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيمٍ، فقالوا: العباد فاعلون، والله خالقهم وخالق أفعالهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ۝٩٦﴾

---

(١) انظر تعليقه على «الواسطية» (ص١٤) من طبعة سعد الراشد بالرياض.

(٢) في طبعة الراشد: «لا»؛ بدل: «دون».

[الصافات:٩٦])). اهـ

وإنَّما نقلنا هذه العبارة بنصها؛ لأنَّها تلخيصٌ جيِّدٌ لمذاهب المتكلِّمين في القدر وأفعال العباد.

[المرجئةوالوعيدية]

(وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللهِ بَيْنَ الْمرْجِئَةِ[1] و الْوَعِيدِيَّةِ[2] مِنَ الْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ).

قوله: ((وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللهِ ...)) إلخ؛ يعني: أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة وسط في باب الوعيد بين المفرِّطين من المرجئة الذين قالوا: لا يضرُّ مع الإيمان ذنبٌ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة. وزعموا أنَّ الإيمان مجرَّد التصديق بالقلب، وإنْ لم ينطق به، وسُمُّوا بذلك نسبةً إلى الإرجاء؛ أي التأخير؛ لأنَّهم أخروا الأعمال عن الإيمان.

[معنى الإرجاء]

ولا شكَّ أنَّ الإرجاء بهذا المعنى كفرٌ يخرجُ صاحِبَهُ عن الملَّة؛ فإنَّه لابد في الإيمان من قولٍ باللسان، واعتقادٍ بالجَنَان، وعملٍ بالأركان، فإذا اختلَّ واحدٌ منها لم يكن الرجل مؤمنًا.

وأمَّا الإرجاء الذي نسب إلى بعض الأئمة من أهل الكوفة؛ كأبي

---

(١) المرجئة: هم القائلون: الإيمان تصديق بالقلب، ونطق باللسان، والأعمال ليست من الإيمان. والكرَّامية منهم يقولون: إن الإيمان هو مجرَّد النطق باللسان، وغلاتهم يقولون: هو تصديق بالقلب فقط، وإن لم ينطق بالشهادتين. وقالوا: لا يضرُّ مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

(٢) الوعيدية: هم قدرية يقولون بإنفاذ الوعيد، وأن مرتكب الكبيرة إذا مات ولم يتب؛ فهو مخلَّد في النَّار. وقالوا: إن الله توعَّد العاصين بالنَّار والعذاب، وهو لا يخلف الميعاد.

حنيفة وغيره، وهو قولهم: إنَّ الأعمال ليست من الإيمان، ولكنهم مع ذلك يوافقون أهل السُّنَّة على أنَّ الله يعذِّب مَن يعذِّب من أهل الكبائر بالنَّار، ثمَّ يخرجهم منها بالشفاعة وغيرها، وعلى أنَّه لا بدَّ في الإيمان من نطقٍ باللسان، وعلى أنَّ الأعمال المفروضة واجبة يستحقُّ تاركها الذمَّ والعقاب؛ فهذا النوع من الإرجاء ليس كفرًا، وإنْ كان قولًا باطلًا مبتَدعًا؛ لإخراجهم الأعمال عن الإيمان.

وأمَّا الوعيدية؛ فهم القائلون بأنَّ الله يجب عليه عقلًا أن يعذِّب العاصي؛ كما يجب عليه أن يُثيب المطيع، فمن مات على كبيرة ولم يتب منها لا يجوز عندهم أن يَغْفِرَ الله له، ومذهبهم باطلٌ مخالفٌ للكتاب والسنة؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨،١١٦].

وقد استفاضت الأحاديث في خروج عصاة الموحِّدين من النَّار ودخولهم الجنَّة.

فمذهب أهل السُّنَّة والجماعة وسطٌ بين نفاة الوعيد من المرجئة وبين موجبيه من القدريَّة، فمَن مات على كبيرةٍ عندهم؛ فأمره مفوَّضٌ إلى الله، إنْ شاء عاقبه، وإنْ شاء عفا عنه؛ كما دلَّت عليه الآية السابقة.

وإذا عاقبه بها؛ فإنَّه لا يخلد خلود الكفار، بل يخرج من النَّار، ويدخل الجنَّة.

(وَفِي بَابِ [أَسْمَاءِ](١) الإِيمَانِ والدِّينِ بَيْنَ الْحَرُورِيَّةِ(٢) وَالمعْتَزِلَةِ(٣)، وَبَيْنَ المرْجِئَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ(٤)).

[الحرورية]

قوله: ((وَفِي بَابِ أَسْمَاءِ الإِيمَانِ ...)) إلخ؛ كانت مسألة الأسماء والأحكام من أول ما وقع فيه النزاع في الإسلام بين الطوائف المختلفة، وكان للأحداث السياسية والحروب التي جرت بين عليٍّ ومعاوية رضي الله عنهما في ذلك الحين، وما ترتب عليها من ظهور الخوارج والرافضة والقدريَّة أثر كبير في ذلك النزاع.

والمراد بالأسماء هنا أسماء الدين، مثل: مؤمن، ومسلم، وكافر، وفاسق... إلخ.

والمراد بالأحكام أحكام أصحابها في الدنيا والآخرة.

فالخوارج الحرورية والمعتزلة ذهبوا إلى أنَّه لا يستحقُّ اسمَ الإيمان إلَّا مَن صدَّق بجَنانه، وأقرَّ بلسانه، وقام بجميع الواجبات، واجتنب جميع الكبائر. فمرتكب الكبيرة عندهم لا يسمى مؤمنًا باتفاق بين الفريقين.

ولكنهم اختلفوا: هل يسمَّى كافرًا أو لا؟

---

(١) ليست في الأصل.

(٢) الحرورية: هم الخوارج الذين خرجوا على عليٍّ رضي الله عنه حينما قَبِل التحكيم بينه وبين معاوية رضي الله عنه، فنزلوا، واجتمعوا بحروراء - وهي بلد قرب الكوفة على ميلين منها، وسُمُّوا بذلك نسبة إليها.

(٣) سبق التعريف بهم (ص: ١٢٠).

(٤) سبق التعريف بهم (ص: ٢٠٨).

فالخوارج يسمونه كافرًا، ويستحلّون دمه وماله، ولهذا كفَّروا عليًّا ومعاوية وأصحابهما، واستحلُّوا منهم ما يستحلّون من الكفَّار.

وأما المعتزلة؛ فقالوا: إنَّ مرتكب الكبيرة خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر؛ فهو بمنزلة بين المنزلتين، وهذا أحد الأصول التي قام عليها مذهب الاعتزال.

واتَّفق الفريقان أيضًا على أنَّ مَن مات على كبيرة ولم يتب منها فهو مخلَّد في النَّار.

فوقع الاتفاق بينهما في أمرين:

١- نفي الإيمان عن مرتكب الكبيرة.

٢- خلوده في النَّار مع الكفَّار.

ووقع الخلاف أيضًا في موضعين:

أحدهما: تسميته كافرًا.

والثاني: استحلال دمه وماله، وهو الحكم الدنيوي.

وأما المرجئة؛ فقد سبق بيان مذهبهم، وهو أنَّه لا يضر مع الإيمان معصية؛ فمرتكب الكبيرة عندهم مؤمنٌ كامل الإيمان، ولا يستحقُّ دخول النَّار.

فمذهب أهل السُّنَّة والجماعة وسطٌ بين هذين المذهبين؛ فمرتكب الكبيرة عندهم مؤمنٌ ناقص الإيمان، قد نقص من إيمانه بقدر ما ارتكب من معصية، فلا ينفون عنه الإيمان أصلًا؛ كالخوارج والمعتزلة، ولا يقولون بأنَّه

كامل الإيمان؛ كالمرجئة والجهمية. وحكمه في الآخرة عندهم أنَّه قد يعفو الله عزَّ وجلَّ عنه فيدخل الجنَّة ابتداءً، أو يعذِّبه بقدر معصيته، ثمَّ يخرجه ويدخله الجنَّة كما سبق، وهذا الحكم أيضًا وسط بين مَن يقول بخلوده في النَّار، وبين مَن يقول: إنَّه لا يستحق على المعصية عقابًا.

[الرافضة]

(وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم بَيْنَ الرَّافِضَةِ[1] والْخَوَارِجِ).

قوله: ((**وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ** ...)) إلخ. المعروف أنَّ الرافضة – قبَّحهم الله – يسبون الصحابة رضي الله عنهم، ويلعنونهم، وربما كفَّروهم أو كفَّروا بعضهم، والغالبية منهم – مع سبهم لكثير من الصحابة والخلفاء – يغلون في عليٍّ وأولاده، ويعتقدون فيهم الإلهية.

وقد ظهر هؤلاء في حياة عليٍّ رضي الله عنه بزعامة عبد الله بن سبأ الذي كان يهوديًّا وأسلم وأراد أن يكيد للإسلام وأهله؛ كما كاد اليهود من قبل للنصرانية وأفسدوها على أهلها، وقد حرَّقهم علي بالنَّار لإطفاء فتنتهم، وروي عنه في ذلك قوله:

لَمَّا رَأَيْتُ الأَمْرَ أَمْرًا مُنْكَرًا أَجَّجْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قَنْبَرًا[2]

---

(١) الرَّافضة: هم غلاة فرق الشيعة الذين رفضوا زيد بن علي بن الحسين لما تولَّى أبا بكر وعمر، فخذلوه بالكوفة كما خذلوا جده من قبل. وأما الخوارج فهم الحرورية، وقد سبق التعريف بهم.

(٢) ورد هذا الخبر بسند حسَّنه الحافظ ابن حجر في ((الفتح)) (١٢/٢٧٠)، وخبر الإحراق ثابت في ((صحيح البخاري)) عن عكرمة، قال: ((أُتِي عليٌّ رضي الله عنه بزنادقة، فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس؛ فقال: لو كنتُ أنا لم أحرقهم؛ لنهي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَم: =

وأما الخوارج؛ فقد قابلوا هؤلاء الروافض، فكفَّروا عليًّا ومعاوية ومَن معهما من الصحابة، وقاتلوهم واستحلُّوا دماءهم وأموالهم.

[موقف أهل السنة والجماعة من الصحابة]

وأما أهل السُّنَّة والجماعة؛ فكانوا وسطًا بين غلوّ هؤلاء وتقصير أولئك، وهداهم الله إلى الاعتراف بفضل أصحاب نبيِّهم، وأنَّهم أكمل هذه الأمَّة إيمانًا وإسلامًا وعلمًا وحكمةً، ولكنهم لم يغلوا فيهم، ولم يعتقدوا عصمتهم؛ بل قاموا بحقوقهم، وأحبُّوهم لعظيم سابقتهم وحسن بلائهم في نصرة الإسلام وجهادهم مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم.

((فَصْلٌ:[1] وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ، الإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، وَتَوَاتَرَ عَنْ رَّسُولِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ؛ مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، عَلَى عَرْشِهِ، بَائِنٌ[2] عَلَى خَلْقِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا، يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ؛ كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:

[صفة الاستواء على العرش]

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾ [الحديد: ٤].

= ((لا تُعَذِّبوا بعذاب الله))، ولقتلتهم؛ لقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: ((من بدَّل دينه فاقتلوه)). ((الفتح)) (١٢/٢٦٧)، وممن روى ذلك: أبو داود، والترمذي، والنسائي، وغيرهم.

وانظر في ذلك بحثًا قيِّمًا في كتاب ((عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام)) (ص٢١٤) للدكتور سليمان العودة.

(١) ليست في الأصل.

(٢) في الأصل: عَلِيٌّ.

وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ؛ فَإِنَّ هَذَا لَا تُوجِبُهُ اللُّغَةُ[١]، بَلِ الْقَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ المسَافِرِ (وَغَيْرِ المسَافِرِ)[٢] أَيْنَمَا كَانَ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ، مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ، مُطَّلِعٌ [عَلَيْهِم][٣]... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِن مَّعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ.

وَكُلُّ هَذَا الْكَلامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ - مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا - حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ؛ (مِثْلِ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة:١٤٤]؛ أَنَّ السَّمَاءَ تُظِلُّهُ أَوْ تُقِلُّهُ، وَهَذَا بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالإِيمَانِ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَهُوَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولَا، وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ؛ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَمَنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ)[٤].

قوله: «وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان...» إلخ. صرَّح المؤلِّف هنا بمسألة علوِّ الله تعالى واستوائه على عرشه بائنًا من خلقه؛ كما أخبر الله عن ذلك في كتابه، وكما تواتر الخبر بذلك عن رسوله، وكما أجمع عليه سلف الأمَّة الذين هم أكملها علمًا وإيمانًا، مؤكِّدًا بذلك ما سبق أن ذكره

---

(١) زاد في الأصل: (وهو خلافُ مَا أجمع عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ، وَخِلَافُ مَا فطر اللهُ عليه الخَلْقَ).

(٢) ليست في الأصل.

(٣) في الأصل: إليهم.

(٤) ليست في الأصل.

في هذا الصدد، ومشدِّدًا النكير على مَن أنكر ذلك من الجهمية والمعتزلة ومَن تبعهم من الأشاعرة.

ثم بَيَّنَ أنَّ استواءه على عرشه لا ينافي معيَّته وقربه من خلقه؛ فإنَّ المعيَّة ليس معناها الاختلاط والمجاورة الحسيَّة.

وضرب لذلك مثلًا بالقمر الذي هو موضوع في السماء، وهو مع المسافر وغيره أينما كان؛ بظهوره واتصال نوره، فإذا جاز هذا بالنسبة للقمر، وهو من أصغر مخلوقات الله؛ أفلا يجوز بالنسبة إلى اللطيف الخبير الذي أحاط بعباده علمًا وقدرة، والذي هو شهيدٌ مطَّلع عليهم، يسمعهم، ويراهم، ويعلم سرَّهم ونجواهم، بل العالم كله سماواته وأرضه من العرش إلى الفرش كله بين يديه سبحانه؛ كأنَّه بندقةٌ[1] في يد أحدنا؛ أفلا يجوز لمن هذا شأنه أن يقال: إنَّه مع خلقه مع كونه عاليًا عليهم بائنًا منهم فوق عرشه؟!

بلى؛ يجب الإيمان بكلٍّ من علوِّه تعالى ومعيَّته، واعتقاده أنَّ ذلك كله حقٌّ على حقيقته، من غير أن يُساء فهم ذلك، أو يُحمل على معانٍ فاسدة؛ كأن يُفْهَمَ من قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد:٤] معيَّةَ الاختلاط والامتزاج؛ [الحُلولية]
كما يزعمه الحُلولية[2]! أو يفهم من قوله: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة:١٤٤]

---

(١) روى عبدالله في «السنة» (٢/٤٧٦)، والطبري في «تفسيره» (٢١/٣٢٤)، وابن بطة في «الإبانة» (٢٣٧)، عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «ما السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم».

(٢) الحُلولية: هم الذين قالوا: إن الله تعالى حلَّ في أشخاص بأعيانهم - تعالى الله عمَّا يقولون - وهم من غلاة المشبهة.

أنَّ السماء ظرفٌ حاوٍ له محيطٌ به! كيف وقد وسع كرسيُّه السموات والأرض جميعًا؟! وهو الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه؟!

فسبحان مَن لا يبلغه وهم الواهمين، ولا تدركه أفهام العالمين.

[إثبات قرب الله ومعيته]

(فَصْلٌ(١): وَقَد دَّخلَ فِي ذَلِكَ الإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ(٢)؛ كَمَا جَمَعَ بينَ ذَلِكَ في قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة:١٨٦] الآيَة، وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُم مِّن عُنقِ رَاحِلَتِهِ»(٣).

وَمَا ذُكِرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لَا يُنَافِي مَا ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ، وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ).

قوله: «وَقَد دَّخَلَ فِي ذَلِكَ(٤) الإِيمَانُ ...» إلخ. يجب الإيمان بما وصف الله به نفسه من أنَّه قريبٌ مجيبٌ، فهو سبحانه قريبٌ ممَّن يدعوه ويناجيه، يسمع دعاءه ونجواه، ويجيب دعاءه متى شاء وكيف شاء، فهو تعالى قريبٌ قربَ العلم والإحاطة؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق:١٦].

---

(١) ليس في الأصل.

(٢) في الأصل: قريبٌ من خلقه.

(٣) رواه بألفاظ متقاربة: البخاري (٦٣٨٤)، ومسلم (٢٧٠٤).

(٤) أي: الإيمان بالله.

وبهذا يتبيَّن أنَّه لا منافاة أصلًا بين ما ذُكر في الكتاب والسنة من قربه تعالى ومعيَّته وبين ما فيهما من علوِّه تعالى وفوقيَّته.

فهذه كلها نعوتٌ له على ما يليق به سبحانه، ليس كمثله شيءٌ في شيءٍ منها.

[القرآن كلام الله]

((وَمِنَ الإِيمَانِ باللهِ وَكُتُبِهِ الإيمانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلامُ اللهِ، مُنَزَّلٌ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم هُوَ كَلامُ اللهِ حَقِيقَةً، لَا كَلامَ غَيْرِهِ.

وَلا يَجُوزُ إِطْلاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلَامِ اللهِ، أَوْ عِبَارَةٌ (عَنْهُ)[1]، بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتبُوهُ فِي المصَاحِفِ؛ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلامَ اللهِ تَعَالَى حَقِيقَةً، فَإِنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئًا، لَا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا.

(وَهُوَ كَلامُ اللهِ؛ حُرُوفُهُ، ومَعَانِيهِ، لَيْسَ كَلامُ اللهِ الْحُرُوفَ دُونَ المعَانِي، وَلَا المعَانِيَ دُونَ الْحُرُوفِ)[2].

قوله: ((وَمِنَ الإِيمَانِ باللهِ وَكُتُبِهِ ...)) إلخ. جعل المصنِّف الإيمان بأنَّ القرآن كلام الله داخلًا في الإيمان بالله؛ لأنَّه صفةٌ من صفاته، فلا يتمُّ الإيمان به سبحانه إلا بها، إذ الكلام لا يكون إلا صفةً للمتكلِّم، والله

---

(١) زيادة من الأصل.

(٢) ليست في الأصل.

سبحانه موصوفٌ بأنَّه متكلِّم بما شاء متى شاء، وأنَّه لم يزل ولا يزال يتكلَّم؛ بمعنى أنَّ نوع كلامه قديمٌ وإنْ كانت آحاده لا تزال تقع شيئًا بعد شيءٍ بحسب حكمته.

وقد قلنا فيما سبق: إنَّ الإضافة في قولنا: القرآن كلام الله؛ هي من إضافة الصفة للموصوف، فتفيد أنَّ القرآن صفة الرب سبحانه، وأنَّه تكلم به حقيقة بألفاظه ومعانيه، بصوت نفسه.

فمن زعم أنَّ القرآن مخلوقٌ من المعتزلة؛ فقد أعظم الفِرية على الله، ونفى كلام الله عن الله وصفًا، وجعله وصفًا لمخلوق، وكان أيضًا متجنِّيًا على اللغة، فليس فيها متكلِّم بمعنى خالق للكلام.

ومَن زعم أنَّ القرآن الموجود بيننا حكاية عن كلام الله؛ كما تقوله الكُلَّابية، أو أنَّه عبارة عنه؛ كما تقوله الأشعرية؛ فقد قال بنصف قول المعتزلة؛ حيث فرَّق بين الألفاظ والمعاني، فجعل الألفاظ مخلوقة، والمعاني عبارة عن الصفة القديمة؛ كما أنَّه ضاهى النصارى في قولهم بحلول اللاهوت (وهو الكلمة) في الناسوت (وهو جسد عيسى عليه السلام)؛ إذ قال بحلول المعاني التي هي الصفة القديمة في هذه الألفاظ المخلوقة، فجعل الألفاظ ناسوتًا لها.

والقرآن كلام الله؛ حيث تصرَّف، فمهما كتبناه في المصاحف، أو تلوناه بالألسنة؛ لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله؛ لأنَّ الكلام - كما قال المصنَّف - إنَّما يضاف إلى مَن قاله مبتدئًا؛ لا إلى مَن قاله مبلِّغًا مؤدِّيًا.

وأما معنى قول السَّلف: «منه بدأ وإليه يعود»؛ فهو من البدء؛ يعني: أنَّ

الله هو الذي تكلَّم به ابتداء، لم يُبْتَدَأْ من غيره، ويحتمل أن يكون من البُدُو؛ بمعنى الظهور؛ يعني أنَّه هو الذي تكلَّم به وظهر منه، لم يظهر من غيره.

ومعنى: «إليه يعود»؛ أي: يرجع إليه وصفًا؛ لأنَّه وصفه القائم به، وقيل: معناه يعود إليه في آخر الزمان، حين يرفع من المصاحف والصدور؛ كما ورد في أشراط الساعة(١).

وأما كون الإيمان بأنَّ القرآن كلام الله داخلًا في الإيمان بالكتب؛ فإنَّ الإيمان بها إيمانًا صحيحًا يقتضي إيمان العبد بأنَّ الله تكلَّم بها بألفاظها ومعانيها، وأنَّها جميعًا كلامه هو؛ لا كلام غيره، فهو الذي تكلَّم بالتوراة بالعبرانية، وبالإنجيل بالسريانية، وبالقرآن بلسان عربيٍّ مبين.

(وَقَدْ دَخَلَ أَيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ (بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِمَلَائِكَتِهِ

---

(١) يشير إلى ما رواه ابن ماجه (٤٠٤٨)، والحاكم في «المستدرك» (٤/٤٧٣ و٥٤٥٠)؛ والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/٣٥٦) (٢٠٢٨). عن حذيفة بن اليمان مرفوعًا: «يَدْرُس الإسلام كما يدرس وَشْيُ الثوب؛ حتى لا يُدْرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، ولَيُسرى على كتاب الله عزَّ وجلَّ في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس: الشيخ الكبير، والعجوز؛ يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: (لا إله إلا الله)؛ فنحن نقولها».

قال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال البوصيري في «زوائد ابن ماجه» (٢/٢٩١): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وقال ابن حجر في «فتح الباري» (١٣/١٩): إسناده قوي، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٢٨٩)، والوادعي في «الصحيح المسند» (٣٠٣).

ويدرس؛ يعني: ينقرض. ووشي الثوب: نقشه. قال الألباني تعليقًا على الحديث: «وذلك لا يكون قطعًا إلا بعد أن يسيطر الإسلام على الكرة الأرضية جميعها، وتكون كلمته هي العليا».

وبِرُسُلِهِ)[١]: الإيمَانُ بِأَنَّ المؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْس بِهَا[٢] سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ.

[رؤية أهل الموقف ربهم]

يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ؛ كَمَا يَشَاءُ اللهُ تَعَالَى).

قوله: ((وَقَد دَّخَلَ أَيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ ...)) إلخ؛ تقدم الكلام على رؤية المؤمنين لربِّهم عزَّ وجلَّ في الجنَّة؛ كما دلَّت على ذلك الآيات والأحاديث الصريحة، فلا حاجة بنا إلى إعادة الكلام فيها.

غير أنَّ قوله: ((يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ)) قد يوهم أنَّ هذه الرؤية أيضًا خاصة بالمؤمنين، ولكن الحق أنَّها عامَّة لجميع أهل الموقف؛ حين يجيء الرب لفصل القضاء بينهم[٣]؛ كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة:٢١٠]الآية[٤].

---

(١) في الأصل: بِكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ.

(٢) في الأصل: لَيْسَ دُونَهَا.

(٣) انظر: رسالة شيخ الإسلام لأهل البحرين في رؤية الكفار ربهم من ((مجموع الفتاوى)) (٦/٤٨٥-٥٠٧)، فقد فصَّل فيها الشيخ رحمه الله، وفي الرسالة فوائد تربوية عظيمة.
وانظر الفصل الثالث من كتاب ((دلالة القرآن والأثر على رؤية الله تعالى بالبصر)) للشيخ عبدالعزيز الرومي.

(٤) (أقول بل ما يفيده ظاهر كلام شيخ الإسلام من أن الكفار لا يرونه في عرصات القيامة هو الحق كما يفيده قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥)﴾ [سورة القيامة] فقسَّم الوجوه إلى قسمين =

= ناظرة وباسرة، و ظاهره أنها غير ناظرة وذلك في يوم القيامة، ويدل لذلك أيضاً قوله تعالى في المطففين: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥] والمراد به يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين، ويدل لذلك أيضاً قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم (يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه إلى أن قال: وتبقى هذه الأمَّة فيها منافقوها فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون)، وفي حديث آخر (إذا كان يوم القيامة أذَّن مؤذنٌ لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله إلا يتساقطون في النَّار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من برٍ وفاجرٍ أتاهم رب العالمين) وفي حديث آخر (يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قال وينزل الله في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي ثمَّ ينادي مناد أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً أن يولي كل ناس منكم ما كانوا يتولون ويعبدون في الدنيا أليس ذلك عدلًا من ربكم؟ قالوا: بلى. فينطلق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويتولون في الدنيا قال: ويبقى محمد وأمته فيأتيهم الرب عزَّ وجلَّ. ويدل لذلك ما جاء عن السَّلف الصالح من أن الكفار لا يرون الله قال محمد بن عبدالله بن الحكم وقد سئل هل يرى الخلق كلهم ربهم يوم القيامة؟ قال: لا يراه إلا المؤمنون، وقال السفاريني في شرح عقيدته: وقد قيل: إن الكفار كالمنافقين يرونه ثمَّ يحجبون عنه فتكون الحجبة حسرة عليهم، وخص النووي الخلاف بالمنافق وأما الكافر غير المنافق فلا يراه تعالى اتفاقاً كما لا يراه غير العقلاء من سائر الحيوانات والله أعلم. اهـ. (ص٢٥٠ ج٢) الطبعة الجديدة.

وأما استدلال المؤلف بالآية فغير صريح فإن الإتيان لا يلزم منه الرؤية فقد يأتي الآتي إلى المكان فيراه البعضُ ولا يراه البعضُ الآخر كما هو مشاهد.

ثم إنِّي رأيت في حادي الأرواح لابن القيم (ص ٥٧ ج٢) أن في المسألة ثلاثة أقوال لأهل السُّنَّة أحدها: لا يراه إلا المؤمنون. الثاني: يراه جميع أهل الموقف من مسلم وكافر ثمَّ يحتجب عنه الكفار. والثالث: يراه المؤمنون والمنافقون دون الكفار. وقد قال قبل ذلك: فقد دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة على أن المنافقين يرونه في عرصات القيامة بل والكفار أيضاً كما في حديث التجلي. ا.هـ. لكن تأملت حديث التجلي فلم أجد فيه ما يدل على أن الكفار يرون ربهم على وجه صريح بحيث يصلح لتأويل ظاهر الآية: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥] فإن تأويلها يحتاج إلى نص صريح =

والعَرَصَات: جمع عَرَصة، وهي كل موضع واسع لا بناء فيه.

(فَصْلٌ[١]: وَمِنَ الإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الآخِرِ الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الموْتِ، فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ.

[الإيمان بفتنة وعذاب القبر]

فَأَمَّا الْفِتْنَةُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُمْتَحَنُونَ[٢] فِي قُبُورِهِمْ، فَيُقَالُ للرَّجُلِ: مَن رَّبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَن[٣] نَّبِيُّك؟

فَيُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ)[٤]، فَيَقُولُ المؤْمِنُ: [رَبِّيَ اللهُ][٥]، وَالإِسْلَامُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم نَبِيِّي.

وَأَمَّا المرْتَابُ؛ فَيَقُولُ: هَاه هَاه؛ لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ، فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ؛ إِلَّا الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ؛ لَصَعِقَ[٦].

= يقوى على تأويلها. نعم في حديث التجلي إن المنافقين يرون الله تعالى وهو يقوي القول الثالث الذي نقلناه عن ابن القيم والله أعلم). (ابن عثيمين)

(١) ليست في الأصل.

(٢) في الأصل: يُفْتَنُونَ.

(٣) في طبعة الإفتاء والجامعة الإسلامية: [و ما]، والصواب ما أثبته كما في الأصل.

(٤) ليست في الأصل.

(٥) في الأصل: اللهُ رَبِّي.

(٦) يشير إلى ما رواه البخاري (١٣٣٨)، وأبو داود (٤٧٥١)، والنسائي (٢٠٥١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وإلى ما رواه أحمد في المسند (١٨٥٣٤)، وأبو داود (٤٧٥٣) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه وهو حديث ثابت مشهور.

ثُـمَّ بَعْدَ هَـذِهِ الْفِتْنَـةِ إِمَّـا نَعِـيمٌ وَإِمَّـا عَـذَابٌ، إِلَـى أَنْ تَقُـومَ الْقِيَامَـةُ الْكُبْرى[١]، فَتُعَادُ الأَرْوَاحُ إِلَى الأَجْسَادِ.

قولـه: ((**وَمِنَ الإِيمَـانِ بِـالْيَوْمِ الآخِرِ ...**)) إلخ؛ إذا كـان الإيمـان بـاليوم الآخر أحد الأركان الستة التي يقوم عليها الإيمان؛ فإنَّ الإيمان به إيمانًا تامًّا كـاملًا لا يتحقـق إلَّا إذا آمـن العبـد بكـل مـا أخـبر بـه النـبيُّ صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم من أمور الغيب التي تكون بعد الموت.

والضابط في ذلك أنَّها أمورٌ ممكنةٌ أخبر بها الصادق صلوات الله عليه وسلامه وآلِه، وكل ممكن أخبر به الصادق يجب الإيمان بوقوعه كما أخبر[٢]؛ فـإنَّ هـذه الأمـور لا تسـتفاد إلا مـن خـبر الرسـول، فأهـل السُّـنَّة والجماعـة يؤمنون بذلك كله.

---

(١) في الأصل: إلى يوم القيامة الكبرى.

(٢) (في هذا التعبير نظر من وجهين أحدهما: أن ظاهره يقتضي تقسيم ما أخبر الصادق بوقوعه إلى قسمين: ممكن ومستحيل، وهذا خطأ فإن ما أخبر الصادق بوقوعه لا يمكن أن يكون مستحيلًا إذ لو فرض أنه يجوز أن يكون مستحيلًا لم يكن صادقاً في ذلك بل يكون كاذباً فجميع ما أخبر الصادق بوقوعه إمَّا ممكن وإمَّا واجب ليس غير، الثاني: إن تعليق وجوب الإيمان بما كان ممكناً من أخبار الصادق مثار للتكذيب والتحريف إذ كل من تصور أن هذا الشيء مستحيل أمكن على هذا الضابط أن يرد خبر الصادق لأن هذا الضابط يقتضي تعليق وجوب الإيمان بخبر الصادق بما إذا كان الشيء ممكناً ومن أجل هذا الضابط كذَّب كثير من أهل التعطيل بأحاديث نقلها الثقات عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وحرَّفوا ما لا يمكنهم تكذيبه بناء على ظنهم أن مدلول هذه النصوص مستحيل، وحينئذ فالصواب أن يقال: وكل ما أخبر الصادق بوقوعه فإنه يجب الإيمان بوقوعه كما أخبر لأن الصادق لا يمكن أن يخبر بوقوع مستحيل). (ابن عثيمين)

وأما أهل المروق والإلحاد من الفلاسفة والمعتزلة؛ فينكرون هذه الأمور؛ من سؤال القبر، ومن نعيم القبر، وعذابه، والصراط، والميزان، وغير ذلك؛ بدعوى أنَّها لم تثبت بالعقل، والعقل عندهم هو الحاكم الأوَّل الذي لا يجوز الإيمان بشيء إلَّا عن طريقه، وهم يردُّون الأحاديث الواردة في هذه الأمور بدعوى أنَّها أحاديث آحاد لا تُقبل في باب الاعتقاد، وأما الآيات، فيؤوِّلونها بما يصرفها عن معانيها.

[فتنة القبر]

والإضافة في قوله: ((بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ)) على معنى في؛ أي: بالفتنة التي تكون في القبر.

وأصل الفتنة وضع الذَّهب ونحوه على النَّار لتخليصه من الأوضار والعناصر الغريبة، ثمَّ استُعْمِلَتْ في الاختبار والامتحان.

[عذاب القبر]

وأما عذاب القبر ونعيمه؛ فيدل عليه قوله تعالى في حقِّ آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ﴾ [غافر:٤٦]، وقوله سبحانه عن قوم نوح: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾ [نوح:٢٥]، وقوله عليه الصلاة والسلام: ((القبر إمَّا روضة من رياض الجنَّة، أو حفرة من حفر النَّار))(١).

---

(١) (ضعيف). رواه الترمذي (٢٤٦٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقال: (غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه)، وقال ابن عساكر في ((معجم الشيوخ)) (٢/٨٦٨): (غريب جدًّا من هذا الوجه)، وضعف إسناده ابن رجب في ((التخويف من النَّار)) (١٨١)، وقال ابن حجر في ((تخريج الكشاف)) (ص: ٣٥) (رقم٢٩١): ((رواه الترمذي من حديث أبي سعيد، وهو ضعيف)) اهـ. وقد ضعَّفه من قبله شيخه العراقي في ((تخريج الإحياء)) (١/٣٠٢)، وضعَّفه الألباني في ((ضعيف الجامع)) (١٢٣١).

والـمِرْزَبَة - بـالتخفيف-: الـمطرقة الكبـيرة، ويقـال لهـا أيضًـا: إِرْزَبَّـة؛ بالهمزة والتشديد.

[الإيمان بقيام القيامة]

«وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا المسْلِمُونَ.

فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالمينَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ.

فَتُنْصَبُ الموَازِينُ، فَتُوزَنُ بِهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ[1]، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون:١٠٢-١٠٣].

وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَهِيَ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ، فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء:١٣-١٤]».

قوله: «وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ...» إلخ؛ يعني: القيامة الكبرى، وهذا الوصف للتخصيص، احترز به عن القيامة الصغرى التي تكون عند الموت؛ كما في الخبر: «من مات فقد قامت قيامته»[2].

---

(١) في الأصل: فَيُوزَنُ فِيهَا أعمالُ العباد.

(٢) (ضعيف مرفوعًا). رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/٢٦٨). من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

=

وذلك أنَّ الله عزَّ وجلَّ إذا أذن بانقضاء هذه الدنيا؛ أمر إسرافيل عليه السلام أن ينفخ في الصور النفخة الأولى، فيَصْعَقُ كل من في السموات ومن في الأرض إلا مَن شاء الله، وتصبح الأرض صعيدًا جُرُزًا، والجبال كثيبًا مهيلاً، ويحدث كل ما أخبر الله به في كتابه، لا سيما في سورتي التكوير والانفطار، وهذا هو آخر أيام الدنيا.

[النفخ في الصور]

ثم يأمر الله السماء، فتمطر مطرًا كمنيِّ الرجال أربعين يومًا، فينبت منه الناس في قبورهم من عَجْبِ أذنابهم، وكل ابن آدم يبلى إلَّا عجب الذنب[(١)].

حتى إذا تمَّ خلقُهُم وتركيبُهم؛ أمر الله إسرافيل بأن ينفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس من الأجداث أحياء، فيقول الكفَّار والمنافقون حينئذ: ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾، ويقول المؤمنون: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ

= والحديث ضعَّف إسناده العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/٧٩)، والألباني في «السلسلة الضعيفة» (١١٦٦).

(١) يشير لما رواه البخاري (٨/٥٥١)، ومسلم (١٨/٣٠٣)، وأبو داود، والنسائي؛ من حديث أبي هريرة بألفاظ متقاربة.

و(العَجْب) - بفتح العين-: هو العظم اللطيف الذي في أسفل الصلب، وهو رأس العصعص، وهو مكان رأس الذنب من ذوات الأربع.

وتشبيه المطر بمني الرجال ورد في حديث ضعيف. انظر: «شرح الطحاوية» (ص:٤١٠).

وتقييده بأربعين يومًا ورد في حديث ضعيف أيضًا. انظر: «البعث» لابن أبي داود (ص٧٩).

والذي ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «ما بين النفختين أربعون»، وأبَى أبوهريرة أن يحدِّدها بيوم أو شهر أو سنة. والله أعلم.

ﭐلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾[يس:٥٢].

[الحشر] ثم تحشرهم الملائكة إلى الموقف حفاةً غير مُنْتَعلين، عُراةً غير مكتسين، غُرلًا غير مختتنين؛ جمع أغرل، وهو الأقلف، والغُرلة: القَلَفة.

وأول من يكتسي يوم القيامة إبراهيم؛ كما في الحديث(١).

وهناك في الموقف تدنو الشمس من رؤوس الخلائق، ويُلْجِمُهم العرق، فمنهم مَن يبلغ كعبيه، ومنهم من يبلغ ركبتيه، ومنهم مَن يبلغ ثدييه، ومنهم من يبلغ ترقوته؛ كلٌّ على قدر عمله، ويكون أناسٌ في ظلِّ الله عزَّ وجلَّ.

فإذا اشتدَّ بهم الأمر، وعظُمَ الكرب؛ استشفعوا إلى الله عزَّ وجلَّ بالرسل والأنبياء أن ينقذهم مما هم فيه، وكلُّ رسولٍ يحيلهم على مَن بعده؛ حتى يأتوا نبيَّنا صلى الله عليه وسلم، فيقول: ((أنا لها))، ويشفع فيهم، فينصرفون إلى فصل القضاء.

[نصب لموازين] وهناك تُنْصَبُ الموازين، فتوزَنُ بها أعمال العباد، وهي موازين حقيقية، كل ميزان منها له لسانٌ وكفَّتان، ويُقلِبُ الله أعمال العباد - وهي أعراضٌ - أجسامًا؛ لها ثقلٌ، فتوضع الحسنات في كفة، والسيئات في كفة؛ كما قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧ ﴾ [الأنبياء:٤٧].

ثم تُنْشَر الدواوين، وهي صحائف الأعمال، فأما مَن أُوتي كتابه بيمينه؛

---

(١) يشير إلى ما رواه البخاري (٤٦٢٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن أول الخلائق يُكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل)).

فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا، وينقلب إلى أهله مسرورًا، [وأما من أوتي كتابه بشماله أو من وراء ظهره][1]، فسوف يدعو ثبورًا، ويصلى سعيرًا، ويقول: يا ليتني لم أوتَ كتابيه، ولم أدرِ ما حسابيه؛ قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

وأما قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾؛ فقد قال الراغب: «أي: عمله الذي طار عنه من خيرٍ وشرٍّ»[2].

ولكن الظاهر أنَّ المراد بالطائر هنا نصيبه في هذه الدنيا، وما كُتِب له فيها من رزق وعمل[3]؛ كما في قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾[الأعراف: ٣٧].

يعني: ما كُتِبَ عليهم فيه.

[الإيمان بالحساب]

(وَيُحَاسِبُ اللهُ الخَلائِقَ، وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ المؤمِنِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ؛ كَمَا

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾: (أي: بشماله من وراء ظهره، تثنى يده إلى ورائه ويعطى كتابه بها كذلك)؛ انظر: «تفسير ابن كثير»، سورة الانشقاق، آية (١٠).

(٢) وهذا الذي رجحه ابن كثير في تفسير الآية.

(٣) انظر: «زاد المسير» (٥/١٥)، وقد ذكر لمعنى الآية أربعة أقوال، وهذا الذي رجَّحه الشارح هنا، نسبه ابن الجوزي لأبي عبيدة وابن قتيبة.

وُصِفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَأَمَّا الْكُفَّارُ؛ فَلا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُ لَا حَسَنَاتَ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدُّ(١) أَعْمَالُهُمْ، فَتُحْصَى، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا وَيُقَرَّرُونَ بِهَا(٢)).

قوله: ((**وَيُحَاسِبُ اللهُ الخَلائِقَ** ...)) إلخ؛ المراد بتلك المحاسبة تذكيرهم وإنباؤهم بما قدَّموه من خير وشرٍّ أحصَاه الله ونسوه؛ قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٠٨].

[العرض] وفي الحديث الصحيح: ((مَن نوقِشَ الحساب عُذِّب)). فقالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله! أوليس الله يقول: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ⑧﴾ [الانشقاق:٨]؟ فقال: ((إنَّما ذلك العرض، ولكن مَن نوقش الحساب يهلك))(٣).

وأمَّا قوله: ((**وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ المؤْمِنِ**))؛ فقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ الله عزَّ وجلَّ يُدني منه عبده المؤمن، فيضع عليه كَنَفَه، ويحاسبه فيما بينه وبينه، ويقرِّره بذنوبه، فيقول: ألم تفعل كذا يوم كذا؟ الم تفعل كذا يوم كذا؟ حتى إذا قرَّره بذنوبه، وأيقن أنَّه قد هلك؛ قال له: سترتُها

---

(١) في الأصل: تُعَدَّدُ.

(٢) زاد في الأصل: وَيُجْزَوْنَ بِهَا.

(٣) رواه البخاري (١٠٣)، ومسلم (٢٨٧٦)، وأبو داود، والترمذي.

عليك في الدّنيا وأنا أغفرها لك اليوم[١].

وأمّا قوله: ((فَإِنَّهُ لَا حَسَنَاتَ لَهُمْ))؛ يعني: الكفار؛ لقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان:٢٣]، وقوله: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [إبراهيم:١٨].

والصحيح [أن][٢] أعمال الخير التي يعملها الكافر يجازى بها في الدنيا فقط، حتى إذا جاء يوم القيامة وجد صحيفة حسناته بيضاء.

وقيل: يخفَّف بها عنه من عذاب غير الكفر.

[صفة الحوض]

(وَفِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ الْحَوضُ الـمَوْرُودُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، ماؤه أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، مَن يَّشْرَبُ مِنْهُ شَرْبَةً؛ لَا يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا[٣]).

وأمّا قوله: ((في عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ...))؛ فإنَّ الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حدَّ التواتر، رواها من الصحابة بضعٌ وثلاثون صحابيًّا[٤]، فمَن

(١) رواه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨).

(٢) لفظة يقتضيها السياق، ليست في أصل الشرح؛ كما ذكر ذلك الأنصاري في طبعة الإفتاء.

(٣) يشير إلى ما رواه مسلم في صحيحه (٢٣٠٠) عن أبي ذر رضي الله عنه.

(٤) ذكر ذلك الحافظ في ((الفتح)) (١١/٤٦٧)، وقال: ((منهم في الصحيحين ما ينيف على العشرين، وفي غيرهما بقية ذلك)).

أنكره؛ فأَخْلِق به أن يُحالَ بينه وبين وروده يوم العطش الأكبر، وقد ورد في أحاديث: ((إنَّ لكل نبيٍّ حوضًا))[(١)].

ولكن حوض نبيِّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أعظمها وأحلاها وأكثرها واردًا.

جعلنا الله منهم بفضله وكرمه.

[صفة الصراط]

(وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، يَمُرُّ النَّاسُ [عَلَيْهِ][(٢)] عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالرِّيحِ، ومِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَرِكَابِ الإِبِلِ، ومِنْهُم مَن يَعْدُو عَدْوًا، وَمِنْهُم مَن يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُم مَن يَزْحَفُ زَحْفًا، وَمَنْهُم مَن يُخْطَفُ خَطْفًا وَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ الْجِسرَ عَلَيْهِ كَلَالِيبُ تَخْطِفُ النَّاسَ

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٤٣) وقال: (هذا حديث غريب وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم مرسلًا ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح) والحديث رواه الطبراني في ((الكبير)) (٧/٢٥٦)، والبخاري في ((التاريخ)) (١/٤٤)، وابن أبي عاصم في ((السنة)) (٧٣٤)؛ كلهم من طريق الحسن عن سمرة. وفي سماع الحسن من سمرة خلاف، والحسن البصري مدلِّس، ولم يصرِّح هنا بالسماع. قال ابن كثير في نهاية البداية والنهاية (١/٣٧١): مرسل حسن، وصحح ابن حجر في الفتح (١١/٤٧٥) إسناد المرسل وضعف إسناد المرفوع، وكذا شيخه العراقي في تخريج الإحياء (٥/٢٩٢)، والحديث حسَّنه الألباني بمجموع طرقه في ((الصحيحة)) (١٥٨٩)، وانظر: ((الفتح)) (١١/٤٦٧).

وعن سماع الحسن من سَمُرة. انظر: ((المعجم الكبير)) للطبراني (٧/٢٣١-٢٣٦-هامش)؛ ففيه تفصيلٌ جيِّد.

(٢) زيادة من الأصل.

بِأَعْمَالِهِم، فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ.

فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ؛ وَقَفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِم مِّن بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا؛ أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ[١]).

قوله: ((وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ...)) إلخ. أصل الصراط الطريق الواسع؛ قيل: سمي بذلك لأنَّه يسترط السابلة؛ أي: يبتلعهم إذا سلكوه، وقد يستعمل في الطريق المعنوي؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام:١٥٣].

والصراط الأخروي الذي هو الجسر الممدود على ظهر جهنَّم بين الجنَّة والنَّار[٢] حقٌّ لا ريب فيه؛ لورود خبر الصادق به، ومَن استقام على صراط الله الذي هو دينه الحق في الدنيا استقام على هذا الصراط في الآخرة، وقد ورد في وصفه أنَّه: ((أدق من الشعرة، وأحدُّ من السيف))[٣].

---

(١) روى البخاري نحوه (٦٥٣٥).

(٢) لم أجد في السنة ما يثبت أنه بين الجنَّة والنَّار، والذي ثبت أنه بين ظهراني جهنم. انظر: ((الفتح)) (١٣/٤١٩، ٢/٢٩٢).

(٣) (لم يصحَّ مرفوعًا). لذلك قال البيهقي في ((شعب الإيمان)) (٢/٢٤٧): ((وهذا اللفظ من الحديث لم أجده في الروايات الصحيحة)) اهـ. ولكن روى مسلم في ((صحيحه)) (١٨٣) عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أنه قال: ((قلنا: يا رسول الله! أنرى ربنا؟..)). إلى أن قال: ((قال أبو سعيد: بلغني أن الجسر أدقُّ من الشعرة، وأحد من السيف)). ورواه ابن منده في ((كتاب الإيمان)) (٢/٨٠٢) بتمامه وبالسند نفسه، ولكن قال: ((قال سعيد بن أبي هلال: بلغني أن الجسر أدق من الشعرة، وأحد من السيف)). وقد وصله البيهقي في ((شعب الإيمان)) (٢/٢٤٦) عن أنس عن =

[أول الناس دخولًا الجنَّة]

﴿وَأَوَّلُ مَن يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ مُحَمَّدٌ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، وَأَوَّلُ مَن يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الأُمَمِ أُمَّتُهُ﴾

قوله: ((وَأَوَّلُ مَن يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ مُحَمَّدٌ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم))؛ يعني: أول من يحرك حلقها طالبًا أن يُفْتَح له بابها؛ كما قال عليه السلام: ((أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأنا أوَّل مَن تنشقُّ عَنه الأرض ولا فخر، وأنا أوَّل من يحرِّك حِلَق الجنَّة، فأدخلها ويدخلها معي

= النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه سعيد بن زربي ويزيد الرقاشي، وهما ضعيفان؛ لذا قال الحافظ في ((الفتح)) (١١/٤٥٤): ((وفي سنده لين)). وروي أيضًا عن زياد النُّمَيْري عن أنس مرفوعًا.

وزياد ضعيف؛ لذا قال البيهقي في ((الشعب)) (٢/٢٤٨): ((وهي أيضًا رواية ضعيفة (٢/٢٤٨). ومن عجائب التصحيف أنها تصحَّفت في ((كشف الخفاء)) (٢/٢٤ رقم١٥٩٩) إلى: ((وهي أيضًا رواية صحيحة))!!

وروي عن عبيد بن عمير عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم مرسلاً، وكذا عن سعيد بن أبي هلال رواية أخرى مرسلة أو معضلة. انظر: ((الفتح)) (١١/٤٥٤).

ولكن ثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: ((والصراط كحد السيف، دحضٌ مزلةٌ)). أخرجه الحاكم (٢/٢٧٦). وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ، وقال السيوطي في ((البدور السافرة)) (١٥٨): طريقه صحيحة متصلة رجالها ثقات، وصححه الألباني في ((صحيح الترغيب والترهيب)) (٣٦٢٩).

وثبت أنه كحد الموسى من حديث سلمان مرفوعًا: ((... ويوضع الصراط مثل حد الموسى)). أخرجه الحاكم (٤/٥٨٦)، وقال: صحيح على شرط مسلم، وقال ابن رجب في ((التخويف من النَّار)) (٢٢٤): المعروف أنه موقوف على سلمان الفارسي من قوله، وقال الألباني في ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (٩٤١): إسناده صحيح موقوفاً وله حكم الرفع.

فقراء أمَّتي))(١).

يعني: بعد دخول الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام يكون فقراء هذه الأمَّة أول الناس دخولًا الجنَّة.

[أنواع لشفاعات]

(وَلَه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي الْقِيَامَةِ ثَلاثُ شَفَاعَاتٍ:

أَمَّا الشَّفَاعَةُ الأُوْلَى؛ فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الموْقِفِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الأَنْبِيَاءُ؛ آدَمُ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسى ابْنُ مَرْيَمَ عَنِ الشَّفَاعَةِ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ.

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ؛ فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَن يَّدْخُلُوا الْجَنَّة.

وَهَاتَانَ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ.

---

(١) (إسناده ضعيف). رواه الترمذي (٣٦١٦)، والدارمي (٣٩/١) (٤٧)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفي سنده زمعة بن صالح، وهو ضعيف. وقال الترمذي: ((هذا حديث غريب))، وقال ابن كثير في التفسير (٣٧٥/٢): (غريب من هذا الوجه)، وضعفه الألباني في ((ضعيف سنن الترمذي)) (٣٦١٦).

لكن يشهد لأوله أحاديث أخرى: منها حديث: ((أنا أكثر الأنبياء تبعًا، وأنا أول مَن يقرع باب الجنَّة))، وحديث: ((آتي باب الجنَّة يوم القيامة، فأستفتح، فيقول الخازن: مَن أنت؟ فأقول: محمد. فيقول: بك أمرتُ، لا أفتح لأحد قبلك))؛ رواهما مسلم (١٩٧).

ويشهد لوسطه حديث أنس مرفوعًا: ((أنا أوَّل مَن يأخذ بحلقة باب الجنَّة، فأقعقعها))؛ رواه أحمد والترمذي والدارمي وغيرهم، وفي صحته نظر.

ويشهد لآخره ما رواه أحمد وابن ماجه والترمذي واللفظ له من رواية أبي هريرة: ((يدخل الفقراء الجنَّة قبل الأغنياء بخمس مئة عام)). قال الترمذي: (حسن صحيح)، وانظر: ((صحيح سنن الترمذي)) للألباني (٢٧٥/٢).

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ؛ فَيَشْفَعُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهِمْ، فَيَشْفَعُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَن لَّا يَدْخُلَهَا، وَيَشْفَعُ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَن يَّخْرُجَ مِنْهَا.

وَيُخْرِجُ اللهُ مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيرِ شَفَاعَةٍ؛ بَلْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَيَبْقَى فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُنْشِئُ اللهُ لَهَا أَقْوَامًا فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ»

[معنى الشفاعة]

وأمَّا قوله: ((**وَلَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقِيَامَةِ ثَلاثُ شَفَاعَاتٍ**))(١)؛ فأصل الشفاعة من قولنا: شفع كذا بكذا إذا ضمَّه إليه، وسمي الشافع شافعًا لأنَّه يضمُّ طلبه ورجاءه إلى طلب المشفوع له.

والشفاعة من الأمور التي ثبتت بالكتاب والسنة، وأحاديثها متواترة؛ قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

فنفي الشفاعة بلا إذن إثباتٌ للشفاعة من بعد الإذن.

قال تعالى عن الملائكة:﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم:٢٦].

فبيَّن الله الشفاعة الصحيحة، وهي التي تكون بإذنه، ولمن يرتضي قوله وعمله.

---

(١) عن الشفاعة انظر كتاب ((الشفاعة عند أهل السُّنَّة والرد على المخالفين فيها)) للدكتور ناصر الجديع، وكتاب ((القيامة الكبرى)) للشيخ عمر الأشقر (ص١٧٣-١٩١).

وأما ما يتمسَّك به الخوارج والمعتزلة في نفي الشفاعة من مثل قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر:٤٨]، ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا﴾ [البقرة:١٢٣]، ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الشعراء:١٠٠]. إلخ؛ فإنَّ الشفاعة المنفيَّة هنا هي الشفاعة في أهل الشرك، وكذلك الشفاعة الشركية التي يثبتها المشركون لأصنامهم، ويثبتها النصارى للمسيح والرهبان، وهي التي تكون بغير إذن الله ورضاه.

[الشفاعة الأولى]

وأمَّا قوله: ((**أَمَّا الشَّفَاعَةُ الأُوْلَى؛ فَيَشفَعُ فَي أَهْلِ الموْقِفِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَهُمْ**))؛ فهذه هي الشفاعة العظمى، وهي المقام المحمود الذي يغبطه به النبيُّون، والذي وعده الله أن يبعثه إياه بقوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩].

يعني: يحمده عليه أهل الموقف جميعًا.

وقد أمرنا نبيُّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إذا سمعنا النداء أن نقول بعد الصلاة عليه: ((اللهم ربَّ هذه الدعوة التَّامَّة، والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدتَه))(١).

[الشفاعة الثانية]

وأمَّا قوله: ((**وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ؛ فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَن يَّدْخُلُوا الْجَنَّةَ**))؛ يعني: أنَّهم – وقد استحقُّوا دخول الجنَّة – لا يؤذن لهم بدخولها

---

(١) رواه البخاري (٦١٤)، وأبو داود، والترمذي، والنسائي.

إلا بعد شفاعته[١].

وأمَّا قوله: ((وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ))؛ يعني: الشفاعة في أهل الموقف، والشفاعة في أهل الجنَّة أن يدخلوها.

وتنضمُّ إليهما ثالثة، وهي شفاعته في تخفيف العذاب عن بعض[٢] المشركين؛ كما في شفاعته لعمه أبي طالب، فيكون في ضحضاح من نار؛ كما ورد بذلك الحديث[٣].

[الشفاعة الثالثة]

وأمَّا قوله: ((وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ؛ فَيَشْفَعُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ)) إلخ. وهذه هي الشفاعة التي ينكرها الخوارج والمعتزلة؛ فإنَّ مذهبهم أنَّ مَن استحقَّ النَّار؛ لا بدَّ أن يدخُلَها، ومن دخلها؛ لا يخرج منها لا بشفاعة ولا بغيرها.

---

(١) لما رواه مسلم (١٩٥)، عن حذيفة بن اليمان وأبي هريرة رضي الله عنهما مرفوعًا: ((يجمع الله تبارك وتعالى الناس، فيقوم المؤمنون حتى تُزْلَفَ لهم الجنَّة، فيأتون آدم، فيقولون: يا أبانا! استفتح لنا...)). ثمَّ ذكر في الحديث إتيانَهم إبراهيم وموسى وعيسى... إلى أن قال: ((فيأتون محمدًا صلى الله عليه وسلم، فيقوم، فيؤذن له)).

(٢) (لم أعلم أن ذلك ورد إلا في عمه أبي طالب فإذا كان كذلك فالأولى أن يقال: وهي شفاعته في تخفيف العذاب عن عمه لأن كلمة بعض ربما يظن أنها تتناول غير أبي طالب). (ابن عثيمين)

(٣) من ذلك ما رواه البخاري (٣٨٨٥)، ومسلم (٢١٠) عن أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم - وذكر عنده عمه أبو طالب - فقال: ((لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة...)) الحديث.

والأحاديث المستفيضة المتواترة تردُّ على زعمهم وتبطله[١].

(وَأَصْنَافُ مَا تَضَمَّنَتْهُ الدَّارُ الآخِرَةُ مِنَ الْحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَتَفَاصِيلُ ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمنزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَالآثَارِ مِنَ الْعِلْمِ الْمأْثُورِ عَنِ الأَنْبِيَاءِ[٢]، وَفِي الْعِلْمِ الْموْرُوثِ عَنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَنِ ابْتَغَاهُ وَجَدَهُ).

وأمَّا قوله: ((**وَأَصْنَافُ مَا تَضَمَّنَتْهُ الدَّارُ الآخِرَةُ مِنَ الْحِسَابِ...**)) إلخ؛ فاعلم أنَّ أصل الجزاء على الأعمال خيرها وشرَّها ثابتٌ بالعقل كما هو ثابتٌ بالسمع، وقد نبَّه الله العقول إلى ذلك في مواضع كثيرة من كتابه؛ مثل قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥]، ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: ٣٦].

فإنَّه لا يليق في حكمة الحكيم أن يترك الناس سُدًى مهمَلين، ولا يؤمرون، ولا يُنْهَون، ولا يُثابون ولا يُعاقبون؛ كما لا يليق بعدله وحكمته أن يسوي بين المؤمن والكافر، والبر والفاجر؛ كما قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص: ٢٨].

---

(١) منها ما رواه البخاري (٦٥٦٦)، عن عمران بن حصين مرفوعًا: ((يخرج قومٌ من النَّار بشفاعة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فيدخلون الجنَّة، يسمون الجهنَّميين)).

(٢) في الأصل: والأثارة من العلم المأثورة عن الأنبياء.

فإنَّ العقول الصحيحة تأبى ذلك وتنكره أشدَّ الإنكار.

وكذلك نبَّهُهم الله على ذلك بما أوقعه من أيامه في الدنيا من إكرام الطائعين، وخذلان الطاغين.

وأما تفاصيل الأجْزية ومقاديرها؛ فلا يدرك إلا بالسمع والنقول الصحيحة عن المعصوم الذي لا يَنْطِقُ عن الهوى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.

[الإيمان بالقدر]

(وَتُؤْمِنُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَالإِيمَانُ بِالْقَدَرِ عَلَى دَرَجَتَينِ؛ كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ).

والإيمان بالقدر خيره وشره من الله تبارك وتعالى أحدُ الأركان الستَّة التي يدور عليها فَلَكُ الإيمان؛ كما دلَّ عليه حديث جبريل وغيره، وكما دلَّت عليه الآيات الصريحة من كتاب الله عزَّ وجلَّ.

وقد ذكر المؤلِّف هنا أنَّ الإيمان بالقدر على درجتين، وأنَّ كلًّا منهما تتضمن شيئين:

(فَالدَّرَجَةُ الأُولَى: الإيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى [عَلِيمٌ بِالْخَلْقِ وَهُمْ][(١)] عَامِلُونَ بِعِلْمِهِ الْقَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلًا وَأَبَدًا، وَعَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِم مِّنَ الطَّاعَاتِ وَالمعَاصِي وَالأَرْزَاقِ وَالآجَالِ، ثُمَّ كَتَبَ اللهُ فِي اللَّوْحِ المحْفُوظِ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ[(٢)].

---

(١) في الأصل: عَلِمَ مَا الخَلْقُ.

(٢) في الأصل: الخَلائِق.

فَأَوَّلَ[١] مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

فَمَا أَصَابَ الإِنْسَانَ لَمْ يَكُن لِّيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُن لِّيُصِيبَهُ، جَفَّتِ الأَقْلَامُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠]، وَقَالَ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: ٢٢].

وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً: فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ المحْفُوظِ مَا شَاءَ.

وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الْجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ؛ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، (فَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ: رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ)[٢]. وَنَحْوَ ذَلِكَ...

فَهَذَا التَّقْدِيرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلاةُ الْقَدَرِيَّةِ قَدِيمًا، وَمُنْكِرُهُ الْيَوْمَ قَلِيلٌ[٣]).

---

(١) منصوب على الظرفية.

(٢) في الأصل: بِكَتْبِ رزقِه، وأجلِه، وعملِه، وَشَقِيٍّ أَوْ سعيدٍ.

(٣) هذا التقسيم بهذه الصورة وجَعْل القدر أربع مراتب لم يكن معروفًا من قبل، وقد يكون أول من فصَّله هو شيخ الإسلام رحمه الله، فزعم بعض المغرضين أنها بدعة ابتدعها، لكن من قرأ كلام السَّلف علم أنهم يعنون بالإيمان بالقدر الإيمان بهذه المراتب، وعدم الإيمان بواحدة =

فالدرجة الأولى تتضمَّن:

أَوَّلًا: الإيمان بعلمه القديم المحيط بجميع الأشياء، وأنَّه تعالى عَلم بهذا العلم القديم الموصوف به أزلًا وأبدًا كلَّ ما سيعمله الخلق فيما لا يزال، وعلم به جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال.

فكل ما يوجد من أعيان وأوصاف ويقع من أفعال وأحداث فهو مطابقٌ لما علمه الله عزَّ وجلَّ أزلاً.

ثانيًا: أنَّ الله كتب ذلك كله وسجَّله في اللوح المحفوظ، فما علم الله كونه ووقوعه من مقادير الخلائق وأصناف الموجودات وما يتبع ذلك من الأحوال والأوصاف والأفعال ودقيق الأمور وجليلها قد أمر القلم بكتابته؛ كما قال صلى الله عليه وسلم: ((قدَّر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء))[(١)].

[العرش والقلم] وكما قال في الحديث الذي ذكره المؤلف: ((إنَّ أول ما خلق الله القلم؛ قال له: اكتب. قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة))[(٢)].

و(أوَّلَ) هنا بالنصب على الظرفية، والعامل فيه (قال)؛ أي: قال له ذلك أول ما خلقه.

= منها لا يحقِّق الإيمان بالقدر، والمراتب هي: علم الله بكل شيء، وكتابته، ومشيئته النافذة وأنه خالق كل شيء. فلا حرج من التقسيم والتبويب من أجل التوضيح.

(١) رواه مسلم (٢٦٥٣)؛ بلفظ: ((كتب الله مقادير..)).

(٢) رواه بنحوه أحمد (٢٢٧٥٧)، وأبو داود (٤٧٠٢)، والترمذي (٢١٥٥)، وغيرهم.

قال الترمذي: حسن غريب، وصححه ابن جرير الطبري في ((التاريخ)) (٣٢/١)، وابن العربي في ((أحكام القرآن)) (٣٣٥/٢)، والألباني في صحيح الجامع (٢٠١٧).

وقد روي بالرفع على أنَّه مبتدأ، وخبره القلم.

ولهذا اختلف العلماء في العرش والقلم؛ أيهما خُلَقَ أولاً[١].

وحكى العلامة ابن القيِّم في ذلك قولين، واختار أنَّ العرش مخلوقٌ قبل القلم. قال في «النونية»[٢]:

«وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ فِي الْقَلَمِ الَّذي كُتِبَ الْقَضَاءُ بِهِ مِنَ الدَّيَّانِ
هَلْ كَانَ قَبْلَ الْعَرْشِ أَوْ هُوَ بَعْدَهُ قَوْلانِ عِنْدَ أَبِي الْعَلَا الْهَمَدَانِي
وَالْحَقُّ أَنَّ الْعَرْشَ قَبْلُ لأَنَّهُ [وَقْتَ][٣] الْكِتَابَةِ كَانَ ذَا أَرْكَانِ
وَكِتَابَةُ الْقَلَمِ الشَّرِيفِ تَعَقَّبَتْ إِيجَادَهُ مِنْ غَيْرِ فَصْلِ زَمَانِ»

وإذا كان القلم قد جرى بكلِّ ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة بكل ما يقع من كائنات وأحداث؛ فهو مطابق لما كتب فيه، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه؛ كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما وغيره[٤].

---

(١) للشيخ الألباني تخريج لطيف للحديث السابق، رجَّح فيه زيادة (الفاء) أو (ثم) عند قوله: «قال له: اكتب»، وعليه فقد رجَّح أسبقية خلق القلم على العرش، وأسبقية خلق العرش على الكتابة، فراجِعْه إن شئت في «شرح الطحاوية» (ص٢٦٤)، وانظر «السلسلة الصحيحة»(١٣٣). وانظر كتاب «القدر» للقرشي (هامش صفحة١٢٢).

(٢) انظر: «شرح النونية» للهراس (١/١٦٥)، ولابن عيسى (١/٣٧٤).

(٣) في المرجعين السابقين: [قبل]؛ بدل: [وقت].

(٤) جزء من حديث رواه أحمد في المسند (١/٢٩٣) (٢٦٦٩)، والترمذي (٢١٤٤)، والحاكم (٣/٦٢٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/٢١٦) (١٩٥). من حديث جابر بن عبدالله =

وهـذا التقـدير التـابع للعلـم القـديم تـارة يكـون جملـةً؛ كمـا في اللـوح المحفوظ؛ فإنَّ فيه مقادير كل شيء، ويكون في مواضع تفصيلًا يخصُّ كل فردٍ؛ كما في الكلمات الأربع التي يؤمر الملك بكتابتها عند نفخ الروح في الجنين؛ يكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقيٌّ أم سعيد(١).

فهذا تقديرٌ خاصٌّ، وهذا التقدير السابق على وجود الأشياء قد كان ينكره غلاة القدرية قديمًا؛ مثل: معبد الجهني(٢)، وغَيلان الدِّمشقي(٣)، وكانوا يقولون: إنَّ الأمر أُنُف.

ومنكر هـذه الدرجـة مـن القـدر كـافر؛ لأنَّـه أنكـر معلومًـا مـن الـدين بالضرورة، وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع.

(وَأَمَّـا الدَّرَجَـةُ الثَّانِيَـةُ؛ فَهِـيَ مَشِـيئَةُ اللهِ النَّافِـذَةُ، وَقُدْرَتُـهُ الشَّـامِلَةُ،

= مرفوعًا: «لا يؤمن عبد، حتى يؤمن بالقدر خيره وشره من الله، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه». انظر: «صحيح الجامع» (٧٤٦١).

كما رواه أبو داود، والترمذي، وغيرهما؛ عن ابن عباس، وأبي بن كعب، وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم مرفوعًا وموقوفًا.

(١) لما رواه البخاري (٧٤٥٤)، ومسلم (٢٦٤٣)، وهو جزء من حديث ابن مسعود المشهور: «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه...» الحديث.

(٢) هو معبد بن عبد الله بن عليم الجهني البصري، أول من قال بالقدر، نهى الحسن عن مجالسته، وقال: «هو ضالٌّ مضلٌّ». قتله الحجَّاج سنة (٨٠هـ)، وقيل: صَلَبه عبد الملك بن مروان. انظر: «ميزان الاعتدال» (٤/١٤١)، و«الأعلام» (٧/٢٦٤).

(٣) هو غيلان بن مسلم بن أبي غيلان، أبو مروان الدمشقي، كاتب بليغ، ثاني مَن تكلم في القدر، أخذه عن معبد الجهني، صَلَبه هشام بن عبد الملك بدمشق بعد عام (١٠٥هـ). انظر: «الأعلام» (٥/١٢٤).

وَهُوَ: الإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلَا سُكُونٍ؛ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ، (لَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ)(١)، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ الموْجُودَاتِ وَالمعْدُومَاتِ، فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا اللهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ، لا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ.

وَمَعَ ذَلِكَ؛ فَقَدْ أَمَرَ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ المتَّقِينَ وَالمحْسِنِينَ وَالمقْسِطِينَ، وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ، وَلَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، وَلَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهُ الْكُفْرَ، وَلَا يُحِبُّ الْفَسَادَ).

قوله: ((وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ...)) إلخ؛ فهي تتضمن شيئين أيضًا:

أولهما: الإيمان بعموم مشيئته تعالى، وأنَّ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنَّه لا يقع في ملكه ما لا يريد، وأنَّ أفعال العباد من الطاعات والمعاصي واقعة بتلك المشيئة العامة التي لا يخرج عنها كائنٌ؛ سواءً كان مما يحبه الله ويرضاه أم لا.

وثانيهما: الإيمان بأنَّ جميع الأشياء واقعة بقدرة الله تعالى، وأنَّها مخلوقة له؛ لا خالق لها سواه، لا فرق في ذلك بين أفعال العباد وغيرها؛ كما قال

(١) في الأصل: لَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ إِلَّا مَا يُرِيدُ.

تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ [الصافات:٩٦].

ويجب الإيمان بالأمر الشرعيِّ، وأنَّ الله تعالى كلَّف العباد، فأمرهم بطاعته وطاعة رسله، ونهاهم عن معصيته.

ولا منافاة أصلًا بين ما ثبت من عموم مشيئته سبحانه لجميع الأشياء وبين تكليفه العباد بما شاء من أمر ونهيٍ؛ فإنَّ تلك المشيئة لا تنافي حرية العبد واختياره للفعل، ولهذا جمع الله بين المشيئتين بقوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾[التكوير:٢٨-٢٩].

كما أنَّه لا تلازمَ بين تلك المشيئة وبين الأمر الشرعيِّ المتعلِّق بما يحبه الله ويرضاه، فقد يشاء الله ما لا يحبُّه، ويحبُّ ما لا يشاء كونه:

فالأول: كمشيئته وجود إبليس وجنوده.

والثاني: كمحبة إيمان الكفار، وطاعات الفجَّار، وعدل الظالمين، وتوبة الفاسقين، ولو شاء ذلك؛ لوجد كله؛ فإنَّه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

[أفعال العباد]

(وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَاللَّهُ خَلَقَ(١) أَفْعَالَهُمْ.

وَالْعَبْدُ هُوَ: المؤْمِنُ، وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ، وَالْفَاجِرُ، وَالمصَلِّي، وَالصَّائِمُ.

وِلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلَهُمْ إِرَادَةٌ، [وَاللهُ خَالِقُهُمْ وَقُدْرَتِهِمْ

(١) في الأصل: خَالِقُ.

وَإِرَادَتِهِمْ](١)؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ [التكوير:٢٨-٢٩]).

وكذلك لا منافاة بين عموم خلقه تعالى لجميع الأشياء، وبين كون العبد فاعلًا لفعله؛ فالعبد هو الذي يوصَفُ بفعله، فهو المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمصلي والصائم، والله خالقه، وخالق فعله؛ لأنَّه هو الذي خلق فيه القدرة والإرادة اللتين بهما يفعل.

يقول العلَّامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي(٢) غفر الله له وأجزل مثوبته: «إنَّ العبد إذا صلَّى، وصام، وفعل الخير، أو عمل شيئًا من المعاصي؛ كان هو الفاعل لذلك العمل الصالح، وذلك العمل السَّيِّئ، وفعله المذكور بلا ريب قد وقع باختياره، وهو يحسُّ ضرورة أنَّه غير مجبور على الفعل أو الترك، وأنَّه لو شاء لم يفعل، وكان هذا هو الواقع؛ فهو الذي نصَّ الله عليه في كتابه، ونصَّ عليه رسوله؛ حيث أضاف الأعمال صالحها وسيئها إلى العباد، وأخبر أنَّهم الفاعلون لها، وأنَّهم ممدوحون عليها - إنْ كانت صالحة - ومثابون، وملومون عليها - إنْ كانت سيئة - ومعاقبون عليها.

فقد تبيَّن بلا ريب أنَّها واقعة منهم باختيارهم، وأنَّهم إذا شاؤوا فعلوا،

(١) في الأصل: وَاللهُ خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ قُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ.

(٢) انظر: «التنبيهات اللطيفة» (ص٤٧)، مع تغييرات يسيرة فيما نقله الشارح هنا وفيما هو مثبت في الطبعة التي أشرف عليها الأستاذان عبد الرحمن بن رويشد وسليمان بن حماد.

وإذا شاؤوا تركوا، وأنَّ هذا الأمر ثابت عقلًا وحسًّا وشرعًا ومشاهدةً.

ومع ذلك؛ إذا أردت أن تعرف أنَّها وإنْ كانت كذلك واقعة منهم كيف تكون داخلة في القدر، وكيف تشملها المشيئة؟! فيقال: بأي شيء وقعت هذه الأعمال الصادرة من العباد خيرها وشرها؟ فيقال: بقدرتهم وإرادتهم؛ هذا يعترف به كل أحد. فيقال: ومن خلق قدرتهم وإرادتهم ومشيئتهم؟ فالجواب الذي يعترف به كلُّ أحد أنَّ الله هو الذي خلق قدرتهم وإرادتهم، والذي خلق ما به تقع الأفعال هو الخالق للأفعال.

فهذا هو الذي يحلُّ الإشكال، ويتمكَّن العبد أن يعقل بقلبه اجتماع القدر والقضاء والاختيار.

ومع ذلك فهو تعالى أمدَّ المؤمنين بأسباب وألطاف وإعانات متنوِّعة وصرف عنهم الموانع؛ كما قال صلى الله عليه وسلم: ((أما من كان من أهل السعادة؛ فسييسر لعمل أهل السعادة))[١].

وكذلك خذل الفاسقين، ووكلهم إلى أنفسهم؛ لأنَّهم لم يؤمنوا به، ولم يتوكَّلوا عليه، فولَّاهم ما تولَّوا لأنفسهم)). اهـ

[القدر وأفعال العباد]

وخلاصة مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في القدر وأفعال العباد ما دلَّت عليه نصوص الكتاب والسنة من أنَّ الله سبحانه هو الخالق لكل شيء من الأعيان والأوصاف والأفعال وغيرها، وأنَّ مشيئته تعالى عامة شاملة لجميع الكائنات، فلا يقع منها شيء إلا بتلك المشيئة، وأنَّ خلقه سبحانه

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٧٤) من حديث علي رضي الله عنه.

الأشياء بمشيئته إنَّما يكون وفقًا لما علمه منها بعلمه القديم، ولما كتبه وقدَّره في اللوح المحفوظ، وأنَّ للعباد قدرة وإرادة تقع بها أفعالهم، وأنَّهم الفاعلون حقيقة لهذه الأفعال بمحض اختيارهم، وأنَّهم لهذا يستحقُّون عليها الجزاء: إمَّا بالمدح والمثوبة، وإمَّا بالذم والعقوبة، وأنَّ نسبة هذه الأفعال إلى العباد فعلًا لا ينافي نسبتها إلى الله إيجادًا وخلقًا؛ لأنَّه هو الخالق لجميع الأسباب التي وقعت بها.

(وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ الْقَدَرِ يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ الْقَدَرِيَّةِ الَّذِينَ سَمَّاهُمُ (النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم)[١]: مَجُوسَ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَيَغْلُو فِيهَا قَومٌ مِنْ أَهْلِ الإِثْبَاتِ، حَتَّى سَلَبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ، وَيُخرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللهِ وَأَحْكَامِهِ حِكَمَهَا وَمَصَالِحَهَا).

[الضُّلال في القدر]

وضلَّ في القدر طائفتان؛ كما تقدم:

الطائفة الأولى: القدرية نفاة القدر، الذين هم مجوس هذه الأمَّة؛ كما ورد ذلك في بعض الأحاديث مرفوعًا وموقوفًا[٢]، وهؤلاء ضلُّوا بالتفريط

---

(١) في الأصل: (السَّلَفُ)، ولا شك أنه هو الصواب، لضعف الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) من ذلك ما رواه أبو داود (٤٦٩١) من حديث ابن عمر عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أنه قال: «القدريَّة مجوس هذه الأمَّة، إن مرضوا؛ فلا تعودوهم، وإن ماتوا؛ فلا تشهدوهم». وفي سنده زكريا بن منصور. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/٢٠٥). «وثقه أحمد بن صالح وغيره وضعَّفه جماعة». اهـ

وإنكار القدر، وزعموا أنَّه لا يمكن الجمع بين ما هو ثابت بالضرورة من اختيار العبد في فعله ومسؤوليته عنه، وبين ما دلَّت عليه النصوص من عموم خلقه تعالى ومشيئته؛ لأنَّ ذلك العموم في زعمهم إبطال لمسؤولية العبد عن فعله، وهدمٌ للتكاليف، فرجحوا جانب الأمر والنهي، وخصَّصوا النصوص الدَّالة على عموم الخلق والمشيئة بما عدا أفعال العباد، وأثبتوا أنَّ العبد خالق لفعله بقدرته وإرادته، فأثبتوا خالقين غير الله، ولهذا سمُّوا مجوس هذه الأمَّة؛ لأنَّ المجوس يزعمون أنَّ الشيطان يخلق الشر والأشياء المؤذية، فجعلوه خالقًا مع الله، فكذلك هؤلاء جعلوا العباد خالقين مع الله.

والطائفة الثانية: يقال لها: الجبرية، وهؤلاء غَلَوا في إثبات القدر، حتى أنكروا أن يكون للعبد فعل حقيقة، بل هو في زعمهم لا حرية له، ولا اختيار، ولا فعل؛ كالريشة في مهبِّ الرياح، وإنَّما تُسْنَدُ الأفعال إليه مجازًا، فيقال: صلى، وصام، وقتل، وسرق؛ كما يقال: طلعت الشمس، وجرت الريح، ونزل المطر، فاتهموا ربهم بالظلم وتكليف العباد بما لا قدرة لهم عليه، ومجازاتهم على ما ليس من فعلهم، واتَّهموه بالعبث في تكليف العباد، وأبطلوا الحكمة من الأمر والنهي، ألا ساء ما يحكمون.

(فَصْلٌ[1]: وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ[1] أَنَّ

والحديث أورده اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٣/٦٩٣) بأسانيد ضعيفة. وقال ابن أبي العز في «شرح الطحاوية» (ص٢٧٣): «كل أحاديث القدريَّة المرفوعة ضعيفة، وإنما يصحُّ الموقوف منها».

(١) ليست في الأصل.

[تعريف الإيمان]

الـدِّينَ وَالإِيمَـانَ قَـوْلٌ وَعَمَـلٌ، قَـوْلُ الْقَلْـبِ(٢) وَاللِّسَـانِ(٣)، وَعَمَلُ الْقَلْبِ(٤) وَاللِّسَانِ(٥) وَالْجَوَارِحِ(٦).

وَأَنَّ الإيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالمعْصِيَة).

سبق أن ذكرنا في مسألة الأسماء والأحكام أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة يعتقدون أنَّ الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان، وأنَّ هذه الثلاثة داخلة في مسمى الإيمان المطلق.

فالإيمان المطلق يدخل فيه جميع الدين: ظاهرُه وباطنُه، أصولُه وفروعُه، فلا يستحقُّ اسم الإيمان المطلق إلا من جمع ذلك كله ولم ينقص منه شيئًا.

ولما كانت الأعمال والأقوال داخلة في مسمى الإيمان؛ كان الإيمانُ قابلًا للزيادة والنقص، فهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية؛ كما هو صريح الأدلة من الكتاب والسنة، وكما هو ظاهرٌ مشاهدٌ من تفاوت المؤمنين في عقائدهم وأعمال قلوبهم وأعمال جوارحهم(٧).

---

(١) في الأصل: وَمِنْ أُصُولِ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ.

(٢) قول القلب: تصديقه وإيقانه.

(٣) قول اللسان: النطق بالشهادتين.

(٤) عمل القلب: النية، والإخلاص، والمحبة والانقياد ...

(٥) عمل اللسان: ما لا يؤدى إلا به؛ كتلاوة القرآن وسائر الأذكار.

(٦) عمل الجوارح: ما لا يؤدى إلا بها؛ مثل: القيام، والركوع، والسجود.

انظر: «معارج القبول» (٢/١٧-٢٠).

(٧) **اعلم أن من قال بإحدى هذه العبارات فقد وقع في الإرجاء أو دخلت عليه شبهته:**

١- الإيمان تصديق بالقلب فقط. (جهمية)

٢- الإيمان نطق باللسان فقط. (كرَّامية)

٣- الإيمان تصديق بالقلب ونطق باللسان. (مرجئة الفقهاء)

٤- الإيمان تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالقلب دون الجوارح.

٥- الإيمان لا يزيد ولا ينقص والناس في أصله سواء.

٦- الكفر تكذيب فقط. (جهمية)

٧- الكفر لا يكون إلا بالاعتقاد أو الجحود والاستحلال، ويستشهدون بقول الطحاوي رحمه الله في عقيدته: ((ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب، ما لم يستحله)).

(والصواب أن يقال: الكفر يكون بالقول أو الفعل أو الاعتقاد، ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب –دون الشرك أو الكفر–، ما لم يستحله).

٨- ترك جميع أعمال الجوارح (جنس الأعمال كما يسميه ابن تيمية) ليس كفراً مخرجاً من الملة.

(ووجه كونه إرجاءً لأنه يلزم منه أن أعمال الجوارح ليست ركنًا في الإيمان، بل و لا عمل القلب كذلك، وهذا باطل لارتباط الظاهر بالباطن، فيمتنع وجود عمل القلب مع انتفاء عمل الجوارح)

٩- أعمال الجوارح شرط كمال في الإيمان وليست ركنًا ولا شرط صحة.

(والصواب في هذا أن يقال: جنس أعمال الجوارح ركنٌ في الإيمان، وآحادها – عدا الصلاة– من مكملاته)

١٠- الأقوال والأعمال الكفرية ليست كفرًا ولكنها تدل على الكفر.

١١- المكفرات القولية والعملية المخرجة من الملة هي ما كان مضادًا للإيمان من كل وجه أو ما كانت دليلًا على الكفر، وجَعْلُ مناط التكفير كونها مضادةً للإيمان من كل وجه أو كونها تدل على ذلك.

(والصواب أن يقال: المكفرات القولية والعملية المخرجة من الملة هي ما دل الدليل على كونها كذلك، وهي مضادة للإيمان من كل وجه وتدل على كفر الباطن، ولابد) فتأمل الفرق.

١٢- جعلهم الشهوة وعدم القصد من موانع التكفير.

ومن الأدلَّة على زيادة الإيمان ونقصه أنَّ الله قسَّم المؤمنين ثلاث طبقات، فقال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾[فاطر: ٣٢].

فالسابقون بالخيرات هم الذين أدَّوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرَّمات والمكروهات، وهؤلاء هم المقرَّبون.

(ووجه كونه إرجاءً أن مآله إلى حصر الكفر في الاعتقاد، أما إن عُني بالقصد: العمد المقابل للخطأ فنعم، فالخطأ من موانع التكفير، لكن ليُعلم أنه يكفي أن يقصد (يتعمد) عمل الكفر، ولا يلزم منه أن يقصد الوقوع في الكفر)

١٣- ترك الصلاة ليس كفرًا لأنه من أعمال الجوارح، وعمل الجوارح شرط في كمال الإيمان.

(ووجه كونه إرجاءً أن قائله لا يكفِّر بالعمل وإنما الكفر عنده اعتقاد فقط، فمسألة الصلاة من أظهر المسائل التي أجمع الصحابة على كفر تاركها، أما لو رجَّح عدم كفر من يصلي تارة ويترك تارة لأدلة شرعية لديه –كما قد وقع من بعض السلف- أو أن الإجماع لم يبلغه، فهذا لا صلة له بالارجاء)

ومن هنا يُعلم خطأ ما يردده البعض من مقولةٍ لبعض السلف: ((من قال إن الإيمان قول وعمل واعتقاد، وأنه يزيد وينقص، فقد بريء من الإرجاء كله أوله وآخره))

وهي مقولة حق ولا شك ولكن على فهم قائليها من السلف، وهو أنَّ العمل والقول والاعتقاد أركان في الإيمان لا يجزيء أحدها عن الآخر، وإلا فمن قال ذلك وهو لا يرى أعمال الجوارح ركناً في الإيمان، أو قال ذلك وهو يحصر الكفر في التكذيب والاستحلال فإنه قد نطق بما قاله السلف في تعريف الإيمان لكن لا على الوجه الذي أرادوه، وهذه العبارة شبيهة بقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((من قال لاإله إلا الله دخل الجنة)) فما يقول هؤلاء فيمن قالها ولم ينطق بشطر الشهادة الآخر –محمد رسول الله-، أو قالها وارتكب ناقضًا من نواقضها، فهذه كتلك. ولهذا حذَّر أهل العلم من بعض الكتب مع تبنيها أن الإيمان قولٌ وعملٌ، يزيد وينقص. والله أعلم.

والمقتصدون هم الذين اقتصروا على أداء الواجبات وترك المحرَّمات.

والظالمون لأنفسهم هم الذين اجترؤوا على بعض المحرَّمات وقصَّروا ببعض الواجبات مع بقاء أصل الإيمان معهم.

ومن وجوه زيادته ونقصه كذلك أنَّ المؤمنين متفاوتون في علوم الإيمان، فمنهم من وصل إليه من تفاصيله وعقائده خيرٌ كثيرٌ، فازداد به إيمانه، وتمَّ يقينُه، ومنهم من هو دون ذلك، حتى يبلغ الحالُ ببعضهم أن لا يكون معه إلا إيمانٌ إجماليٌّ لم يتيسَّر له من التفاصيل شيء، وهو مع ذلك مؤمن.

وكذلك هم متفاوتون في كثير من أعمال القلوب والجوارح، وكثرة الطاعات وقلتها.

وأما من ذهب إلى أنَّ الإيمان مجرَّد التصديق بالقلب، وأنَّه غير قابل للزيادة أو النقص؛ كما يُروى عن أبي حنيفة وغيره؛ فهو محجوجٌ بما ذكرنا من الأدلة، قال عليه السلام: ((الإيمان بضعٌ وسبعون شعبةً؛ أعلاها: قول: لا إله إلَّا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق))(١).

(وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ المعَاصِي وَالْكَبَائِرِ؛ كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ(٢)؛ بَلِ الأُخُوَّةُ الإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ المعَاصِي؛ كَمَا قَالَ

(١) رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

(٢) **اعلم أن هناك سماتٍ من اتسم بها أو ببعضها فهو خارجي، أو وقع فيما وقعت فيه الخوارج من الغلو:**

١- تكفير صاحب الكبيرة.

٢- تكفير من وقع في معصية وأصر عليها.

سُبْحَانَهُ: ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة:١٧٨]، وَقَالَ: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [الحجرات:٩-١٠]).

ومع أنَّ الإيمان المطلق مركَّب من الأقوال والأعمال والاعتقادات؛ فهي ليست كلها بدرجة واحدة؛ بل العقائد أصلٌ في الإيمان، فمَن أنكر شيئًا مما يجب اعتقاده في الله أو ملائكته أو كتبه أو رسله أو اليوم الآخر أو مما هو معلومٌ من الدين بالضرورة؛ كوجوب الصلاة، والزكاة، وحرمة الزنا والقتل... إلخ؛ فهو كافرٌ، قد خرج من الإيمان بهذا الإنكار.

٣- القول بأن الإيمان شيء واحد لا ينقص، فإذا ذهب بعضه ذهب كله.

٤- جواز الخروج على الحاكم المسلم لجوره وظلمه، وإن لم يُرَ منه كفرٌ بواحٌ.

(ووجه كونه خارجية، أنه قد استقر رأي أهل السُّنَّة والجماعة على عدم جواز ذلك، وخالفت الخوارج)

٥- عدم العذر بالجهل مطلقًا.

٦- تكفير كل من حكم بغير ما أنزل الله ولو في قضية معينة.

والصواب: التفريق بين التشريع العام وجعله دينًا متبعًا وقانونًا ملزمًا، وبين جعل الشريعة الإسلامية هي الدين الملْزِم، ومخالفتها وعدم الحكم بها في قضية أو قضايا معينة.

وانظر: (ص: ٢٩٩).

٧- التسرع في تكفير المعين دون مراعاةٍ لتحقق الشروط وانتفاء الموانع.

(وَلَا يَسْلُبُونَ الْفَاسِقَ الملِّيَّ[١] [الإسْلامَ][٢] بِالْكُلِّيَّةِ، وَلَا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ؛ كَمَا تَقُولُ المعْتَزِلَةُ.

بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ المطْلَقِ[٣]؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾ [النساء:٩٢].

وَقَدْ لَا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ المطْلَقِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾[الأنفال:٢]، وَقَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم: ((لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نَهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ))[٤].

وَنَقُولُ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، فَلَا يُعْطَى الاسْمَ المطْلَقَ، وَلَا يُسْلَبُ مُطْلَقَ الاسْمِ)

وأما الفاسق الملِّي الذي يرتكب بعض الكبائر مع اعتقاده حرمتها؛ فأهل السُّنَّة والجماعة لا يسلبون عنه اسم الإيمان بالكلِّيَّة، ولا يخلِّدونه في النَّار؛ كما تقول المعتزلة والخوارج، بل هو عندهم مؤمنٌ ناقص الإيمان، قد

---

(١) أي: الذي على ملة الإسلام.

(٢) في الأصل: (اسْمَ الإِيمَانِ)، وهو الصواب.

(٣) في الأصل: بدون (المطلق) وهو الصواب، وما ها هنا لا يستقيم.

(٤) رواه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧)، ورواه أبو داود، والترمذي، والنسائي.

نقص من إيمانه بقدر معصيته، أو هو مؤمنٌ فاسقٌ، لا يعطونه اسم الإيمان المطلق، ولا يسلبونه مطلق الإيمان.

وأدلَّة الكتاب والسنَّة دالَّةٌ على ما ذكره المؤلف رحمه الله من ثبوت مطلق الإيمان مع المعصية؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١].

فناداهم باسم الإيمان، مع وجود المعصية، وهي موالاة الكفار منهم.. إلخ.

[الإيمان والإسلام]

فائدة: الإيمان والإسلام الشرعيَّان متلازمان في الوجود، فلا يوجد أحدهما بدون الآخر، بل كلما وجد إيمانٌ صحيحٌ معتدٌّ به، وُجِدَ معه إسلامٌ، وكذلك العكس، ولهذا قد يُسْتَغْنى بذكر أحدهما عن الآخر؛ لأنَّ أحدهما إذا أفرد بالذكر؛ دخل فيه الآخر، وأما إذا ذُكِرا معًا مقترنين؛ أُريد بالإيمان التصديق والاعتقاد، وأُريد بالإسلام الانقياد الظاهري من الإقرار باللسان وعمل الجوارح.

ولكن هذا بالنسبة إلى مطلق الإيمان، أما الإيمان المطلق؛ فهو أخصُّ مطلقًا من الإسلام، وقد يوجد الإسلام بدونه؛ كما في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤].

فأخبر بإسلامهم مع نفي الإيمان عنهم(١).

---

(١) أي: الإيمان المطلق.

وفي حديث جبريل ذكر المراتب الثلاث: الإسلام، والإيمان، والإحسان، فدل على أنَّ كلًّا منها أخصُّ مما قبله.

[حب الصحابة]

(فَصْلٌ[١]: وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر: ١٠]، وَطَاعَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي قَوْلِهِ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهُ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»[٢].

وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ).

يقول المؤلِّف: إنَّ من أصول أهل السُّنَّة والجماعة التي فارقوا بها مَن عداهم من أهل الزيغ والضلال أنَّهم لا يُزْرُون بأحد من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، ولا يطعنون عليه، ولا يحملون له حقدًا ولا بغضًا ولا احتقارًا، فقلوبهم وألسنتهم من ذلك كله براء، ولا يقولون فيهم إلا ما حكاه الله عنهم بقوله: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠] الآية.

---

(١) ليست في الأصل.

(٢) رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

فهذا الدعاء الصادر ممَّن جاء بعدهم ممَّن اتَّبعوهم بإحسان يدلُّ على كمال محبَّتهم لأصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وثنائهم عليهم، وهم أهل لذلك الحب والتكريم؛ لفضلهم، وسبقهم، وعظيم سابقتهم، واختصاصهم بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولإحسانهم إلى جميع الأمَّة؛ لأنَّهم هُمْ المبلِّغون لهم جميع ما جاء به نبيُّهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فما وصل لأحدٍ علمٌ ولا خبرٌ إلا بواسطتهم، وهم يوقِّرُونهم أيضًا طاعةً للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم؛ حيث نهى عن سبهم والغضِّ منهم، وبيَّن أنَّ العمل القليل من أحد أصحابه يفضل العمل الكثير من غيرهم، وذلك لكمال إخلاصهم، وصادق إيمانهم.

[التفضيل بين الصحابة]

(وَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ - وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ - وَقَاتَلَ، عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلَ.

وَيُقَدِّمُونَ المهَاجِرِينَ عَلَى الأَنْصَارِ.

وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ قَالَ لأَهْلِ بَدْرٍ- وَكَانُوا ثَلاث مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ-: ((اعْمَلُوا مَا شِئْتُم. فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ))[١].

وَبِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحتَ الشَّجَرَةِ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم[٢]، بَلْ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا

(١) رواه البخاري (٤٨٩٠)، ومسلم (٢٤٩٤) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) يشير لما رواه مسلم (٢٤٩٦)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يدخل النَّار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها)).

أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ[١].

وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَالْعَشَرَةِ، وَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بنِ شَمَّاسٍ، وَغَيْرِهِم مِّنَ الصَّحَابَةِ.

وأمَّا قوله: ((**وَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ - وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ - وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدُ وقَاتَلَ**))؛ فلورود النص القرآني بذلك، قال تعالى في سورة الحديد: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

وأما تفسير الفتح بصلح الحُديبية؛ فذلك هو المشهور، وقد صحَّ أنَّ سورة الفتح نزلت عقيبه[٢].

وسمي هذا الصلح فتحًا؛ لما ترتَّب عليه من نتائج بعيدة المدى في عزَّة الإسلام، وقوَّته وانتشاره، ودخول الناس فيه.

[المهاجرون والأنصار]

وأمَّا قوله: ((**وَيُقَدِّمُونَ المهَاجِرِينَ عَلَى الأَنْصَارِ**))؛ فلأنَّ المهاجرين جمعوا الوصفين: النصرة والهجرة، ولهذا كان الخلفاء الراشدون وبقية العشرة من المهاجرين، وقد جاء القرآن بتقديم المهاجرين على الأنصار في سورة

---

(١) صح هذا العدد في صحيح البخاري (٤١٥٤)، ومسلم (١٨٥٦) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه؛ قال: قال لنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يوم الحديبية: ((أنتم خير أهل الأرض))، وكنا ألفًا وأربع مئة، ولو كنت أبصر اليوم؛ لأريتكم مكان الشجرة.

(٢) كما في صحيح البخاري (٣١٨٢)، ومسلم (١٧٨٦).

التوبة[١] والحشر[٢]، وهذا التفضيل إنَّما هو للجملة على الجملة، فلا ينافي أنَّ في الأنصار مَن هو أفضل من بعض المهاجرين.

وقد رُوي عن أبي بكر أنَّه قال في خطبته يوم السقيفة: ((نحن المهاجرون، وأول الناس إسلامًا، أسلمنا قبلكم، وقُدِّمْنا في القرآن عليكم، فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء))[٣].

[أهل بدر]

وأمَّا قوله: ((وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ قَالَ لأَهْلِ بَدْرٍ...)) إلخ؛ فقد ورد أنَّ عمر رضي الله عنه لما أراد قتل حاطب بن أبي بلتعة وكان قد شهد بدرًا لكتابته كتابًا إلى قريش يخبرهم فيه بمسير الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال له الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((وما يُدريك يا عمر؟ لعلَّ الله اطَّلع على أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم))[٤].

وأما قوله: ((وَبِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ...)) إلخ؛ فلإخباره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك، ولقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨] الآية.

---

(١) ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [التوبة:٢٠].

(٢) ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر:٨].

(٣) صحَّ عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال يوم السقيفة للأنصار: ((نحن الأمراء، وأنتم الوزراء)). رواه البخاري في صحيحه (٣٦٦٧).

(٤) رواه البخاري (٤٨٩٠)، ومسلم (٢٤٩٤) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فهذا الرضا مانعٌ من إرادة تعذيبهم، ومستلزمٌ لإكرامهم ومثوبتهم.

[المبشرون بالجنَّة]

وأمَّا قوله: ((وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَالْعَشَرَةِ، وَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بنِ شَمَّاسٍ، وَغَيْرِهِم مِّنَ الصَّحَابَةِ)).

أما العشرة؛ فهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عُبيدة بن الجراح(١).

وأما غيرهم؛ فكثابت بن قيس(٢)، وعُكَّاشة بن محصن(٣)، وعبد الله بن

---

(١) روى ذلك الترمذي في ((السنن)) (٣٧٤٧) عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وقال: ((حسن صحيح)).
ورواه أبو داود (٤٦٤٩)؛ وابن ماجه (١٣٣)، عن سعيد بن زيد رضي الله عنه، ولكنه جعل العاشر رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بدل أبي عُبيدة بن الجراح رضي الله عنه. وصحح إسناده أحمد شاكر في ((مسند أحمد)) (١١٢/٣). وصححه الألباني في ((صحيح سنن ابن ماجه)) (١٣٣).

(٢) لما رواه مسلم (١١٩)، وأحمد في ((المسند)) (١٣٧/٣): ((لما نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات:٢]؛ قال ثابت: أنزلت هذه الآية ولقد علمتُم أني من أرفعكم صوتًا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فأنا من أهل النَّار. فذكر ذلك سعدٌ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فقال: بل هو من أهل الجنَّة)).

(٣) للحديث المشهور: ((سبقك بها عُكَّاشة)). رواه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

سلام(١)، وكل مَن ورد الخبر الصحيح بأنَّه من أهل الجنَّة(٢).

[الخلفاء الراشدون]

(وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ.

وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ، وَكَمَا أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ.

مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدِ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ - أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ: وَسَكَتُوا، أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّم قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا.

لَكِنِ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ.

وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمسْأَلَةُ - مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ - لَيْسَتْ مِنَ الأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ المخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ.

لَكِنِ الَّتِي يُضَلَّلُ فِيهَا: مَسْأَلَةُ الْخِلَافَةِ(٣)، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَبُو بَكْرٍ، وَ(٤) عُمَرُ، ثُمَّ

---

(١) لما رواه البخاري (٣٨١٢)، ومسلم (٢٤٨٣)، واللفظ له؛ من حديث سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه؛ قال: «ما سمعتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يقول لحيٍّ يمشي على الأرض: إنه في الجنَّة؛ إلا لعبد الله بن سلام».

(٢) مثل خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم، والحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب، وبلال بن رباح؛ رضي الله عنهم أجمعين.. وغيرهم كثير.

(٣) في الأصل: لكنَّ المسألة الَّتِي يُضَلَّلُ المُخَالِفُ فِيهَا مسألةُ الخلافةِ.

(٤) في الأصل: (ثُمَّ)

عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ.

وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلاءِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ).

وأمَّا قوله: ((**وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ المؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأمَّة بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ.**))؛ فقد ورد أنَّ عليًّا رضي الله عنه قال ذلك على منبر الكوفة، وسمعه منه الجم الغفير؛ وكان يقول: ((ما مات رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حتى علمنا أنَّ أفضلنا بعده أبو بكر، وما مات أبو بكر حتى علمنا أنَّ أفضلنا بعده عمر))[١].

وأمَّا قوله: ((**وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ...**)) إلخ؛ فمذهب جمهور أهل السُّنَّة أنَّ ترتيب الخلفاء الراشدين في الفضل على حسب ترتيبهم في الخلافة، وهم لهذا يفضِّلون عثمان على علي، محتجِّين بتقديم الصحابة عثمان في البيعة على عليٍّ.

وبعض أهل السُّنَّة يفضِّل عليًّا؛ لأنَّه يرى أنَّ ما ورد من الآثار في مزايا عليٍّ ومناقبه أكثر. وبعضهم يتوقَّف في ذلك.

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في ((السنة)) (٢/٥٧٠)، بهذا اللفظ، وضعف إسناده الألباني.
ولكن صحَّ بالتواتر عن علي وابن عمر رضي الله عنهما قولهما: ((خير هذه الأمَّة بعد نبيها أبو بكر، وبعد أبي بكر عمر)) وفي بعض الروايات (ثم عثمان).
وفي ((صحيح البخاري)) (٣٦٩٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال: كنا في زمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لا نعدل بأبي بكر أحدًا، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان، ثمَّ نترك أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لا نفاضل بينهم)).

وعلى كل حالٍ؛ فمسألة التفضيل ليست - كما قال المؤلف - من مسائل الأصول التي يُضلَّل فيها المخالف، وإنَّما هي مسألة فرعيَّة يتَّسع لها الخلاف.

[مسألة الخلافة]

وأما مسألة الخلافة؛ فيجب الاعتقاد بأنَّ خلافة عثمان كانت صحيحة؛ لأنَّها كانت بمشورة من الستة[1]، الذين عيَّنهم عمر رضي الله عنه ليختاروا الخليفة من بعده، فمن زعم أنَّ خلافة عثمان كانت باطلة، وأنَّ عليًّا كان أحق بالخلافة منه؛ فهو مبتدعٌ ضالٌّ يغلب عليه التشيُّع؛ مع ما في قوله من إزراءٍ بالمهاجرين والأنصار.

[حب آل البيت]

(وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: ((أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي))[2].

وَقَالَ أَيْضًا لِلْعَبَّاسِ عَمِّهِ - وَقَدِ اشْتَكَى إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ - فَقَالَ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ؛ للهِ وَلِقَرَابَتِي))[3].

---

(١) وهم: علي، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعد، وعبد الرحمن. رضي الله عنهم أجمعين. انظر: ((صحيح البخاري)) (٣٧٠٠).

(٢) رواه مسلم (٢٤٠٨).

(٣) روى الترمذي (٣٧٥٨) عن عبدالمطلب بن ربيعة مرفوعًا: ((والذي نفسي بيده؛ لا يدخل قلب رجل إيمانٌ حتى يحبَّكم لله ولرسوله)). وقال الترمذي: ((حسن صحيح))، ورواه الإمام أحمد بهذا اللفظ (١٧٧٢، و١٧٧٣)، وبلفظ: ((لقرابتي)) (١٧٧٧)، وصحح إسنادهما أحمد شاكر، وضعَّفه الألباني في ((ضعيف الجامع)) (٦١١٢).

وَقَالَ: ((إِنَّ اللهَ اصْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ))[1]).

[أهل بيت النبي]

أهل بيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم هم مَن تحرُم عليهم الصدقة، وهم: آل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل العباس، وكلهم من بني هاشم، ويلحق بهم بنو المطلب؛ لقوله عليه السلام: ((إنَّهم لم يفارقونا جاهليَّةً ولا إسلامًا))[2].

فأهل السُّنَّة والجماعة يرعون لهم حرمتهم وقرابتهم من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما يحبونهم لإسلامهم، وسبقهم، وحسن بلائهم في نصرة

ورواه الإمام أحمد في ((فضائل الصحابة)) (١٧٥٦) بلفظ: ((حتى يحبوكم لله ولقرابتي)). بإسناد مرسل ضعيف، ولكن قال محققه وصي الله عباس: ((ووجدته موصولًا في أمالي طرَّاد الزَّينبي (٨٨ب) من طريق سفيان عن أبيه عن أبي الضحى عن ابن عباس؛ قال: قال العباس.. وهذا إسناد موصول صحيح)) اهـ. والله أعلم.

(١) رواه مسلم (٢٢٧٦) من حديث واثلة بن الأسقع الليثي رضي الله عنه.

(٢) تمام الحديث: ((إنهم لم يفارقوني في جاهلية ولا إسلام، إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد، وشبك بين أصابعه)). رواه النسائي (٤١٣٧)، واللفظ له، وبنحوه رواه أبو داود (٢٩٧٨).

والحديث قال عنه ابن حزم في ((المحلى)) (٣/٣٢٧): إسناده في غاية الصحة، وصححه الألباني في ((صحيح الجامع)) (٢٣١٨).

وروى البخاري (٣٥٠٢) الجزء الأخير منه فقط: ((إنما بنو هاشم وبنو المطَّلب شيء واحِد)) والشاهد فيه أقوى.

وهاشم والمطَّلب أخوان؛ أبوهما عبد مناف بن قُصَيٍّ بن كلاب، فبنوهما أبناء عمومة.

دين الله عزَّ وجلَّ.

و((غدير خُم)) - بضم الخاء-؛ قيل: اسم رجل صباغ أضيف إليه الغدير الذي بين مكَّة والمدينة بالجحفة. وقيل: خُم اسم غَيْضَةٍ هناك نُسِب إليها الغدير، والغَيْضَة: الشجر الملتف.

وأمَّا قوله عليه السلام لعمه: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ؛ للهِ وَلِقَرَابَتِي))؛ فمعناه: لا يتم إيمان أحدٍ حتى يحب أهل بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لله؛ أولاً: لأنَّهم من أوليائه وأهل طاعته الذين تجب محبتهم وموالاتهم فيه. وثانيًا: لمكانهم من رسول الله، واتصال نسبهم به.

[حب أمهات المؤمنين]

(وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أُمَّهَاتِ الْمؤْمِنِينَ، وَيُؤْمِنُونَ[١] بِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الآخِرَةِ: خُصُوصًا خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلَادِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاضَدَهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ.

وَالصِّدِّيقَةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ))[٢]).

أزواجه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم هن مَن تزوجهُنَّ بنكاح، فأولهن خديجة

(١) في الأصل: ويُقِرُّونَ.

(٢) رواه البخاري (٣٤١١)، ومسلم (٢٤٣١)، والترمذي، والنسائي.

بنت خويلد رضي الله عنها، تزوَّجها بمكة قبل البعثة، وكانت سِنُّهُ خمسًا وعشرين، وكانت هي تكبره بخمسة عشر عامًا، ولم يتزوَّج عليها حتى توفِّيت، وقد رُزِقَ منها بكل أولاده إلا إبراهيم، وكانت أول من آمن به، وقوَّاه على احتمال أعباءِ الرسالة، وقد ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين عن خمس وستين سنة، فتزوج بعدها سودة بنت زمعة (رضي الله عنها).

وعقد على عائشة رضي الله عنها، وكانت بنت ست سنين، حتى إذا هاجر إلى المدينة بنى بها وهي بنت تسع.

ومن زوجاته أيضًا أم سلمة رضي الله عنها، تزوجها بعد زوجها أبي سلمة.

وزينب بنت جحش تزوجها بعد تطليق زيد بن حارثة لها، أو على الأصح زوجه الله إياها.

وجويرية بنت الحارث، وصفية بنت حيي، وحفصة بنت عمر، وزينب بنت خزيمة، وكلهن أمهات المؤمنين، وهن أزواجه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في الآخرة، وأفضلهن على الإطلاق خديجة وعائشة رضي الله عنهما.

[موقف الروافض والنواصب من الصحابة]

(وَيَتَبَرَّؤُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ.

وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ[1] الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الآثَارَ

(١) النواصب: هم الذين ناصبوا العداوة لأهل البيت، وطعنوا فيهم، وكفَّروهم، وهم ضد الروافض.

الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ، وَالصَّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ: إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ.

[الصحابة غير معصومين]

وَهُم مَّعَ ذَلِكَ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ، بَلْ تَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ.

وَلَهُم مِّنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ –إِنْ صَدَرَ–، حَتَّى إِنَّهُ يُغْفَرُ لَهُم مِّنَ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لأَنَّ لَهُم مِّنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ.

[الصحابة خير القرون]

وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ، وَأَنَّ الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّن بَعْدَهُمْ.

ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَو غُفِرَ لَهُ؛ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوْ ابْتُلِيَ بِبَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ.

فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ الأُمُورُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ: إِنْ أَصَابُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَؤُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالْخَطَأُ مَغْفُورٌ.

ثُمَّ إِنَّ الْقَدْرَ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْفُورٌ[(١)] فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ؛ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ، وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَمَن نَّظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ[(٢)]، وَمَا مَنَّ اللهُ عَلَيْهِم بِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ، لَا كَانَ وَلا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ).

يريد أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة يتبرؤون من طريقة الروافض التي هي الغلو في عليٍّ وأهل بيته، وبغض مَن عداه من كبار الصحابة، وسبهم، وتكفيرهم.

وأول من سماهم بذلك زيد بن علي[(٣)] رحمه الله لأنَّهم لما طلبوا منه أن يتبرأ من إمامة الشيخين أبي بكر وعمر ليبايعوه أبى ذلك، فتفرقوا عنه، فقال: ((رفضتموني))، فمن يومئذٍ قيل لهم: رافضة.

وهم فرق كثيرة: منهم الغالية، ومنهم دون ذلك.

ويتبرَّؤُون كذلك من طريقة النواصب الذين ناصَبوا أهل بيت النبوَّة العداء لأسباب وأمور سياسية معروفة، ولم يعد لهؤلاء وجود الآن.

---

(١) في الأصل: (مَغْمُورٌ)، وهو أصوب.

(٢) في الأصل: (بِعِلْمٍ وَعَدْلٍ وَبَصِيرَةٍ).

(٣) هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين، وإليه تنسب الزيدية؛ إحدى فرق الشيعة، وهم معتزلة في الأصول، تفرقوا إلى عدة فرق؛ منها من هو أقرب إلى السنة، ومنها ما هو أقرب إلى الرافضة، والمتقدمون منهم أفضل من المتأخرين.

[موقف أهل السنة والجماعة من النزاع بين الصحابة]

ويمسك أهل السُّنَّة والجماعة عن الخوض فيما وقع من نزاع بين الصحابة رضي الله عنهم؛ لا سيما ما وقع بين علي وطلحة والزبير بعد مقتل عثمان، وما وقع بعد ذلك بين علي ومعاوية وعمرو بن العاص وغيرهم، ويرون أنَّ الآثار المروية في مساوئهم أكثرها كذبٌ أو محرَّفٌ عن وجهه، وأما الصحيح منها؛ فيعذرونهم فيه، ويقولون: إنَّهم متأولون مجتهدون.

وهم مع ذلك لا يدَّعون لهم العصمة من كبار الذنوب وصغارها، ولكن ما لهم من السوابق والفضائل وصحبة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم والجهاد معه قد يوجب مغفرة ما يصدر منهم من زلات؛ فهم بشهادة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم خير القرون، وأفضلها، ومُدُّ أحدِهم أو نَصِيفه أفضل من جبل أحدٍ ذَهَبًا يتصدَّق به مَن بعدهم، فسيِّئاتهم مغفورة إلى جانب حسناتهم الكثيرة.

يريد المؤلِّف رحمه الله أن ينفي عن الصحابة رضي الله عنهم أن يكون أحدهم قد مات مصرًّا على ما يوجب سخط الله عليه من الذنوب، بل إذا كان قد صدر الذنب من أحدهم فعلاً؛ فلا يخلو عن أحد هذه الأمور التي ذكرها؛ فإمَّا أن يكون قد تاب منه قبل الموت، أو أتى بحسنات تذهبه وتمحوه، أو غُفر له بفضل سالفته في الإسلام؛ كما غُفِر لأهل بدر وأصحاب الشجرة، أو بشفاعة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم أسعد الناس بشفاعته، وأحقُّهم بها، أو ابتلي ببلاء في الدنيا في نفسه أو ماله أو ولده فَكُفِّر عنه به.

فإذا كان هذا هو ما يجب اعتقاده فيهم بالنسبة إلى ما ارتكبوه من الذنوب المحققة؛ فكيف في الأمور التي هي موضع اجتهاد والخطأ فيها مغفورٌ.

ثم إذا قِيس هذا الذي أخطؤوا فيه إلى جانب ما لهم من محاسن وفضائل؛ لم يَعْدُ أن يكون قطرةً في بحر.

فالله الذي اختار نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم هو الذي اختار له هؤلاء الأصحاب، فهم خير الخلق بعد الأنبياء، والصفوة المختارة من هذه الأمَّة التي هي أفضل الأمم.

ومَن تأمَّل كلام المؤلِّف رحمه الله في شأن الصحابة عجب أشد العجب مما يرميه به الجهلة المتعصِّبُون، وادِّعائهم عليه أنَّه يتهجَّم على أقدارهم، ويغضُّ من شأنهم، ويخرق إجماعهم... إلى آخر ما قالوه من مزاعم ومفتريات.

[الإيمان بكرامات الأولياء]

(وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ وَمَا يُجْرِي اللهُ عَلَى أَيْدِيهِم مِّنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالمكَاشَفَاتِ وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ[1]، والمأثورِ عَنْ سَالِفِ الأُمَمِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ

---

(١) قوله: «أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات»؛ أي أن كرامات الأولياء تنقسم إلى قسمين: (١) علم وكشف. (٢) قدرة وتأثير. أما الأول فكأن يُعلمه الله ويُطلعه ويكشف له ما لا يكشف لغيره يقظة أو منامًا، كما حدث لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في قصة: يا سارية الجبل. وأما الثاني؛ فكأن تكون له قدرة وتأثير على الأشياء ليست لغيره،

وَغَيْرِهَا، وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ فِرَقِ الأُمَّةِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)(١).

وقد تواترت نصوص الكتاب والسنة، ودلت الوقائع قديمًا وحديثًا على وقوع كرامات الله لأوليائه المتَّبعين لهدي أنبيائهم.

والكرامة أمر خارقٌ للعادة، يجريه الله على يد وليٍّ من أوليائه(٢)؛ معونةً له على أمر دينيٍّ أو دنيويٍّ.

[الفرق بين المعجزة والكرامة]

ويفرّق بينها وبين المعجزة بأنَّ المعجزة تكون مقرونة بدعوى الرسالة، بخلاف الكرامة.

ويتضمَّن وقوع هذه الكرامات حكم ومصالح كثيرة؛ أهمها:

أولًا: أنها كالمعجزة، تدل أعظم دلالة على كمال قدرة الله، ونفوذ مشيئته، وأنَّه فعَّال لما يريد، وأنَّ له فوق هذه السنن والأسباب المعتادة سننًا أخرى لا يقع عليها علم البشر، ولا تدركها أعمالهم.

فمن ذلك قصة أصحاب الكهف، والنوم الذي أوقعه الله بهم في تلك المدة الطويلة، مع حفظه تعالى لأبدانهم من التحلل والفناء.

كما وقع لمريم عليها السلام وما حدث لأصحاب الكهف. انظر: «مجموع الفتاوى» (١١/٣١٤-٣١٨)، وهذا في حق أولياء الله الصالحين لا الدجاجلة الكذابين.

(١) كل هذا ليس في الأصل.

(٢) الوليُّ: هو من فعل المأمور، وترك المحظور، وصبر على المقدور، فأحب الله وأحبه، ورضي عنه. انظر: رسالة «الفرقان» لشيخ الإسلام ابن تيمية.

ومنها ما أكرم الله به مريم بنت عمران من إيصال الرزق إليها وهي في المحراب؛ حتى عجب من ذلك زكريا عليه السلام، وسألها: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ [آل عمران:٣٧].

وكذلك حملها بعيسى بلا أب، وولادتها إياه، وكلامه في المهد، وغير ذلك.

ثانيًا: أنَّ وقوع كرامات الأولياء هو في الحقيقة معجزة للأنبياء؛ لأنَّ تلك الكرامات لم تحصل لهم إلا ببركة متابعتهم لأنبيائهم، وسيرهم على هديهم.

ثالثًا: أنَّ كرامات الأولياء هي البشرى التي عجَّلها الله لهم في الدنيا؛ فإنَّ المراد بالبشرى كل أمر يدلُّ على ولايتهم وحسن عاقبتهم، ومن جملة ذلك الكرامات.

هذا؛ ولم تزل الكرامات موجودة لم تنقطع في هذه الأمَّة إلى يوم القيامة، والمشاهدةُ أكبرُ دليل.

وأنكرت الفلاسفةُ(١) كرامات الأولياء كما أنكروا معجزات الأنبياء،

---

(١) الفلسفة باليونانية: محبة الحكمة. والفيلسوف هو: (فيلا) و(سوفا). و(فيلا): هو المحب. و(سوفا): الحكمة؛ أي: هو محب الحكمة.

وفلاسفة العرب: مَن اتبع فلاسفة اليونان في كفرهم وضلالاتهم؛ كأرسطو طاليس، وأفلاطون، وغيرهما، ومن فلاسفة العرب ابن رشد وابن سينا والرازي الطبيب وغيرهم.

وهؤلاء لا يؤمنون بالأنبياء ومعجزاتهم، ولا الأولياء وكراماتهم. وانظر (ص: ١٢٢).

وأنكرت الكرامات أيضًا المعتزلة، وبعض الأشاعرة؛ بدعوى التباسها بالمعجزة، وهي دعوى باطلة؛ لأنَّ الكرامة - كما قلنا - لا تقترن بدعوى الرسالة.

لكن يجب التنبه إلى أنَّ ما يقوم به الدَّجاجلةُ والمشعوذون من أصحاب الطرق المبتدعة الذين يسمون أنفسهم بالمتصوِّفة من أعمال ومخاريق شيطانية؛ كدخول النَّار، وضرب أنفسهم بالسلاح، والإمساك بالثعابين، والإخبار بالغيب... إلى غير ذلك؛ ليس من الكرامات في شيء؛ فإنَّ الكرامة إنَّما تكون لأولياء الله بحق، وهؤلاء أولياء الشيطان[1].

[اتباع لا ابتداع]

(فَصْلٌ[2]: ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ المهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَاتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَيثُ قَالَ: ((عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ))[3].

---

(١) وهناك نوعٌ آخر؛ وهو استعانة بعضهم بالجن لقضاء بعض الحاجات يظن بعض العوام أنه من الكرامات؛ وهو نوعٌ من الشعوذة إذا فسدت النيَّات.

(٢) ليست في الأصل.

(٣) رواه أحمد (٤/١٢٦) (١٧١٨٤)، والترمذي (٢٦٧٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، وابن ماجه (٤٢)، والحاكم (١/١٧٦). من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه.

وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلامِ كَلامُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُؤْثِرُونَ كَلَامَ اللهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ كَلامِ أَصْنَافِ النَّاسِ، وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ.

وَلِهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَسُمُّوا أَهْلَ الْجَمَاعَةِ؛ لأَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ الإِجْمَاعُ[1]، وَضِدُّهَا الْفُرْقَةُ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الْجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ الْقَوْمِ المجْتَمِعِينَ.

وَالإِجمَاعُ هُوَ الأَصْلُ الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الْعِلْمِ وَالدين.

وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِه الأُصُولِ الثَّلاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ.

[أصول منهج أهل السُّنَّة والجماعة]

وَالإِجْمَاعِ الَّذِي يَنْضَبِطُ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ؛ إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الاخْتِلَافُ، (وَانْتَشَرَ فِي الأُمَّةِ)[2].

قوله: ((ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ...)) إلخ؛ هذا بيان المنهج لأهل السُّنَّة والجماعة في استنباط الأحكام الدينية كلها، أصولها وفروعها، بعد طريقتهم في مسائل الأصول، وهذا المنهج يقوم على أصول ثلاثة:

والحديث صححه الترمذي والحاكم ووافقه الذهبي، وابن عبدالبر في ((جامع بيان العلم وفضله)) (١١٦٤/٢)، وابن تيمية في ((منهاج السنة)) (١٦٤/٤)، والألباني في ((صحيح سنن ابن ماجه)) (٤٢)، وحسَّنه البغوي في ((شرح السنة)) (١٨١/١).

(١) في الأصل: الاِجْتِمَاعُ.

(٢) في الأصل: وَانْتَشَرَتِ الأُمَّةُ.

أولها: كتاب الله عزَّ وجلَّ، الذي هو خير الكلام وأصدقه، فهم لا يقدِّمون على كلام الله كلام أحد من الناس.

وثانيها: سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما أُثر عنه من هدي وطريقة، لا يقدمون على ذلك هَدْيَ أحد من الناس.

وثالثها: ما وقع عليه إجماع الصدر الأول من هذه الأمَّة قبل التفرُّق والانتشار وظهور البدعة والمقالات، وما جاءهم بعد ذلك مما قاله الناس وذهبوا إليه من المقالات وزنوها بهذه الأصول الثلاثة التي هي الكتاب، والسنة، والإجماع، فإنْ وافقها؛ قبلوه، وإنْ خالفها ردُّوه؛ أيًّا كان قائله.

وهذا هو المنهج الوسط، والصراط المستقيم، الذي لا يضلُّ سالكه، ولا يشقى مَن اتَّبعه، وسطٌ بين مَن يتلاعب بالنصوص، فيتأوَّل الكتاب، وينكر الأحاديث الصحيحة، ولا يعبأ بإجماع السَّلف، وبين من يخبط خبط عشواء، فيتقبل كل رأي، ويأخذ بكل قول، لا يفرق في ذلك بين غثٍّ وسمينٍ، وصحيحٍ وسقيمٍ.

[جماع مكارم الأخلاق]

(فَصْلٌ[1]: ثُمَّ هُم مَّعَ هَذِهِ الأُصُولِ يَأْمُرُونَ بِالمعْرُوفِ، وَيَنْهَونَ عَنِ المنْكَرِ عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ.

وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَالْجُمَعِ وَالأَعْيَادِ مَعَ الأُمَرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا، وَيُحَافِظُونَ عَلَى الْجَمَاعَاتِ.

(١) ليست في الأصل.

وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ للأُمَّةِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((الـمؤمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ الـمرْصُوصِ؛ يَشُدُّ بَعْضَهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ))(١)، وقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَثَلُ الـمؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بُالْحُمَّى وَالسَّهَرِ))(٢).

وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْبَلاءِ، وَالشُّكْرِ [عِنْدَ الرَّخَاءِ](٣)، وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ.

وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الأَخْلاقِ، وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَكْمَلُ المؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا))(٤).

وَيَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ

---

(١) رواه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، دون لفظة: ((المرصوص)).

(٢) رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).

(٣) زيادة من الأصل.

(٤) رواه أحمد (٢/٢٥٠) (٧٣٩٦)، والترمذي (١١٦٢)، وأبو داود (٤٦٨٢)، والحاكم (١/٤٣). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والحديث قال عنه الترمذي: حسن صحيح. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين و هو صحيح على شرط مسلم بن الحجاج، وأورده الحافظ في ((الفتح)) (١٠/٤٥٨)، وعزاه لأحمد والترمذي والحاكم وأبي يعلى وسكت عنه. وصححه الألباني في ((السلسلة الصحيحة)) (٢٨٤).

وفي البخاري (٣٥٥٩) مرفوعًا: ((إن من خياركم أحسنكم أخلاقًا)).

ظَلَمَكَ.

وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالإِحْسَانِ إِلَى الْيَتَامَى وَالمسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفْقِ بِالمـمْلُوكِ.

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَخْرِ، وَالْخُيَلاءِ، وَالْبَغْيِ، وَالاسْتِطَالَةِ عَلَى الْخَلْقِ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ.

وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الأَخْلَاقِ،وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا.

وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الإِسْلَامِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

قوله: ((**ثُمَّ هُم مَعَ هَذِهِ الأُصُولِ...**)) إلخ؛ جمع المؤلف في هذا الفصل جماع مكارم الأخلاق التي يتخلَّق بها أهل السُّنَّة والجماعة؛ من الأمر بالمعروف؛ وهو ما عُرِف حُسْنُه بالشرع والعقل، والنهي عن المنكر؛ وهو كل قبيحٍ عقلًا وشرعًا؛ على حسب ما توجبه الشريعة من تلك الفريضة؛ كما يفهم من قوله عليه السلام: ((مَن رأى منكم منكرًا؛ فليُغيِّره بيده، فإنْ لم يستطع؛ فبلسانه، فإنْ لم يستطع؛ فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان))(١).

ومن شهود الجُمَعِ والجماعات والحج والجهاد مع الأمراء أيًّا كانوا؛ لقوله

---

(١) رواه مسلم (٤٩)، والترمذي، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه.

عليه السلام: ((صلوا خلف كلِّ برٍّ وفاجرٍ))[(١)].

ومن النصح لكل مسلم؛ لقوله عليه السلام: ((الدين النصيحةُ))[(٢)].

ومن فهمٍ صحيحٍ لما توجبه الأخوة الإيمانية من تعاطفٍ وتوادٍّ وتناصرٍ؛ كما في هذه الأحاديث التي يشبِّه فيها الرسول المؤمنين بالبنيان المرصوص المتماسك اللَّبنات، أو بالجسد المترابط الأعضاء من دعوة إلى الخير، وإلى مكارم الأخلاق، فهم يدعون إلى الصبر على المصائب، والشكر على النعماء، والرضا بقضاء الله وقدره.. إلى غير ذلك مما ذكره.

[أهل السُّنَّة والجماعة هم الفرقة الناجية]

(لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ كُلُّهَا فِي النَّارِ؛ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ[(٣)]. وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: ((هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوم

(١) (ضعيف). رواه الدارقطني (٢/٥٧)، والبيهقي (٤/١٩) (٦٦٢٣)، من طريق مكحول عن أبي هريرة، وقال الدارقطني: ((مكحول لم يسمع من أبي هريرة))، وقال النووي في ((المجموع)): ((إسناده صحيح إلى مكحول عن أبي هريرة))، وقال الذهبي في ((تنقيح التحقيق)) (١/٢٥٦): ((مكحول لم يدرك أبا هريرة))، وقد أعلَّه الحافظ ابن حجر في ((التلخيص الحبير)) (٢/٣٥)، والزيلعي في ((نصب الراية)) (٢/٢٧) بالانقطاع. ويغني عنه ما رواه البخاري (٢/١٨٧) عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أنه قال: ((يصلون لكم - يعني: الأئمة الضلَّال - فإن أصابوا؛ فلكم ولهم، وأن أخطؤوا؛ فلكم وعليهم)).

(٢) رواه مسلم (٥٥)، وأبو داود والنسائي.

(٣) في الأصل: (وَهيَ السُّنَّةُ والْجَمَاعَةُ).

وحديث الافتراق تقدم تخريجه (ص: ٨٩).

وَأَصْحَابِي))(١)؛ صَارَ الـمتَمَسِّكُونَ بِالإِسْلامِ الـمحْضِ الْخَالِصِ عَنِ الشَّوْبِ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

وَفِيهِمُ الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحُونَ، وَمِنْهُمُ أَعْلامُ الْهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، أُولو الـمناقِبِ الـمأْثُورَةِ، وَالْفَضَائِلِ الـمذْكُورَةِ، وَفِيهِمُ الأَبْدَالُ، وَفِيهِمُ أَئِمَّةُ الدِّينِ، الَّذِينَ أَجْمَعَ الـمسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ، وَهُمُ الطَّائِفَةُ الـمنْصُورَةُ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةً، لَا يَضُرُّهُم مَّنْ خَالَفَهُمْ، وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ؛ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ))(٢).

[أهل السُّنَّة والجماعة هم الطائفة المنصورة]

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ وَأَنْ لَا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَأَنْ يَهَبَ لَنَا مِن لَّدُنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَ الوَهَّابُ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا).

وأمَّا قوله: ((وفيهم الصِّدِّيقون...)) إلخ؛ فالصِّدِّيق صيغة مبالغة من الصدق، يراد به الكثير التصديق، وأبو بكر رضي الله عنه هو الصدِّيق الأول لهذه الأمَّة.

وأما الشهداء؛ فهو جمع شهيد، وهو مَن قتل في المعركة.

---

(١) جزء من حديث الافتراق.

(٢) رواه البخاري ومسلم. وقد تقدم تخريجه (ص: ٨٩).

وأما الأبدال[١]؛ فهم جمع بدْل، وهم الذين يخلف بعضهم بعضًا في تجديد هذا الدين والدفاع عنه؛ كما في الحديث: «يبعث الله لهذه الأمَّة على رأس كل مئة سنة مَن يجدد لها أمر دينها»[٢].

والله أعلم، وصلى الله على محمدٍ وآله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

---

(١) قال الحافظ ابن القيم في «المنار المنيف» (ص: ١٣٦): «أحاديث الأبدال والأقطاب والأغوات والنقباء والنجباء والأوتاد؛ كلها باطلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم». يردُّ بهذا على الصوفية الذين يزعمون أن هناك أبدالًا سبعة يتحكَّم كل واحد منهم في قارة من القارات السبع بأمر الغوث والنجباء، أما الأبدال الذين يعنيهم شيخ الإسلام؛ فهم الذين عرَّفهم الشارح.

(٢) رواه أبو داود (٤٢٩١)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٦/٣٢٣) (٦٥٢٧)، والحاكم (٤/٥٦٧)، والبيهقي في «معرفة السنن والآثار» (١/٢٠٨) (٤٢٢). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقوَّى إسناده ووثَّق رجاله الحافظ ابن حجر في «توالي التأسيس» (ص٤٩)، وقال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (١٤٩): إسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٢٩١).

❁ تم الفراغ منه في منتصف شعبان من عام (١٤١٠هـ)، وتم الانتهاء من مراجعة هذه الطبعة في شهر شوال من عام (١٤٣٣) من هجرة المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، والحمد لله أولًا وآخرًا.

ملحق

العقيدة الواسطيّة

بقلم

علوي بن عبد القادر السَّقَّاف

مقدمة الملحق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد أشار عليَّ بعض الإخوة الأفاضل أن أضم مع هذا الشرح المبارك أهم مسائل العقيدة التي لم يتطرق لها شيخ الإسلام ابن تيمية في «العقيدة الواسطية»، وكذلك شارحها الشيخ محمد خليل هرَّاس، وذلك تسهيلًا لمن يُدَرِّسُ أو يَدْرُسُ هذه العقيدة.

وبعد تفكير طويل استجبت لرغبة الإخوة؛ بعد أن علمت أنَّ كثيرًا ممن يدرسون «العقيدة الواسطية» يضطرون إلى أن يفتشوا في غيرها من كتب العقيدة ليستخرجوا منها ما لم يذكره شيخ الإسلام من مسائل مهمَّة في العقيدة، فأردت بهذه الزيادة (الملحق) إتمام أبواب العقيدة؛ بحيث يجد الباحث أو المدرس لهذه المادة جميع أبواب العقيدة التي يحسن دراستها وتدريسها للناس، وجعلتها في ملحق خاص آخر الكتاب.

عملي في الملحق:

نظرت في المطبوع من كتب العقيدة التي بين أيدينا، فوجدت أنَّ مسائل العقيدة التي لم يذكرها شيخ الإسلام في «الواسطية»، لا تزيد عن تسع

مسائل؛ كلها ذكرها أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في ((متنه)) المشهور، أو ذكرها شارحه ابن أبي العز، وهي كالتالي[(١)]:

١- الجماعة والفرقة.

٢- الموالاة والمعاداة.

٣- الحكم بغير ما أنزل الله.

٤- عدم الخروج على الأئمة.

٥- الميثاق.

٦- الإسراء والمعراج.

٧- أشراط الساعة.

٨- الجنَّة والنَّار.

٩- ذم الكلام ووجوب التسليم لنصوص الكتاب والسنة.

ولما كانت هذه المسائل التسع أهم المسائل التي عدَّها من كتب في العقيدة من أبواب العقيدة، ولما كانت كلها موجودة كما أسلفت في ((شرح)) ابن أبي العز لـ ((العقيدة الطحاوية))؛ فقد سِرتُ على طريقة تشبه طريقة شيخ الإسلام في ((الواسطية)) وشارحها الهراس؛ من حيث الاختصار والإيجاز، وذلك على النحو التالي:

---

(١) لم أذكر في هذا الملحق المسائل المتعلقة بالتوحيد وأقسامه، والشرك وأنواعه؛ لأن هذه المسائل مظانُّها كتب التوحيد وشروحها، وبذكرها يتضاعف الكتاب ويخرج عن أصله.

(أ) أذكر متن الطحاوي.

(ب) أذكر في الهامش الموضع الذي ذكر فيه المتن من «شرح الطحاوية»؛ لابن أبي العز الحنفي (تحقيق الألباني، الطبعة الثامنة)، والموضع الذي ذكر فيه شيخ الإسلام نحو كلام الطحاوي في أيٍّ من كتبه.

(جـ) أذكر شرح ابن أبي العز لكلام الطحاوي مختصرًا مع ذكر الصفحة.

(د) علقت تعليقات يسيرة، وخرَّجت الأحاديث؛ متبعًا الطريقة نفسها في أصل الشرح.

(هـ) أدخلت الآيات والأحاديث والمراجع وغيرها في مواضعها من الفهارس العامة.

هذا؛ وأسأل الله عزَّ وجلَّ أن أكون قد وفقت في عملي هذا، وأن يكون هذا العمل نافعًا ومفيدًا للأساتذة والمربين الذين نذروا أنفسهم لتعليم الناس عقيدة السَّلف أهل السُّنَّة والجماعة.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فصل في الجماعة والفرقة

قال الطحاوي رحمه الله تعالى:

(وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا)[١].

الشرح:

قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران:١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٠٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ❖ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود:١١٨-١١٩]، فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف.

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [البقرة:١٧٦].

---

(١) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٥١٢-٥١٧)، و«مجموع الفتاوى» (١/١٢-١٩ قاعدة في الجماعة والفرقة وسبب ذلك ونتيجته).

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم: ((إنَّ أهل الكتابين افترقوا في دينهم على اثنتين وسبعين مِلَّة، وإنَّ هذه الأمَّة ستفترق على ثلاثٍ وسبعين مِلَّة (يعني: الأهواء)، كلها في النَّار؛ إلا واحدة، وهي الجماعة))[1]. وفي رواية: قالوا: مَن هي يا رسول الله؟ قال: ((ما أنا عليه وأصحابي)).

والأمورُ التي تتنازع فيها الأمَّة في الأصول والفروع، إذا لم تُردَّ إلى الله تعالى والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم؛ لم يتبيَّن فيها الحقُّ، بل يصير فيها المتنازعون على غير بيِّنة من أمرهم: فإنْ رحمهم اللهُ؛ أقرَّ بعضُهم بعضًا، ولم يبغِ بَعضُهم على بعضٍ؛ كما كان الصحابة في خلافة عمر وعثمان يتنازعون في بعض مسائل الاجتهاد، فيُقر بعضهم بعضًا، ولا يَعتدِي، ولا يُعتدَى عليه. وإنْ لم يُرحَمُوا؛ وقعَ بينهم الاختلافُ المذموم، فبغَى بعضهم على بعض: إمَّا بالقول؛ مثل تكفيره وتفسيقه، وإمَّا بالفعل؛ مثل حبسه وضربه وقتله.

فالناس إذا خفي عليهم بعض ما بعث الله به الرسول: إمَّا عادلون، وإمَّا ظالمون؛ فالعادل فيهم: الذي يعمل بما وصل إليه من آثار الأنبياء ولا يظلم غيره، والظالم: الذي يعتدي على غيره.

وأكثرهم إنَّما يظلمون، مع علمهم بأنَّهم يظلمون؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩].

---

(١) تقدم تخريجه (ص: ٨٩).

وإلَّا؛ فلو سلكوا ما علموه من العدل؛ أقرَّ بعضُهم بعضًا؛ كالمقلِّدين لأئمة العلم، الذين يعرفون من أنفسهم أنَّهم عاجزون عن معرفة حكم الله ورسوله في تلك المسائل، فجعلوا أئمتهم نوابًا عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم، وقالوا: هذه غاية ما قدرنا عليه؛ فالعادل منهم لا يظلم الآخر ولا يعتدي عليه بقولٍ ولا فعلٍ؛ مثل أن يدَّعي أنَّ قول مقلَّده هو الصحيح بلا حجة يبديها، ويذم من خالفه مع أنَّه معذور. اهـ

فصل في الموالاة والمعاداة

قال الطحاوي رحمه الله تعالى:

(وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ، وَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللهِ أَطْوَعُهُمْ وَأَتْبَعُهُمْ لِلْقُرْآنِ)(١).

الشرح:

قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ❖ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٢-٦٣].

الوليُّ: من الوَلاية -بفتح الواو- التي هي ضِدُّ العداوة؛ فالمؤمنون أولياء الله، والله تعالى وليُّهم:

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ﴾ [البقرة:٢٥٧].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد:١١].

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾ [التوبة:٧١].

---

(١) انظر: ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص٣٥٧-٣٦٢)، والفصل الأول من كتاب ((الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان)) لشيخ الإسلام ابن تيمية.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ❖ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [المائدة:٥٥-٥٦].

فهذه النصوص كلها ثبت فيها موالاة المؤمنين بعضهم لبعض، وأنَّهم أولياء الله، وأنَّ الله وليهم ومولاهم.

فالله يتولى عبادَه المؤمنين؛ فيحبُّهم ويحبُّونه، ويرضى عنهم ويرضون عنه،ومن عادى له وليًّا؛ فقد بارزه بالمحاربة.

وهذه الوَلاية من رحمته وإحسانه، ليست كوَلاية المخلوق للمخلوق لحاجة إليه.

قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ [الإسراء:١١١].

فالله تعالى ليس له وليٌّ من الذُّلِّ، بل لله العزَّة جميعًا؛ خلاف الملوك وغيرهم، ممَّن يتولَّاه لذلِّه وحاجته إلى وليٍّ ينصره.

والولاية أيضًا نظير الإيمان، وتكون كاملةً وناقصةً؛ فالكاملة تكون للمؤمنين المتقين؛ كما قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ❖ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ * لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

فالوَلاية لمن كان من الذين آمنوا وكانوا يتقون، وهم أهل الوعد المذكور في الآيات الثلاث، وهي عبارة عن موافقة الولي الحميد في مَحابِّهِ ومَساخِطِهِ.

فوليُّ الله: هو مَن والى اللهَ بموافقته في محبوباته والتقرُّب إليه بمرضاته، وهؤلاء كما قال تعالى فيهم: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣]؛ فالمتَّقُون يجعلُ اللهُ لهم مخرجًا مما ضاق على الناس، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون، فيدفع الله عنهم المضارَّ، ويجلب لهم المنافع، ويُعطيهم الله أشياءَ يطولُ شرحها.

وقوله: «وأكرمُهم عندَ اللهِ أطوعُهم وأتبعهم للقرآن»: أراد: أكرم المؤمنين هو الأطوعُ لله، والأتبع للقرآن، وهو الأتقى، والأتقى هو الأكرم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

وعن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أنَّه قال: «لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض؛ إلا بالتقوى، الناس من آدم، وآدم من تراب»[(١)].

فإنَّ التفضيل عند الله بالتقوى وحقائق الإيمان؛ لا بفقرٍ ولا غنًى.

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٥/٤١١)، والطبراني في «الأوسط» (٥/٣٠٥/ رقم٣١١٦)، والبزار بنحوه (٢/٢٢٤/رقم١٧٤٥ مختصر الزوائد)، وصحح إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/٣٦٧)، وصححه الألباني في «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٣٦١).

وقال رحمه الله تعالى: (وَنُحِبُّ أَهْلَ الْعَدْلِ وَالأَمَانَةِ، وَنُبْغِضُ أَهْلَ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ)[(١)].

الشرح:

وهذا من كمال الإيمان، وتمام العبودية؛ فإنَّ العبادة تتضمن كمال المحبَّة ونهايتها؛ فمحبة رسل الله وأنبيائه وعباده المؤمنين من محبة الله؛ فإنَّ المحب يُحبُّ ما يُحبُّ محبوبُه، ويبغض ما يُبغض، ويرضى لرضائه، ويغضب لغضبه.

واللهُ تعالى يحبُّ المحسنين، ويحبُّ المتقين، ويحبُّ التوَّابين، ويحبُّ المتطهِّرين، ونحن نحبُّ من أحبَّه الله.

واللهُ لا يحبُّ الخائنين، ولا يحبُّ المفسدين، ولا يحبُّ المستكبرين، ونحن لا نحبُّهم أيضًا، ونبغضهم؛ موافقةً له سبحانه وتعالى.

وفي «الصحيحين» عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم: «ثلاثٌ من كنَّ فيه وَجَدَ حلاوةَ الإيمان: مَن كانَ اللهُ ورسوله أحبَّ إليه مِمَّا سِوَاهما، ومَن كان يحبُّ المرءَ لا يُحبُّه إلَّا لله، ومَن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُلقى في النَّار»[(٢)].

فالمحبَّة التامَّة مستلزمة لموافقة المحبوب في محبوبه ومكروهه، وولايته وعداوته.

---

(١) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٣٨٣، ٣٨٤).

(٢) رواه البخاري (١٦)، ومسلم في (٤٣).

ومن المعلوم أنَّ مَن أحبَّ اللهَ المحبةَ الواجبة؛ فلا بدَّ أن يُبغض أعداءه، ولا بدَّ أن يحبَّ ما يحبُّه من جهادهم؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ [الصف:٤]، والحب والبغض بحسب ما فيهم من خصال الخير والشر؛ فإنَّ العبد يجتمع فيه سبب الولاية وسبب العداوة، والحب والبغض، فيكون محبوبًا من وجه، ومبغوضًا من وجه، والحكم للغالب. اهـ

فصل في الحكم بغير ما أنزل الله

قال ابن أبي العز شارح الطحاوية(١): «وهنا(٢) أمر يجب أن يُتفطَّن له، وهو أنَّ الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرًا ينقل عن الملَّة،وقد يكون معصيةً كبيرةً أو صغيرةً، ويكون كفرًا: إمَّا مجازيًّا، وإمَّا كفرًا أصغر، على القولين المذكورين، وذلك بحسب حال الحكم: فإنَّه إن اعتقد أنَّ الحكم بما أنزل الله غير واجب، وأنَّه مخيَّر فيه، أو استهان به، مع تيقنه أنَّه حكم الله؛ فهذا كفرٌ أكبر، وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله، وعلمه في هذه الواقعة(٣)، وعدل عنه، مع اعترافه بأنَّه مستحقٌّ للعقوبة؛ فهذا عاصٍ، ويسمى كافرًا كفرًا مجازيًّا أو كفرًا أصغر، وإن جهل حكم الله فيها، مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطائه؛ فهذا مخطئ، له أجرٌ على اجتهاده، وخطؤه مغفور». ا.هـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى»: «ليس لأحد أن يحكم بين أحد من خلق الله؛ لا بين المسلمين، ولا الكفار، ولا الفتيان، ولا رماة البندق، ولا الجيش، ولا الفقراء، ولا غير ذلك؛ إلا بحكم الله ورسوله، ومن ابتغى غير ذلك؛ تناوله قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ

---

(١) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٣٢٣).

(٢) ذكر الشارح هذا الكلام عند شرحه لقول الطحاوي: «ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله...». انظر: (ص٢٦٧).

(٣) هو هنا رحمه الله يتحدث عن الوقائع والقضايا الحالَّة.

حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة: ٥٠]، وقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]؛ فيجب على المسلمين أن يحكِّموا الله ورسوله في كل ما شجر بينهم...»[(١)].

وقال أيضًا: «وولي الأمر إنْ عرف ما جاء به الكتاب والسنة؛ حكم بين الناس به، وإنْ لم يعرفه وأمكنه أن يعلم ما يقول هذا وما يقول هذا، حتى يعرف الحق؛ حكم بِهِ، وإنْ لم يمكنه لا هذا ولا هذا؛ ترك المسلمين على ما هم عليه، كل يعبد الله على حسب اجتهاده، وليس له أن يلزم أحدًا بقبول قول غيره، وإنْ كان حاكمًا.

وإذا خرج ولاة الأمور عن هذا؛ فقد حكموا بغير ما أنزل الله، ووقع بأسهم بينهم؛ قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما حكم قوم بغير ما أنزل الله؛ إلا وقع بأسهم بينهم»[(٢)].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣٥/٤٠٧-٤٠٨).

(٢) رواه ابن ماجه (٤٠١٩)، بلفظ: «وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيَّروا مما أنزل الله؛ إلا جعل الله بأسهم بينهم»، وأوله: «يا معشر المهاجرين»، ورواه أبو نعيم في «الحلية» (٨/٣٣٣)، وفي سندهما ابن أبي مالك، خالد بن يزيد، وهو ضعيف، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٤/٥٤٠) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٤/١٨٥-١٨٦): (هذا حديث صالح العمل به)، وحسَّنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٤٠١٩).

وهذا من أعظم أسباب تغير الدول؛ كما قد جرى مثل هذا مرة بعد مرة في زماننا وغير زماننا.

ومن أراد الله سعادته؛ جعله يعتبر بما أصاب غيره، فيسلك مسلك من أيَّده الله ونصره، ويجتنب مسلك من خذله الله وأهانه؛ فإنَّ الله يقول في كتابه: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ❖ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

فقد وعد الله بنصر من ينصره، ونصره هو نصر كتابه ودينه ورسوله، لا نصر من يحكم بغير ما أنزل الله ويتكلم بما لا يعلم؛ فإنَّ الحاكم إذا كان ديِّنًا، لكنه حكم بغير علم؛ كان من أهل النَّار، وإنْ كان عالـمًا؛ لكنه حكم بخلاف الحق الذي يعلمه؛ كان من أهل النَّار،وإذا حكم بلا عدل ولا علم؛ كان أولى أن يكون من أهل النَّار.

وهذا إذا حكم في قضية معينة لشخص، وأما إذا حكم حكمًا عامًّا في دين المسلمين(١)، فجعل الحق باطلًا والباطل حقًّا، والسنة بدعة والبدعة سنة، والمعروف منكرًا والمنكر معروفًا، ونهى عما أمر الله به ورسوله؛ فهذا

---

(١) شيخ الإسلام هنا يفرق بين الحكم في قضية معينة والحكم العام أو التشريع العام، واعلم أن الحكم في قضية أو قضايا معينة كفر وذنب عظيم، وهو من باب كفر دون كفر، أمَّا التشريع العام فنصوص العلماء -قديمًا وحديثًا- الدالة على أنه كفر أكبر مخرج من الملة، كثيرة جدًّا، ويمكن جمعها في كتاب، لكن سأكتفي هنا بنقل بعضٍ منها، بل قد نَقَل ابن حزم وابن القيم وابن كثير الإجماع على ذلك.

لون آخر، يحكم فيه رب العالمين، وإله المرسلين، مالك يوم الدين، الذي ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٧٠]، ﴿ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح:٢٨]»[(١)].

أقوال العلماء في التشريع العام:

١- قول العلَّامة ابن حزم الأندلسي:

«لا خلاف بين اثنين من المسلمين ... وأنَّ من حكم بحكم الإنجيل مما لم يأتِ بالنص عليه وحي في شريعة الإسلام فإنَّه كافر مشرك خارج عن الإسلام»[(٢)].

٢- قول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«نُسَخُ هذه التوراة مبدلة لا يجوز العمل بما فيها، ومن عمل اليوم بشرائعها المبدلة والمنسوخة فهو كافر»[(٣)].

٣- قول الحافظ ابن القيم:

«قالوا: وقد جاء القرآن وصحَّ الإجماع بأنَّ دين الإسلام نَسَخَ كل دين كان قبله، وأنَّ من التزم ما جاءت به التوراة والإنجيل ولم يتبع القرآن فإنَّه كافر، وقد أبطل الله كلَّ شريعة كانت في التوراة والإنجيل وسائر الملل،

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣٥/٣٨٧-٣٨٨).

(٢) «الإحكام في أصول الأحكام» (٥/١٧٣).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٣٥/٢٠٠). بتصرف يسير.

وافترض على الجن والإنس شرائع الإسلام؛ فلا حرام إلا ما حرمه الإسلام، ولا فرض إلا ما أوجبه الإسلام»[(١)].

٤- قول الحافظ ابن كثير:

«من ترك الشرع المحكم المنزل على محمد خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام، وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة؛ كفر. فكيف بمن تحاكم إلى الياسق وقدمها عليه؟ من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين»[(٢)].

وقال في تفسير سورة المائدة (الآية: ٥٠): «ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال[(٣)] بلا مستند من شريعة الله.. ومن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير».

---

(١) أحكام أهل الذمة (١/٢٥٩).

قلت: إذا كان من اتبع التوراة أو الإنجيل وتحاكم إليهما عند ابن حزم وابن تيمية وابن القيم كافرًا؛ فكيف بمن اتبع القوانين الوضعية التي هي من صنع البشر وحثالة عقولهم؟!

(٢) البداية والنهاية (١٣/١١٩).

(٣) ليس هناك وصف للقوانين الوضعية أبلغ من هذا الوصف: «آراء وأهواء واصطلاحات وضعها الرجال».

فصل في عدم الخروج على الأئمة

قال الطحاوي رحمه الله:

(وَلَا نَرَى السَّيْفَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ إِلَّا مَن وجبَ عَلَيْهِ السَّيْفُ. وَلَا نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى أَئِمَّتِنَا وَوُلَاةِ أُمُورِنَا، وَإِنْ جَارُوا[(١)]، وَلَا نَدْعُو عَلَيْهِمْ، وَلا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ، وَنَرَى طَاعَتَهُم مِّنْ طَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَرِيضَةً، مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ، وَنَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلاحِ وَالْمُعَافَاةِ)[(٢)].

الشرح:

((في الصحيح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم؛ أنَّه قال: ((لا يَحِلُّ دَمُ امرئٍ مُسلمٍ يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؛ إلا بإحدى ثلاث: الثيِّب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة))[(٣)].

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [النساء:٥٩].

---

(١) أئمة المسلمين وولاة أمورهم هم من أقاموا فيهم الصلاة وحكموهم بشرع الله، ولم يُظهروا الكفر البواح، وإن جاروا وظلموا، أمَّا من لم يقيموا فيهم الصلاة ونبذوا شرع الله خلفهم وحكَّموا فيهم غيره؛ فلا إمامة لهم ولا ولاية ولا كرامة.

(٢) انظر: ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص٣٧٩-٣٨١)، و((مجموع الفتاوى)) لشيخ الإسلام (١٧٩/٢٩-١٨١)، و((السياسة الشرعية)) له أيضًا.

(٣) رواه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

وفي الصحيح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم؛ أنَّه قال: «مَن أطاعني؛ فقد أطاع الله، ومن عصاني؛ فقد عصى اللهَ، ومَن يُطع الأميرَ؛ فقد أطاعني، ومن يعصِ الأميرَ؛ فقد عصاني»(١).

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه؛ قال: «إنَّ خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع، وإنْ كان عبدًا حبشيًّا مُجدَّع الأطراف»(٢).

وفي «الصحيحين» أيضًا: «على المرءِ المسلمِ السمع والطاعة فيما أحبَّ وكره؛ إلا أنْ يُؤمر بمعصية، فإنْ أُمِرَ بمعصية؛ فلا سمعَ ولا طاعة»(٣).

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم؛ قال: «خيار أئمتكم الذين تحبُّونهم ويحبُّونكم، وتصلُّون عليهم ويصلُّون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم». فقلنا: يا رسول الله! أفلا ننابذهم بالسيف عند ذلك؟ قال: «لا؛ ما أقاموا فيكم الصلاة. ألا مَن ولي عليه والٍ، فرآه يأتي شيئًا من معصية الله؛ فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعنَّ يدًا من طاعةٍ»(٤).

فقد دلَّ الكتاب والسنة على وجوب طاعة أولي الأمر، ما لم يأمروا بمعصية، فتأمَّل قوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [النساء:٥٩]؛ كيف قال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ ولم يقل: وأطيعوا أولي الأمر

---

(١) رواه البخاري (٧١٣٧)، ومسلم (١٨٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (١٨٣٧).

(٣) رواه البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) رواه مسلم (١٨٥٥).

منكم؛ لأنَّ أولي الأمر لا يُفْرَدون بالطاعة؛ بل يُطاعون فيما هو طاعة لله ورسوله[1].

وأما لزوم طاعتهم وإنْ جارُوا؛ فلأنَّه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور؛ فإنَّ الله تعالى ما سلّطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل؛ فعلينا الاجتهادُ في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل:

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٩].

فإذا أراد الرعيَّةُ أن يتخلصوا من ظلم الأمير الظالم؛ فليتركوا الظلم)).اهـ

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في ((مجموع الفتاوى)) (٢٩/١٩٦): ((الإمام العدل تجب طاعته فيما لم يُعلم أنه معصية، وغير العدل تجب طاعته فيما عُلم أنه طاعة)).

فصل في الميثاق

قال الطحاوي:

(وَالْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ حَقٌّ)(١).

الشرح:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:١٧٢].

أخبر سبحانه أنَّه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم؛ شاهدين على أنفسهم أنَّ الله ربهم ومليكهم، وأنَّه لا إله إلا هو.

وقد وردت أحاديث في أخذ الذريَّة من صلب آدم عليه السلام، وتمييزهم إلى أصحاب اليمين وإلى أصحاب الشمال، وفي بعضها الإشهاد عليهم بأنَّ الله ربهم:

فمنها ما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ قال: ((إنَّ الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان (يعني: عرفة)، فأخرج من صلبه كلَّ ذريَّة ذرأها، فنثرها بين يديه، ثمَّ كلَّمهم قُبُلاً؛

---

(١) انظر: ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص٢٤٠-٢٤٧)، و((مجموع الفتاوى)) (٨/٦٥).

قال: ألستُ بربِّكُم؟ قالوا: بلى شهدنا...)) إلى آخر الآية(١).

وروى الإمام أحمد أيضًا عن أنس بن مالك عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم؛ قال: ((يُقال للرجل من أهل النَّار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيءٍ؛ أكنت مفتديًا به؟ قال: فيقول: نعم. قال: فيقول: قد أردتُ منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئًا، فأبيتَ إلا أن تشرك بي شيئًا)).

وأخرجاه في ((الصحيحين)) أيضًا(٢).

---

(١) رواه أحمد (١/٢٧٢) (٢٤٥٥) والنسائي في ((السنن الكبرى)) (٦/٣٤٧) (١١١٩١)، والحاكم (١/٨٠)، والبيهقي في ((الأسماء والصفات)) (ص٣٢٧). من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

قال الحاكم: صحيح الإسناد، وقال ابن كثير في ((البداية والنهاية)) (١/٨٣): إسناده جيد قوي على شرط مسلم، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٧/٢٨): رجاله رجال الصحيح، وقال ابن حجر في ((تحفة النبلاء)) (١٣٤): وقفه أصح، وروي موقوفاً ومرفوعاً عن عبد الله ابن عمرو، وقال الشوكاني في ((فتح القدير)) (٢/٣٧٠): إسناده لا مطعن فيه، وصحح إسناده أحمد شاكر في ((تحقيق مسند أحمد)) (٤/١٥١)، وصححه الألباني في ((صحيح الجامع)) (١٧٠١).

(٢) رواه البخاري (٦٥٥٧)، ومسلم (٢٨٠٥).

- اعلم - وفقني الله وإياك - أن أخذ الميثاق والإشهاد عليه من أمور الغيب التي لا تتخيلها عقولنا القاصرة، ويجب علينا الإيمان بهما كسائر الغيبيَّات، ومن أحسن من رأيته أوضح مشكلها وأبانه الشيخ حافظ حكمي في ((معارج القبول)) (١/٨٤-٩٤)، وللشيخ الألباني عند تخريج حديث عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- السابق في ((السلسلة الصحيحة)) كلام جيد؛ فراجعه إن شئت.

فصل في الإسراء والمعراج

قال الطحاوي رحمه الله:

(وَالْمِعْرَاجُ حَقٌّ، وَقَدْ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ فِي الْيَقَظَةِ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللهُ مِنَ الْعُلَا، وَأَكْرَمَهُ اللهُ بِمَا شَاءَ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى، مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، فَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي الآخِرَةِ وَالأُولَى)(١).

الشرح:

المعراجُ: من العُروج؛ أي: الآلة التي يُعرج فيها؛ أي: يُصعد، وهو بمنزلة السُّلَّم، لكن لا يُعلم كيف هو، وحكمه كحكم غيره من المغيَّبات؛ نُؤمن به، ولا نشتغل بكيفيته.

وقد أسري بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم وعُرِجَ بشخصه في اليقظة. وإنَّ الإسراء كان مرَّةً واحدةً بمكة بعد البعثة قبل الهجرة بسنة.

وكان من حديث الإسراء: أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم أسْرِيَ بجسده في اليقظة على الصحيح، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى؛ راكبًا على البراق، صحبه جبرائيل عليه السلام، فنزل هناك، وصلى بالأنبياء إمامًا، وربط البراق بحلقة باب المسجد.

---

(١) انظر: شرح ((العقيدة الطحاوية)) (ص٢٢٣-٢٢٦)، و((مجموع الفتاوى)) (٣٢٨/٤، ٢٥٦/٥)، و((درء تعارض العقل والنقل)) (٣٥٤/٥).

ثم عُرِجَ به من بيت المقدس تلك الليلة إلى السماء الدنيا، ثمَّ عُرِج به إلى السماء الثانية، ثمَّ إلى الثالثة والرابعة حتى السابعة، ورأى هناك عددًا من الأنبياء، ثمَّ رُفِعَ إلى سدرة المنتهى، ثمَّ رُفِعَ له البيت المعمور، فأوحى إلى عبده ما أوحى، وفرض الله عليه خمسين صلاةً، فرجع حتى مرَّ على موسى، فقال: بِمَ أُمِرْت؟ قال: بخمسين صلاة. فقال: إنَّ أمتك لا تطيق ذلك؛ ارجعْ إلى ربك؛ فاسأله التخفيف لأمتك. فوضع عنه عشرًا، ثمَّ نزل حتى أتى موسى، فأخبره، فقال: ارجع إلى ربك؛ فاسأله التخفيف، فلم يزل يتردَّد بين موسى وبين الله تبارك وتعالى، حتى جعلها خمسًا، فأمره موسى بالرجوع، وسؤال التخفيف، فقال: قد استحييتُ من ربي، ولكن أرضى وأسلم. فلمَّا نفذَ؛ نادى منادٍ: قد أمضيت فريضتي، وخففتُ عن عبادي(١).

وفي رؤيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ربَّه عزَّ وجلَّ اختلاف، والصحيح أنَّه رآه بقلبه، ولم يره بعين رأسه.

ومما يدل على أنَّ الإسراء بجسده في اليقظة: قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، والعبد عبارةٌ عن مجموع الجسد والروح؛ كما أنَّ الإنسان اسم لمجموع الجسد والروح، هذا هو المعروف عند الإطلاق، وهو الصحيح، فيكون الإسراء بهذا المجموع، ولا يمتنع ذلك عقلاً، ولو جاز استبعاد صعود

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٢).

البشر؛ لجاز استبعاد نزول الملائكة، وذلك يؤدي إلى إنكار النبوَّة، وهو كُفر.

فإنْ قيل: فما الحكمة في الإسراء إلى بيت المقدس أولًا؟

فالجواب - والله أعلم-: أنَّ ذلك كان إظهارًا لصدق دعوى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم المعراج حين سألَتْه قريشٌ عن نعت بيت المقدس، فنعته لهم، وأخبرهم عن عيرهم التي مر عليها في طريقه، ولو كان عروجه إلى السماء من مكة؛ لما حصل ذلك؛ إذ لا يمكن اطلاعهم على ما في السماء لو أخبرهم عنه، وقد اطلعوا على بيت المقدس، فأخبرهم بنعته.

وفي حديث المعراج دليل على ثبوت صفة العلوِّ لله تعالى من وجوهٍ لمن تدبَّره، وبالله التوفيق. اهـ

فصـــل في أشراط الســـاعة

قال الطحاوي رحمه الله:

(وَنُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ[١]؛ مِنْ: خُرُوجِ الدَّجَّالِ، وَنُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنَ السَّمَاءِ، وَنُؤْمِنُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجِ دَابَّةِ الأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا)[٢].

قال الشارح: عن حذيفة بن أسيد؛ قال: اطلع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم علينا ونحن نتذاكر الساعة، فقال: ((ما تذاكرون))؟ قالوا: نذكر الساعة. فقال: ((إنَّها لن تقوم حتى تَرَوْن قبلها عشرَ آياتٍ، فذكر: الدُّخَان، والدجَّال، والدابَّة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسفٌ بالمشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخسفٌ بجزيرة العرب، وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن؛ تطرد الناس إلى محشرهم)). رواه مسلم[٣].

---

(١) الشرط هو العلامة، والساعة القيامة، والمقصود بأشراط الساعة؛ أي: علامات القيامة التي تسبقها وتدل على قربها.

وقد قسم العلماء أشراط الساعة إلى صغرى وكبرى:

والصغرى: هي التي تتقدم الساعة بأزمان متطاولة؛ كبعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وقبض العلم، والتطاول في البنيان.

والكبرى: هي الأمور العظام التي تظهر قرب قيام الساعة، وهي المقصودة هنا.

(٢) انظر: ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص٤٩٩-٥٠٢)، و((مجموع الفتاوى)) (٣٦/٤٥).

(٣) رواه مسلم (٢٩٠١).

وفي «الصحيحين» عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال: ذُكِرَ الدجال عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم، فقال: «إنَّ الله لا يخفى عليكم، إنَّ الله ليس بأعور، وأشار بيده إلى عينه، وإنَّ المسيح الدجال أعورُ عين اليمنى، كأنَّ عينهُ عنبة طافية»[1].

وروى البخاري وغيرُه عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم: «والذي نفسي بيده؛ ليوشِكنَّ أن ينزلَ فيكم ابنُ مريم حَكَمًا عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيضُ المال؛ حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة خيرًا من الدنيا وما فيها». ثمَّ يقول أبو هريرة: اقرؤوا إنْ شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٥٩][2].

وأحاديث الدجال وعيسى ابن مريم عليه السلام ينزل من السماء ويقتله، ويخرج يأجوج ومأجوج في أيامه بعد قتله الدجال، فيهلكهم الله أجمعين في ليلة واحدة ببركة دعائه عليهم... يضيق هذا المختصر عن بسطها.

وأما خروج الدابّة وطلوع الشمس من المغرب؛ فقال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل:٨٢].

---

(١) رواه البخاري (٣٤٣٩)، ومسلم (١٦٩).

(٢) رواه البخاري ومسلم، تقدم تخريجه (ص: ١٦٩).

وروى البخاري عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم: ((لا تقومُ الساعة حتى تطلع الشمسُ من مغربها؛ فإذا رآها الناسُ؛ آمن مَن عليها؛ فذلك حين لا ينفعُ نفسًا إيمانُها لم تكن آمنتْ من قبل))[١].

وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو؛ قال: حفظت من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم حديثًا لم أنسه بعدُ، سمعتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم يقول: ((إنَّ أوَّل الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابَّة على الناس ضحًى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها؛ فالأخرى على إثرها قريبًا))[٢]؛ أي: أوَّل الآيات التي ليست مألوفة، وإنْ كان الدجَّال ونزول عيسى عليه السلام من السماء قبل ذلك، وكذلك خروج يأجوج ومأجوج، كل ذلك أمور مألوفة؛ لأنَّهم بشر، مشاهدة مثلهم مألوفة، وأما خروج الدَّابَّة بشكل غريب غير مألوف، ثمَّ مخاطبتها الناس، ووسمها إياهم بالإيمان أو الكفر؛ فأمر خارجٌ عن مجاري العادات، وذلك أول الآيات الأرضية، كما أنَّ طلوع الشمس من مغربها على خلاف عادتها المألوفة أول الآيات السماوية. اهـ

---

(١) رواه البخاري (٤٦٣٥)، ومسلم (١٥٧).

(٢) رواه مسلم (٢٩٤١).

فصل في الجنَّة والنَّار

قال الطحاوي رحمه الله تعالى:

(وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ، لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا وَلا تَبِيدَانِ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الْخَلْقِ، وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلاً، فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ فَضْلًا مِنْهُ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى النَّارِ عَدْلًا مِنْهُ، وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا قَدْ فُرِغَ لَهُ، وَصَائِرٌ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ، وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَى الْعِبَادِ)[١].

الشرح:

أما قوله: «إنَّ الجنَّة والنَّار مخلوقتان»؛ فاتفق أهل السُّنَّة على أنَّ الجنَّة والنَّار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل أهل السُّنَّة على ذلك.

فمن نصوص الكتاب: قوله تعالى عن الجنَّة: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[آل عمران:١٣٣]، ﴿أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾[الحديد:٢١]، وعن النَّار: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾[آل عمران: ١٣١]، ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ❖ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا﴾ [النبأ:٢١-٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ❖ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ❖ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ﴾ [النجم:١٣-١٥].

وقد رأى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم سِدْرَةَ الـمُنتهى، ورأى عندها جنَّة المأوى؛ كما في «الصحيحين» من حديث أنس رضي الله عنه في قصة

(١) انظر «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٤٢٠-٤٣٢)، و«مجموع الفتاوى» (١٨/٣٠٧).

الإسراء، وفي آخره: ((ثم انطلقَ بي جبرائيل، حتى أتى سِدْرَةَ المنتهى، فغشيها ألوانٌ لا أدري ما هي)). قال: ((ثم دخلت الجنَّة؛ فإذا هي جنابِذُ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك))(١).

وقوله: ((لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان)): هذا قول جمهور الأئمة من السَّلف والخلف.

فأما أبدية الجنَّة، وأنَّها لا تفنى ولا تبيد؛ فهذا مِمَّا يُعلم بالضرورة أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم أخبر به.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨] أي: إلَّا مدَّة مقامهم في القبور والموقف.

وقال ابنُ جرير الطبري: إنَّ الله تعالى لا خُلف لوعده، وقد وصل الاستثناء بقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾؛ أي غير مقطوع، وعلى كل تقدير؛ فهذا الاستثناء من المتشابه، وقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾؛ محكم، فنأخذ بالمُحْكم، وندع المتشابه إلى عالِمه.

وقوله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد:٣٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٨].

---

(١) رواه البخاري (٣٣٤٢)، ومسلم (١٦٣).

وقد أكَّدَ اللهُ خلود أهل الجنَّة بالتأبيد في عدة مواضع من القرآن، وأخبر أنَّهم: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان:٥٦]، وهذا الاستثناء منقطع، وإذا ضممتَهُ إلى الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾؛ تبيَّنَ أنَّ المراد من الآيتين استثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنَّة من مدَّة الخلود؛ كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت؛ فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية، وذلك مفارقة للجنة تقدمت على خلودهم فيها.

والأدلة من السنة على أبدية الجنَّة ودوامها كثيرة؛ كقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم: ((مَن يدخلُ الجنَّة ينعَمُ ولا ييأس، ويخلدُ ولا يموتُ))[1]، وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم: ((يُنادِ مُنادٍ: يا أهل الجنَّة! إنَّ لكم أن تَصِحُّوا فلا تسقموا أبدًا، وأن تَشِبُّوا فلا تهرموا أبدًا، وأن تحيَوا فلا تموتوا أبدًا))[2]، وفي حديث ذبح الموت بين الجنَّة والنَّار: ((ويقال: يا أهل الجنَّة! خلودٌ فلا موت، ويا أهل النَّار! خلودٌ فلا موتٌ))[3].

وأما أبديَّة النَّار ودوامُها؛ فإنَّ الله تعالى يُخرج منها من شاء؛ كما ورد في السنة، ويُبقي فيها الكفار بقاءً لا انقضاء له.

---

(١) رواه مسلم (٢٨٣٦)؛ بلفظ: ((من يدخل الجنَّة؛ ينعم ولا ييأس؛ لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه)).

(٢) رواه مسلم (٢٨٣٧) بنحوه.

(٣) رواه البخاري (٤٧٣٠) ومسلم (٢٨٤٩).

ومن أدلَّة بقائها وعدم فنائها: قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة:٣٧]، ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف:٧٥]، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء:١٦٩]، ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧]، ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر:٣٦].

وقد دلت السنة المستفيضة أنَّه يخرج من النَّار مَن قال: لا إله إلا الله، وأحاديثُ الشفاعة صريحة في خروج عُصاة الموحِّدين من النَّار، وأنَّ هذا حكمٌ مختصٌّ بهم؛ فلو خرج الكفار منها؛ لكانوا بمنزلتهم، ولم يختصَّ الخروج بأهل الإيمان. وبقاءُ الجنَّة والنَّار ليسَ لذاتهما؛ بل بإبقاء الله لهما.

وقوله: «وخلقَ لهما أهلاً»: قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف:١٧٩]، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ الله خلق للجنَّة أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم»[(١)]، رواه مسلم.

وقوله: «فمن شاء منهم إلى الجنَّة فضلًا منه، ومَن شاء منهم إلى النَّار عدلًا منه...» إلى آخره: مِمَّا يجب أنَّ يُعلم أنّ الله تعالى لا يمنع الثواب إلا إذا منع سببه، وهو العمل الصالح؛ فإنَّه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ۝١١٢﴾ [طه:١١٢]، كذلك لا يعاقب أحدًا

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

إلا بعد حصول سبب العقاب؛ فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، وهو سبحانه المعطي المانع، لا مانع لما أعطى، ولا معطيَ لما منع، لكن إذا مَنَّ على الإنسان بالإيمان والعمل الصالح؛ فلا يمنعه موجب ذلك أصلًا؛ بل يُعطيه من الثواب والقُرب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطَر على قلب بشر، وحيث منعه ذلك؛ فلانتفاءِ سببه، وهو العمل الصالح.

ولا ريب أنَّه يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، لكن ذلك حكمةٌ منه وعدلٌ؛ فمنعه للأسباب التي هي الأعمال الصالحة من حكمته وعدله، وأما المسببات بعد وجود أسبابها؛ فلا يمنعها بحال، إذا لم تكن أسبابًا غير صالحة: إمَّا لفساد في العمل، وإمَّا لسبب يعارض موجبه ومقتضاه، فيكون ذلك لعدم المقتضي، أو لوجود المانع.

وإذا كان منعه وعقوبته من عدم الإيمان والعمل الصالح، وهو لم يعطِ ذلك ابتلاءً وابتداءً إلا حكمةً منه وعدلًا؛ فله الحمد في الحالين، وهو المحمود على كل حالٍ، كل عطاء منه فضل، وكل عقوبة منه عدل؛ فإنَّ الله تعالى حكيم، يضع الأشياء في مواضعها التي تصلح لها؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وكما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ٥٣﴾ [الأنعام: ٥٣]، ونحو ذلك. اهـ

فصل في ذم الكلام

ووجوب التسليم لنصوص الكتاب والسنة

قال الطحاوي رحمه الله تعالى:

(وَلا تَثْبُتُ قَدَمُ الإِسْلَامِ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ التَّسْلِيمِ والاسْتِسْلامِ)[(١)].

الشرح:

أي: لا يثبت إسلام من لم يُسَلِّم لنصوص الوحيين، وينقاد إليها، ولا يعترض عليها ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسه.

روى البخاري عن الإمام محمد بن شهاب الزهري رحمه الله؛ أنَّه قال: ((مِن الله الرسالة، ومن الرسول البلاغ، وعلينا التسليم))[(٢)].

وهذا كلامٌ جامعٌ نافعٌ.

وقال الطحاوي:

(فَمَن رَام عِلْمَ ما حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيمِ فَهْمُهُ؛ حَجَبَهُ مَرَامُهُ عَنْ خَالِصِ التَّوْحِيدِ وَصَافِي الْمَعْرِفَةِ وَصَحِيحِ الإِيمَانِ)[(٣)].

---

(١) انظر: ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص٢٠١-٢٠٣).

(٢) رواه البخاري معلقاً بصيغة الجزم (١٥٤/٩)، ووصله ابن حجر العسقلاني في ((تغليق التعليق)) (٣٦٥/٥).

(٣) انظر: ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص٢٠٣-٢٠٨)، و((مجموع الفتاوى)) (٦٠/٣٦).

الشرح:

هذا تقريرٌ للكلام الأول، وزيادة تحذير أن يُتَكَلَّم في أصول الدِّين - بل وفي غيرها- بغير علم.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء:٣٦].

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۞ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [الحج:٨-٩].

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم: ((ما ضلَّ قومٌ بعد هدًى كانوا عليه؛ إلا أوتوا الجدل، (ثم تلا): ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ ﴾ [الزخرف:٥٨])). رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[(١)].

ولا شك أنَّ من لم يسلم للرسول؛ نقص توحيده؛ فإنَّه يقول برأيه وهواه، ويقلِّد ذا رأي وهوى بغير هدى من الله، فينقص من توحيده بقدر خروجه عما جاء به الرسول؛ فإنَّه قد اتَّخذه في ذلك إلهًا غير الله.

---

(١) رواه أحمد (٥/٢٥٢) (٢٢٢١٨)، والترمذي (٣٢٥٣)، وابن ماجه (٤٥)، والطبراني (٨/٢٧٧) (٨٠٦٧)، والحاكم (٢/٤٨٦). من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.
قال الترمذي: (حسن صحيح إنما نعرفه من حديث حجاج بن دينار وحجاج ثقة مقارب الحديث)، وصحح إسناده الحاكم، والألباني في ((صحيح سنن ابن ماجه)) (٤٥).

قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ﴾ [الفرقان:٤٣]؛ أي: عبد ما تهواه نفسه.

وإنَّما دخل الفساد في العالم من ثلاث فرق؛ كما قال عبد الله بن المبارك رحمة الله عليه:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ ... وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِدْمِانُهَا
وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ ... وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا
وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إِلَّا الْمُلُوكُ ... وَأَحْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا

فالملوك الجائرة يعترضون على الشريعة بالسياسات الجائرة، ويعارضونها بها، ويقدمونها على حكم الله ورسوله.

وأحبار السوء، وهم العلماء الخارجون عن الشريعة، بآرائهم وأقيستهم الفاسدة المتضمنة تحليل ما حرم الله ورسوله، وتحريم ما أباحه، واعتبار ما ألغاه، وإلغاء ما اعتبره، وإطلاق ما قيده، وتقييد ما أطلقه... ونحو ذلك.

والرهبان، وهم جهَّال المتصوفة، المعترضون على حقائق الإيمان والشرع بالأذواق والمواجيد والخيالات والكشوفات الباطلة الشيطانية، المتضمنة شرع دين لم يأذن به الله، وإبطال دينه الذي شرعه على لسان نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتعوُّض عن حقائق الإيمان بخدع الشيطان وحظوظ النفس.

فقال الأولون: إذا تعارضت السياسة والشرع؛ قدمنا السياسة!

وقال الآخرون: إذا تعارض العقل والنقل؛ قدمنا العقل.

وقال أصحاب الذوق: إذا تعارض الذوق والكشف وظاهر الشرع؛ قدمنا الذوق والكشف.

ومن المحال أن لا يحصل الشفاء والهدى والعلم واليقين من كتاب الله وكلام رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم، ويحصل من كلام المتحيرين؛ بل الواجب أن يجعل ما قاله الله ورسوله هو الأصل، ويتدبَّر معناه ويعقله، ويعرفَ برهانَهُ ودليله العقلي والخبري السمعي، ويعرفَ دلالته على هذا وهذا، ويجعل أقوال الناس التي توافقه وتخالفه متشابهة مجملة، فيقال لأصحابها: هذه الألفاظ تحتمل كذا وكذا، فإنْ أرادوا بها ما يوافق خبر الرسول؛ قُبِلَ، وإنْ أرادوا بها ما يخالفه؛ رُدَّ.

وسبب الإضلال: الإعراض عن تدبِّر كلام الله ورسوله، والاشتغال بكلام اليونان والآراء المختلفة، وإنَّما سمي هؤلاء أهل الكلام؛ لأنَّهم لم يفيدوا علمًا لم يكن معروفًا، وإنَّما أتوا بزيادة كلام قد لا يفيد. اهـ

وقال الطحاوي أيضًا:

(فَيَتَذَبْذَبُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالإِيمَانِ، وَالتَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ، وَالإِقْرَارِ وَالإِنْكَارِ، مُوَسْوَسًا تَائِهًا، شَاكًّا زَائِغًا؛ لَا مُؤْمِنًا مُصَدِّقًا، وَلَا جَاحِدًا مُكَذِّبًا)[(١)].

الشرح:

هذه الحالة حال كل مَن عَدَلَ عن الكتاب والسنة إلى علم الكلام المذموم، أو أرادَ أن يجمع بينه وبين الكتاب والسُّنَّة، وعند التعارض يتأوَّل

(١) انظر: ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص٢٠٨-٢١٠).

النصَّ ويردُّه إلى الرأي والآراء المختلفة، فيؤول أمرُه إلى الحيرة والضلال والشك.

قال أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي صنَّفه ((أقسام اللذات)): ((لقد تأمَّلتُ الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية؛ فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيتُ أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠]، وأقرأ في النفي: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى:١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه:١١٠])).

ثم قال: ((ومن جرَّب مثل تجربتي؛ عرف مثل معرفتي)).

وقال أبو المعالي الجويني: ((يا أصحابنا! لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أنَّ الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ؛ ما اشتغلت به)).

وقال عند موته: ((لقد خضتُ البحر الخضم، وخليت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت في الذي نهوني عنه، والآن؛ فإنْ لم يتداركني ربي برحمته؛ فالويل لابن الجويني، وها أنا ذا أموتُ على عقيدة أمي (أو قال: على عقيدة عجائز نيسابور))).

ومن يصل إلى مثل هذه الحالة، إنْ لم يتداركه الله برحمته، وإلا؛ تزندق.

قال الشافعي رحمه الله: ((حكمي في أهل الكلام: أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام)).

وقال: ((لقد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننت مسلمًا يقوله، ولأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه -ما خلا الشرك بالله- خيرٌ له من أن يبتلى بالكلام)). اهـ

وتجد أحد هؤلاء عند الموت يرجع إلى مذهب العجائز، فيقر بما أقروا، ويعرض عن تلك الدقائق المخالفة لذلك، التي كان يقطع بها، ثمَّ تبيَّن له فسادها، أو لم يتبين له صحتها، فيكونون في نهاياتهم -إذا سلموا من العذاب - بمنزلة أتباع أهل العلم من الصبيان والنساء والأعراب. اهـ

((انتهى الملحق بحمد الله وتوفيقه))

ملخص العقيدة الواسطيَّة(١)

اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ هُو:

١- الإِيمَانُ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، والإِيمَانِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

٢- والإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ.

٣- فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الْجَهْمِيَّةِ، وَبَيْنَ أَهْلِ التَّمْثِيلِ الْمُشَبِّهَةِ؛ وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللهِ بَيْنَ الْقَدَرِيَّةِ وَالْجَبْرِيَّةِ؛ وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللهِ بَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وَبَيْنَ الْوَعِيدِيَّةِ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ؛ وَفِي بَابِ الإِيمَانِ والدِّينِ بَيْنَ الْحَرُورِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَبَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ؛ وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بَيْنَ الرَّوَافِضِ وَبَيْنَ الْخَوَارِجِ.

٤- والإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ. ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةَ تَقُومُ الْقِيَامَةُ، وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَيُحَاسِبُ اللهُ الخَلْقَ، وَفِي عَرَصَةِ الْقِيَامَةِ الْحَوضُ الْمَوْرُودُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ.

---

(١) هذا الملخص استللته من متن العقيدة الواسطية بحروفه، ويشمل جميع مسائلها إجمالًا.

٥- وَأَوَّلُ مَن يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَوَّلُ مَن يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الأُمَمِ أُمَّتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَلَه فِي الْقِيَامَةِ ثَلاثُ شَفَاعَاتٍ.

٦- وَمِنْ أُصُولِ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ أَنَّ الدِّينَ وَالإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ. وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، ولا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ؛ كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ.

٧- وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ. وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الأَنْصَارِ. وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَأَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأمَّة بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ. وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ.

٨- وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ.

٩- ثُمَّ مِنْ طَرِيقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ.

١٠- ثُمَّ هُم مَّعَ هَذِهِ الأُصُولِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَونَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَالْجُمَعِ وَالأَعْيَادِ مَعَ الأُمَرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا، وَيُحَافِظُونَ عَلَى الْجَمَاعَاتِ. وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلأُمَّةِ، وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الأَخْلَاقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا.

الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث والآثار.
- فهرس الفرق.
- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- فهرس المفردات.
- قائمة المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة:		
مالك يوم الدين	٤	٨١
الحمد لله رب العالمين	٢	١٠٥، ١٨٠
سورة البقرة:		
فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون	٢٢	١٠٠، ١٥٥
وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله	٧٥	١٧٨
ولن يتمنوه أبدًا	٩٥	١٨٣
ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة	١٢٣	٢٣٩
ويعلمهم الكتاب والحكمة	١٢٩	١٨٧
وكذلك جعلناكم أمةً وسطًا	١٤٣	٢٠٦
قد نرى تقلب وجهك في السماء	١٤٤	٢١٧، ٢١٩
ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا	١٦٥	١٥٥
وما هم بخارجين من النار	١٦٧	٣١٧
ولا يكلمهم الله	١٧٤	١٩٧
ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق	١٧٦	٢٩٠

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
فمن عُفي له من أخيه شيءٌ فاتباع بالمعروف	١٧٨	٢٥٧
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر	١٨٥	١٢٧
وإذا سألك عبادي عني فإني قريب	١٨٦	٢١٩
وأحسنوا إن الله يحب المحسنين	١٩٥	١٢٨
هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام	٢١٠	١٣٨، ٢٢٣
إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين	٢٢٢	١٢٨
كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة	٢٤٩	١٧١
ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد	٢٥٣	١٢٥
منهم من كلم الله	٢٥٣	١٧٤
الله لا إله إلا هو الحي القيوم	٢٥٥	١١١، ٢٣٨
الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات	٢٥٧	٣٩٣
سورة آل عمران:		
إنَّ الدِّين عند الله الإسلام	١٩	٢٩١
قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله	٣١	١٢٨
أعدت للمتقين	٣٣	٣١٤
أنى لك هذا	٣٧	٢٧٦
ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين	٥٤	١٤٩

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي	٥٥	١٦٨
ولا يكلمهم الله	٧٧	١٩٧
واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا	١٠٣	٢٨٩
ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا	١٠٥	٢٩٠
واتقوا النار التي أعدت للكافرين	١٣١	٣١٤
لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير	١٨١	١٤٧
سورة النساء:		
إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن	٤٨، ١١٦	١٣٧، ٢١٢
إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعًا بصيرًا	٥٨	١٢٤
فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول	٥٩	٥
أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم	٥٩	٣٠٣، ٣٠٤
فلا وربك لا يؤمنون حتى	٦٥	٢٩٩
ومن أصدق من الله حديثًا	٨٧	١٧٣
فتحرير رقبة مؤمنة	٩٢	٢٥٩
ومن يقتل مؤمنًا متعمّدًا فجزاؤه جهنم	٩٣	١٣٥
وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة	١١٣	١٨٧

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
ومن أصدق من الله قيلًا	١٢٢	١٧٣
إن تبدوا خيرًا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء	١٤٩	١٥١
بل رفعه الله إليه	١٥٨	١٦٨
وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به	١٥٩	٣١٢
وكلم الله موسى تكليمًا	١٦٤	١٧٤، ١٧٧
ورسلًا قد قصصناهم عليك من قبل	١٦٤	٩٢
خالدين فيها أبدًا	١٦٩	٣١٧
سورة المائدة:		
أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم	١	١٢٦
ولهم عذاب مقيم	٣٧	٣١٧
أفحكم الجاهلية يبغون	٥٠	٢٩٨
فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه	٥٤	١٢٨
إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ...	٥٥، ٥٦	٢٩٤
وقالت اليهود يد الله مغلولة	٦٤	١٤٢
وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم	١١٦	١٧٣
رضي الله عنهم ورضوا عنه	١١٩	١٣٥
سورة الأنعام:		

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا	٥٣	٣١٩
كتب ربكم على نفسه الرحمة	٥٤	١٣٢، ١٣٤
وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو	٥٩	١١٨
وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار	٦٠	١٦٩
وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات	٨٣-٨٦	٩٢
وهذا كتاب أنزلناه مبارك	٩٢، ١٥٥	١٧٨
لا تدركه الأبصار	١٠٣	١٨١، ١٨٢
ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون	١٠٨	٢٣٢
وتمت كلمة ربك صدقًا وعدلًا	١١٥	١٧٤
وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن	١٢٤	٣١٩
فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام	١٢٥	٨١، ١٢٦
وكذلك نولي بعض الظالمين بعضًا	١٢٩	٣٠٥
وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه	١٥٣	١٠٦، ٢٣٥
هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك	١٥٨	١٣٨
إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا	١٥٩	٢٩٠
سورة الأعراف:		
وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة	٢٢	١٧٤

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن	٣٣	١٥٦
أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب	٣٧	٢٣٢
إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض	٥٤	١٦٤
لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر	١٤٣	١٧٤
ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه	١٤٣	١٧٧، ١٨١
فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة	١٥٦	١٣٤
ورحمتي وسعت كل شيء	١٥٦	١٣٢
وإذ أخذ ربك من بني آدم	١٧٢	٣٠٤
ولقد ذرأنا لجهنم كثيرًا من الجن	١٧٩	٣١٥
سورة الأنفال:		
إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم	٢	٢٥٧
واصبروا إن الله مع الصابرين	٤٦	١٧١
سورة التوبة:		
وإن أحد من المشركين استجارك فأجره	٦	١٧٨
فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم	٧	١٢٨
والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض	٧١	٢٩١
الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله	٢٠	٢٦١

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
لا تحزن إن الله معنا	٤٠	١٧١
ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم	٤٦	١٣٥
ورضوان من الله أكبر	٧٢	١٣٦
رضي الله عنهم ورضوا عنه	١٠٠	١٣٥
وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم	١٠٣	٨٦
وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون	١٠٥	١٤٧
سورة يونس:		
إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض	٣	١٦٤
للذين أحسنوا الحسنى وزيادة	٢٦	١٨١
وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن	٦١	٢٠٢
ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ...	٦٢-٦٤	٢٩٣، ٢٩٤
وهو الغفور الرحيم	١٠٧	١٣٢
سورة هود:		
باسم الله مجريها	٤١	٧٤
وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين	١٠٨	٣١٥
إن أخذه أليم شديد	١٠٢	١٥٠
ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ...	١١٨، ١١٩	٢٩٠

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
لأملأن جهنم من الجنة والناس	١١٩	١٩٦
سورة يوسف:		
فالله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين	٦٤	١٣٢
سورة الرعد:		
الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها	٢	١٦٤
وهو شديد المحال	١٣	١٤٩
أكلها دائم وظلها	٣٥	٣١٥
سورة إبراهيم:		
وهو العزيز الحكيم	٤	١٥٣
مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد	١٨	٢٣٣
سورة الحجر:		
وما هم منها بمخرجين	٤٨	٣١٥
ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون	٥٦	١٩٥
سورة النحل:		
وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم	٤٤	١٨٨
ولله المثل الأعلى	٦٠	١٠٥
فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا	٧٤	١٥٦

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
تعلمون		
وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم ...	١٠١- ١٠٣	١٧٨
إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون	١٢٨	١٧١
سورة الإسراء:		
سبحن الذي أسرى بعبده ليلاً	١	٣٠٩
إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم	٩	٨١
وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ...	١٣، ١٤	٢٢٨
وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون	٤٤	١٥٩
إن قرآن الفجر كان مشهودًا	٧٨	١٨٠
ولا تقف ما ليس لك به علم	٣٦	٣٢٠
عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا	٧٩	٢٣٩
وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا	١١١	١٥٥، ٢٩٤
سورة الكهف:		
واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك	٢٧	١٧٨
ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله	٣٩	١٢٥
ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين	٤٩	٢٣١
سورة مريم:		

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وناديناه من جنب الطور الأيمن وقربناه نجيًّا	٥٢	١٧٤
رب السموات ورب الأرض وما بينهما	٦٥	١٠٤
فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً	٦٥	١٥٥
هل تعلم له سميًّا	٦٥	١٠٠
سورة طه:		
الرحمن على العرش استوى	٥	١٦٤، ١٦٥، ٣٢٣
إني أنا ربك	١٢	١٧٧
وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني	٣٩	١٤٥
إنني معكما أسمع وأرى	٤٦	١٤٧، ١٧١
ولأصلبنكم في جذوع النخل	٧١	١٧١، ١٩٩
ولا يحيطون به علمًا	١١٠	٣٢٣
ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن	١١٢	٣١٧
سورة الأنبياء:		
ونضع الموازين القسط ليوم القيامة	٤٧	٢٣١
سورة الحج:		
وبئر معطلة	٤٥	٩٥

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
ولينصرن الله من ينصره ...	٤٠، ٤١	٣٠٠
ومن الناس من يجادل في الله ...	٨، ٩	٣٢٠
ألم تعلموا أن الله يعلم ما في السموات والأرض	٧٠	٢٤٣
سورة المؤمنون:		
سبحان الله عما يصفون	٩١	١٠٤
ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ...	٩١، ٩٢	١٥٦
فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ...	١٠٢، ١٠٣	٢٢٨
أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا ترجعون	١١٥	٢٤١
سورة النور:		
وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم	٢٢	١٥١
سورة الفرقان:		
أرأيت من اتخذ إلهه هواه	٤٣	٣٢١
تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ...	١، ٢	١٥٦
وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورًا	٢٣	٢٣٣
ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً	٢٥	١٣٩
وتوكل على الحي الذي لا يموت	٥٨	١١١
ثم استوى على العرش الرحمن	٥٩	١٦٥

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الشعراء:		
وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين	١٠	١٧٤
فما لنا من شافعين	١٠٠	٢٣٩
الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين	٢١٨-٢٢٠	١٤٧
سورة النمل:		
وإذا وقع القول عليهم أخرجنا	٨٢	٣١٢
ومكروا مكرًا ومكرنا مكرًا وهم لا يشعرون	٥٠	١٤٩
إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل	٧٦	١٧٨
سورة القصص:		
إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء	٥٦	٨١
ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين	٦٥	١٧٤
كل شيء هالك إلا وجهه	٨٨	١٤٠
له الحمد في الأولى والآخرة	٧٠	٣٠١
سورة لقمان:		
إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث	٣٤	١٢٠
سورة السجدة:		

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما	٤	١٦٥
سورة الأحزاب:		
وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح	٧	٩٢
وكان الله قويًّا عزيزًا	٢٥	١٥٣
واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة	٣٤	١٨٧
وكان بالمؤمنين رحيمًا	٤٣	٧٦، ١٣٢
سورة سبأ:		
وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج في الأرض	١-٢	١١٨
سورة فاطر:		
إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه	١٠	١٦٨، ٣٢٣
وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه	١١	١١٨
ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا	٣٢	٢٥٤
لا يقضى عليهم فيموتوا	٣٦	٣١٧
سورة يس:		
قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا	٥٢	٢٣٠
إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون	٨٢	١٢٦
سورة الصافات:		

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
بل عجبت ويسخرون	١٢	١٩٤
والله خلقكم وما تعملون	٩٦	٢١٠، ٢٤٨
سبحان الله عما يصفون	١٥٩	١٠٤
سبحان ربك رب العزة عما يصفون ...	١٨٠-١٨٢	١٠٣
سورة ص:		
إنا سخرنا معه الجبال يسبحن بالعشي ...	١٨-١٩	١٥٩
أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين	٢٨	٢٤٢
ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي	٧٥	١٤٢
فبعزتك لأغوينهم أجمعين	٨٢، ٨٣	١٥٣، ١٥٤
سورة غافر:		
ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلمًا	٧	١٣٢
يا هامان ابن لي صرحًا لعلي أبلغ الأسباب ...	٣٦-٣٧	١٦٨
النار يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا	٤٦	٢٢٧
سورة فصلت:		
وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى	١٧	٨١
وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه	٤٧	١١٨
سورة الشورى:		

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
ليس كمثله شيء وهو السميع البصير	١١	٩٧، ١٠٤، ١٢٤، ٣٢٣
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا	١٣	٩٢
وهو الذي يقبل التوبة عن عباده	٢٥	١٥٢
وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم	٣٠	٣٠٣، ٣١٨
وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم	٥٢	٨١
سورة الزخرف:		
فلما آسفونا انتقمنا منهم	٥٥	١٣٥
لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون	٧٥	٣١٧
ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك	٧٧	١٨٣
أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم	٨٠	١٤٧
سورة الدخان:		
لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى	٥٦	٣١٦
سورة الأحقاف:		
وهو الغفور الرحيم	٨	١٣٢
وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن	٢٩	١٦٠
سورة محمد:		

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا	١١	٣٩٣
ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه	٢٨	١٣٥
سورة الفتح:		
يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا	١٥	١٧٨
لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك	١٨	٢٦٤
هو الذي أرسل رسوله بالهدى	٢٨	٣٠١
سورة الحجرات:		
وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا	٩	٢٥٦
وأقسطوا إن الله يحب المقسطين	٩	١٢٨، ٢٥٧
إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم	١٠	٢٥٧
إن أكرمكم عند الله أتقاكم	١٣	٢٩٥
قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا	١٤	٢٥٩
سورة ق:		
والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقًا للعباد	١٠	١٢٢
ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس	١٦	٢٢٠
لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد	٣٥	١٨١
سورة الذاريات:		

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وفي السماء رزقكم وما توعدون	٢٢	١٢٢
وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون	٥٦	٨٥
إن الله هو الرزاق ذو القوّة المتين	٥٨	١٢٢
سورة الطور:		
واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا	٤٨	١٤٥
سورة النجم:		
ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى	١٣-١٥	٣١٤
وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم	٢٦	٢٣٩
سورة القمر:		
وحملناه على ذات ألواح ودُسُر ...	١٣، ١٤	١٤٥
سورة الرحمن:		
الرحمن علم القرءان	١-٢	٧٧
ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام	٢٧	١٤٠
تبارك اسم ربك ذو الجلال والإكرام	٧٨	١٥٥
سورة الواقعة:		
إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون	٧٧، ٧٨	١٨٠
سورة الحديد:		

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
هو الأول والآخر والظاهر والباطن	٣	١١٥
هو الذي خلق السموات والأرض	٤	١٦٥، ١٧١، ٢١٦
أعدت للذين آمنوا بالله ورسله	٢١	٣١٤
لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح	١٠	٢٦١
ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم	٢٢	٩٤، ٢٤٣
سورة المجادلة:		
قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها	١	١٤٦
ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم	٧	١٧١
رضي الله عنهم ورضوا عنه	٢٢	١٣٥
سورة الحشر:		
وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا	٧	١٨٧
للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم	٨	٢٦٣
والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا	١٠	٢٦٠
لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعًا	٢١	١٧٨
سورة الممتحنة:		
يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء	١	٢٥٩

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الصف:		
كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون	٣	١٣٥
إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًّا	٤	١٢٨، ٢٩٧
سورة المنافقون:		
نشهد إنك لرسول الله	١	٨٣
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين	٨	١٥٣
سورة التغابن:		
يسبح لله ما في السموات وما في الأرض	١	١٥٦
سورة الطلاق:		
لتعلموا أن الله على كل شيء قدير	١٢	١١٨
ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه	٢، ٣	٢٩٥
سورة التحريم:		
وهو العليم الحكيم	٢	١١٨
إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما	٤	١٤٣
سورة الملك:		
ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير	١٤	١٢١

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض	١٦-١٧	١٦٨، ١٩٩
سورة نوح:		
مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارًا	٢٥	٢٢٧
سورة المدثر:		
فما تنفعهم شفاعة الشافعين	٤٨	٢٣٩
سورة القيامة:		
وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة	٢٢، ٢٣	١٨١
أيحسب الإنسان أن يترك سدًى	٣٦	٢٤١
سورة الإنسان:		
إنا هديناه السبيل إما شاكرًا وإما كفورًا	٣	٨١
سورة النبأ:		
إن جهنم كانت مرصادًا ...	٢١، ٢٢	٣١٤
سورة عبس:		
في صحف مكرمة ❖ مرفوعة مطهرة ❖ بأيدي سفرة	١٣-١٦	١٨٠
سورة التكوير:		
لمن شاء منكم أن يستقيم ...	٢٨-٢٩	٢٤٨، ٢٤٩
سورة المطففين:		

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون	١٥	١٨٢
على الأرائك ينظرون	٢٣، ٣٥	١٨١
سورة الانشقاق:		
فسوف يحاسب حسابا يسيراً	٨	٢٣٢
سورة البروج:		
إن بطش ربك لشديد	١٢	١٥٠
وهو الغفور الودود	١٤	١٣٢
بل هو قرآن مجيد ❖ في لوح محفوظ	٢١-٢٢	١٨٠
سورة الطارق:		
إنهم يكيدون كيدًا وأكيد كيدًا	١٥	١٤٩
سورة الأعلى:		
سبح اسم ربك الأعلى	١	٧٥
سورة الفجر:		
كلا إذا دكت الأرض دكًّا دكًّا	٢١-٢٢	١٣٨
سورة الشرح:		
ورفعنا لك ذكرك	٤	٨٥
سورة العلق:		

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
اقرأ باسم ربك	١	٧٤
أرءيت الذي ينهى ...	٩-١٤	١٤٩
ألم يعلم بأن الله يرى	١٤	١٤٧
سورة البينة:		
رضي الله عنهم ورضوا عنه	٨	١٣٥
سورة الإخلاص:		
قل هو الله أحد	١-٤	١٠٧
لم يلد ولم يولد ...	٣-٤	١١٠
ولم يكن له كفوًا أحد	٤	١٠٠، ١٥٥

فهرس الأحاديث والآثار

طـرف الحـديث أو الأثر	رقم الصفحة
آتي باب الجنة يوم القيامة	٢٣٧
أتى علي بزنادقة فأحرقهم	٢١٥
إذا رأيت الله يعطي العبد	١٥٠
إذا قام أحدكم إلى الصلاة	٢٠١
إذا لم تستحي فاصنع ما شئت	٣٦
أذكركم الله في أهل بيتي	٢٦٧
أسألك بكل اسم هو لك	١٠٦
الاستواء معلوم والكيف مجهول (أم سلمة)، (مالك)	٩٦، ١٦٦
اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم	٢٦١
أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له	١٤٢
أعوذ بعزة الله وقدرته	١٥٤
أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك	٢٠١
أقرأني رسول الله: إنِّي أنا الرزاق	١٢٣
أقسم ليخرجن رسول الله	١٥٣
أكمل المؤمنين إيمانًا	٢٧٩
ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه	١٨٧

طـرف الحـديث أو الأثر	رقم الصفحة
ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء؟	١٩٨
الله ذو الإلهية والعبودية (ابن عباس)	٧٥
اللهم رب السموات السبع	١١٦، ٢٠١
اللهم رب هذه الدعوة	٢٣٩
أما من كان من أهل السعادة	٢٥٠
أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا	٨٣
أنا أكثر الأنبياء تبعًا	٢٣٧
أنا سيد ولد آدم يوم القيامة	٢٣٧
إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم	٢١٩
إن الله إذا أحب عبدًا	١٣٠
إن الله أخذ الميثاق من ظهر	٣٠٧
إن الله اصطفى بني إسماعيل	٢٦٨
إن الله خلق ثلاثة أشياء بيده	١٤٢
إن الله خلق للجنة أهلًا	٣١٧
إن الله كتب الإحسان	١٣٠
إن الله لا يخفى عليكم	٣١٢
إن الله لما خلق الخلق كتب	١٣٤

طـرف الحـديث أو الأثر	رقم الصفحة
إن الله نظر في قلوب العباد (ابن مسعود)	٦
إن أهل الكتابين	٢٩١
إن أول الآيات خروجًا	٣١٣
إن أول الخلائق يكسى يوم القيامة	٢٣٠
إن أول ما خلق الله القلم	٢٤٤
أن تؤمن بالله وملائكته (حديث جبريل الطويل)	٩٠
أن تعبد الله كأنك تراه (حديث جبريل الطويل)	١٧٣
إن خلق أحدكم يجمع	٢٤٦
إن خليلي أوصاني أن أسمع	٣٠٤
إن ربنا سميع بصير	١٢٥
أن قومًا ادعوا أنهم يحبون الله	١٣٢
إن لكل نبي حوضًا	٢٣٤
إن من خياركم أحسنكم خلقاً	٢٨٠
إن هذه الآية من آخر ما نزل (ابن عباس)	١٣٨
إن يمين الله ملأى	١٤٤
إنكم سترون ربكم	٢٠٤
أنهم لم يفارقوني في جاهلية ولا إسلام	٢٦٨

طرف الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
أول ما خلق الله القلم	٩٣
الإيمان بضع وسبعون شعبة	٢٥٦
أي آية في كتاب الله أعظم؟	١١١
أين الله؟ قالت: في السماء	١٦٧، ١٩٩
أيها الناس أربعوا	٢٠٢
بل هو من أهل الجنة -يعني: ثابت بن قيس-	٢٦٤
بينما أيوب عليه السلام يغتسل	١٥٤
تعدل ثلث القرآن	١٠٨
تفسير الزيادة بالنظر	١٨٢
تفسير الكرسي بالعلم	١١٤
تفسير المتين بالشديد	١٢٣
ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان	٢٩٦
ثم انطلق بي جبرائيل	٣١٥
حتى يحبوكم لله ولقرابتي	٢٦٧
حجابه النور أو النار لو كشفه	١٤٢
الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات	١٤٨
خيار أئمتكم الذين تحبونهم	٣٠٤

طرف الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر	٢٦٦
الدين النصيحة	٢٨١
ربنا الله الذي في السماء	١٩٨
سبب نزول سورة الإخلاص	١٠٧
سبحانك لا نحصي ثناء عليك	١٠٦
سبقك بها عكاشة	٢٦٤
سترتها عليك في الدنيا	٢٣٣
ستفترق هذه الأمة	٨٩
شديد الحول (ابن عباس)، شديد القوة (مجاهد)	١٥٠
الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف	٢٣٦
صلاة الله على رسوله ثناؤه عليه (أبو العالية)	٨٦
الصمد: السيد الذي كمل سؤدده (ابن عباس)	١٠٩
الصمد: الذي لا جوف له (مجاهد والحسن والضحاك)	١١٠
الصمد: الذي تصمد إليه الخليقة (إبراهيم النخعي)	١١٠
صلوا خلف كل بر وفاجر	٢٨٢
ضحك ربنا من قنوط عباده	١٩٣
عجب الله من قوم يدخلون الجنة	١٩٤

طـرف الحـديث أو الأثر	رقم الصفحة
عجب ربك من شاب ليس له	١٩٣
عجب ربنا من قنوط عباده	١٩٣
العرش فوق الماء والله فوق العرش (ابن مسعود)	١٩٨
على المرء المسلم السمع والطاعة	٣٠٤
عليكم بسنتي وسنة الخلفاء	٢٧٧
فوضع إبهامه على أذنه	١٢٥
فضل عائشة على النساء كفضل	٢٦٨
القبر إما روضة من رياض الجنة	٢٢٨
قد عجب الله من صنيعكما	١٩٤
قدر الله مقادير الخلائق	٢٤٤
القدرية مجوس هذه الأمة	٢٥١
فيعرج الذين باتوا فيكم	١٦٩
كان في عماء	١٦٧
كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله	٧٨
كما يدين الفتى يدان	٨١
لا أذكر إلا ذكرت معي	٨٥
لا تحزن إن الله معنا	١٧٢

طـرف الحـديث أو الأثر	رقم الصفحة
لا تزال جهنم يلقى فيها	١٩٦
لا تزال طائفة من أمتي على الحق	٨٨، ٢٨٣
لا تسبوا أصحابي	٢٦٠
لا تطروني كما أطرت النصارى	٨٦
لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس	٣١٣
لا فضل لعربي على عجمي	٢٩٥
لا يحل دم امرئ مسلم	٣٠٣
لا يدخل النار -إن شاء الله-	٢٦١
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن	٢٥٨
لعله تنفعه شفاعتي. يعني: أبا طالب	٢٤٠
لقد عجب الله من فلان وفلانة	١٩٤
لله أشد فرحًا بتوبة عبده	١٩١
لما رأيت الأمر أمرًا منكرًا	٢١٥
لو كنت أنا لم أحرقهم (ابن عباس)	٢١٥
ليهنك العلم أبا المنذر	١١١
ما أراك إلا قد حرمتِ عليه	١٤٨
ما تذاكرون؟	٣١١

طرف الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
ما حكم قوم بغير ما أنزل الله	٢٩٩
ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول	٢٦٥
ما السموات السبع والأرضون	٢١٨
ما شاء الله كان وما لم يشأ	١٢٦، ١٥٢
ما ضل قوم بعد هدًى كانوا عليه	٣٢٠
ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى علمنا	٢٦٦
ما من عبد إلا سيكلمه الله	١٧٨
ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه	١٩٧
مثل المؤمنين في توادهم	٢٧٩
مثلًا أو شبيهًا	١٥٧
مفاتيح الغيب خمس	١٢٠
من أطاعني فقد أطاع الله	٣٠٤
من الله الرسالة ومن الرسول البلاغ	٣١٩
من بدَّل دينه فاقتلوه	٢١٥
من رأى منكم منكرًا فليغيِّره	٢٨١
من كان مستناً فليستن بمن قد مات (ابن عمر)	٧
من مات فقد قامت قيامته	٢٢٩

طـرف الحـديث أو الأثر	رقم الصفحة
من نوقش الحساب عذب	٢٣٢
من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس	٣١٦
من يكفر بالله يلقَ الغِيَر	١٩٥
المؤمن للمؤمن كالبنيان	٢٨٠
نحن الأمراء وأنتم الوزراء (أبو بكر)	٢٦٣
نحن المهاجرون وأول الناس (أبو بكر).	٢٦٣
نزلت في شأن أبي جهل	١٤٩
نزلت في شأن عيسى عليه السلام	١٥١
هم من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي	٢٨٢
هما اسمان رقيقان ـ يعني: الرحمن والرحيم ـ (ابن عباس)	٧٦
والله إني لأحب أن يغفر الله لي (أبو بكر)	١٥٣
والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة	١٤٨
والذي نفسي بيده إن لها لسانًا وشفتين	١١٢
والذي نفسي بيده؛ إنها لتعدل	١٠٨
والذي نفسي بيده؛ ليوشكن أن ينزل	١٦٩، ٣١٢
والذي نفسي بيده؛ لا يدخل	٢٦٧
والذي نفسي بيده؛ لا يؤمنون حتى يحبوكم	٢٦٧

طـرف الحـديث أو الأثر	رقم الصفحة
وعزتي وكبريائي وعظمتي	١٥٣
وما يدريك يا عمر؟	٢٦٣
والملائكة يصلون على أحدكم ما دام	٨٧
يا أهل الجنة خلود فلا موت	٣١٦
يأيها الناس! أربعوا على أنفسكم	١٤٧
يبعث الله لهذه الأمة	٢٨٤
يتعاقبون فيكم ملائكة	٢٠٥
يجمع الله الناس	٢٤٠
يخرج قوم من النار	٢٤١
يدرس الإسلام كما يدرس	٢٢٢
يدعى نوح يوم القيامة	٢٠٧
يصلون لكم فإن أصابوا فلكم	٢٨٢
يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر	١٩٢
يقال للرجل من أهل النار	٣٠٧
يقول الله تعالى: يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك	١٩٧
ينادي منادٍ: يا أهل الجنة! إن لكم	٣١٦
ينزل ربنا إلى السماء الدنيا	١٨٩

فهرس الفرق

الفرقة	الصفحة
الأشاعرة	١٢٥
الجبرية	٢٠٨
الجهمية	٢٠٨
الحرورية	٢١٣
الحلولية	٢١٩
الخوارج = الحرورية	٢١٣
الرافضة	٢١٥
الزيدية	٢٧٢
الفلاسفة	١٢١
القدرية	١٢٢
الكرَّامية	١٧٥
الكُلَّابية	١٧٤
المرجئة	٢١١
مرجئة الفقهاء	٢٥٤
المشبهة	٢٠٨
المعتزلة	١٢٠
المفوضة	٩٦
النواصب	٢٧٠
الوعيدية	٢١١

فهرس الأعلام المترجم لهم

العَلَم	الصفحة
أبو العباس بن سريج	١٠٨
بشر المريسي	١٢١
الرازي – فخر الدين	١٨٨
زيد بن علي	٢٧٢
الزمخشري ـ محمود بن عمر	١٣٩
عبد العزيز المكي	١٢١
الغزالي – أبو حامد	١٨٨
غيلان الدمشقي	٢٤٦
الكوثري – محمد زاهد	١٣٩
معبد الجهني	٢٤٦
نعيم بن حماد	٩٩

فهرس المفردات

الكلمة	الصفحة	الكلمة	الصفحة
الأبدال	٢٨٣	التمثيل و التكييف	٩٦
الإرادة الكونية والشرعية	١٢٦-	الجماعة	٩٠
الإرجاء	٢١١	جنس العمل	٢٥٤
الإحسان	١٣٠	الحمد	٧٨
الأسف والانتقام	١٣٨	دروس	٨
الأسماء والأحكام	٢١٣	الدستور	٩٧
الاعتقاد	٨٨	الرسول والنبي	٨٠
الإقساط	١٣١	الرسول	٨٧
آل بيت النبي	٨٧	السمي	١٥٦
الإلحاد	٩٨	السُّنَّة	٩٠
الإيمان والإيمان المطلق	٢٥٣	الشفاعة	٢٣٨
البسملة	٧٤	الشكر	٧٩
البعث	٩٣	الشهيد و الشهادة	٨٢، ٨٣
التبارك	١٥٩	الصحب	٨٧
التحريف و التعطيل	٩٤، ٩٥	صفات السلوب	١٥٦
التسبيح	١٠٣	الصفات الذاتية والفعلية	١٨٥

الكلمة	الصفحة	الكلمة	الصفحة
التفويض	٩٥	الصلاة	٨٦
الصمد	١٠٩	الكرسي	١١٤
العبادة	٨٥	الكشف و المكاشفة	٣٢٢
العزة	١٥٤	لا سمي له	١٠٠
العفو	١٥٢	اللعن	١٣٧
عمل القلب	٢٥٣	المدح	٧٩
الغزل	٢٣٠	المرزبة	٢٢٨
الفاسق المِلِّي	٢٥٨	مطلق الإيمان	٢٥٩
الفرقة	٨٨	الملائكة	٩١
الفلسفة	٢٧٦	المواضع	٩٨
قاعدة الكمال	١٠١	الميثاق	٣٠٧
القدر	٩٣	الند	١٥٧
قول القلب	٢٥٣	الوسطية	٢٠٧
قياس الأولى والتمثيل	١٠١	الولي	٢٧٥
القيوم	١١٢	يحبونهم كحب الله	١٥٨
الكتب	٩١		
الكرامات	٢٧٦		

قائمة المصادر والمراجع

١. الإبانة

لعبدالرحمن بن بطة، تحقيق: رضا بن نعسان معطي، الناشر: دار الراية، الرياض، ١٤٠٩هـ

٢. الإتقان في علوم القرآن.

لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، وبهامشه إعجاز القرآن للباقلاني، الناشر: مصطفى البابي الحلبي، الطبعة: الرابعة، ١٣٩٨هـ.

٣. الأجوبة المرضية

لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: محمد إسحاق محمد إبراهيم، الناشر: دار الراية، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

٤. أحكام أهل الذمة

لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: صبحي الصالح، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣م

٥. أحكام القرآن.

لمحمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ.

٦. الإحكام في أصول الأحكام.

لعلي بن أحمد بن حزم، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة: بدون.

٧. الأذكار.

ليحيى بن شرف النووي، الناشر: مكتبة المؤيد، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

٨. الأسماء والصفات.

لأحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: زاهد الكوثري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

٩. إعلام الموقعين.

لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

١٠. الأعلام.

لخير الدين الزركلي، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الخامسة، ١٩٨٠م.

١١. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان

لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٧هـ.

١٢. اقتضاء الصراط المستقيم.

لأحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق: ناصر العقل، الناشر: مكتبة الرشد، الطبعة: الثالثة، ١٤١٣هـ.

١٣. الأمالي المطلقة

لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت ١٤١٦هـ

١٤. الإيمان.

لمحمد بن إسحق بن منده، تحقيق: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٦هـ

١٥. البحر الزخار

لأحمد بن عمرو البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، الناشر: مكتبة العلوم والحكم،

المدينة المنورة، ١٤١٥هـ

١٦. بدائع الفوائد.

لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الفكر، بيروت.

١٧. البداية والنهاية.

لإسماعيل بن عمر بن كثير، الناشر: مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٠م.

١٨. البدور السافرة

لعبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: أبو محمد المصري، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١١هـ

١٩. البعث.

لأبي بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: أبي إسحاق الحويني الأثري، دار الكتاب العربي، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

٢٠. التاريخ الأوسط.

لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، الناشر: دار الوعي، مكتبة دار التراث، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.

٢١. تاريخ دمشق.

لعلي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر ، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٢٢. التاريخ الصغير

لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، الناشر: دار الوعي، حلب، ١٣٩٧هـ

٢٣. تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك).

لمحمد بن جرير الطبري، الناشر: دار التراث، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٨٧هـ.

٢٤. التاريخ الكبير.

لمحمد بن إسماعيل البخاري، الناشر: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن.

٢٥. تاريخ واسط.

لأسلم بن سهل الواسطي المعروف ببحشل، تحقيق كوركيس عواد، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى.

٢٦. تحذير الساجد

لمحمد بن ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٢هـ

٢٧. تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة).

لمحمد بن عبد اللواتي المعروف بابن بطوطة، تحقيق الدكتور علي المنتصر الكتاني، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٥هـ.

٢٨. تحفة النبلاء

لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: غنيم عباس غنيم، الناشر: مكتبة الصحابة، ١٤١٩هـ

٢٩. تخريج الكشاف

لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ

٣٠. التخويف من النار

لعبدالرحمن بن رجب الحنبلي، تحقيق: بشير محمد عيون، الناشر: مكتبة المؤيد، ١٤٠٩هـ

٣١. تغليق التعليق على صحيح البخاري.

لأحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: سعيد عبد الرحمن القزقي، الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

٣٢. تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة.

لعبد العزيز بن عبدالله الحميدي، الناشر: جامعة أم القرى بمكة.

٣٣. **تفسير القرآن العظيم.**

لإسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق مقبل بن هادي الوادعي، الناشر: دار الأرقم، الكويت، المجلد الأول، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

٣٤. **تفسير القرآن العظيم.**

لإسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: محمد إبراهيم البناء، وعبدالعزيز غنيم، ومحمد أحمد عاشور، الناشر: دار الشعب، القاهرة.

٣٥. **تفسير القرآن (ابن أبي حاتم)**

لعبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا.

٣٦. **تقريب التهذيب.**

لأحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٣٧. **تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير.**

لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، اعتناء عبد الله هاشم المدني، المدينة، ١٣٨٤هـ.

٣٨. **التنبيهات اللطيفة على العقيدة الواسطية.**

لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، إشراف: عبد الرحمن الرويد وسليمان بن حماد، الطبعة: الأولى.

٣٩. **التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل.**

لعبد الرحمن بن يحيى المعلِّمي، تخريج وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، وزهير الشاويش، وعبد الرزاق حمزة، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٤٠. **توالي التأسيس**

لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبدالله القاضي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ

٤١. **التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل.**

لمحمد بن إسحاق ابن خزيمة، تحقيق: عبد العزيز الشهوان، الناشر: دار الرشد بالرياض، الطبعة: الأولى.

٤٢. **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**

لعمر بن علي ابن الملقن، تحقيق: خالد الرباط وجمعة فتحي، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٩هـ

٤٣. **الثقات.**

لمحمد بن حبان البستي، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الأولى، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

٤٤. **جامع بيان العلم وفضله.**

ليوسف بن عبد البر القرطبي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، الناشر: مؤسسة الريان، دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ.

٤٥. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري).**

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، الناشر: دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٤٦. **جامع البيان عن تأويل القرآن.**

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر، وتخريج أحمد شاكر، مصر.

٤٧. **جامع الترمذي.**

لمحمد بن عيسى الترمذي، تصحيح عبد الوهَّاب عبد اللطيف، الناشر: دار إحياء التراث، بيروت.

٤٨. الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية

محمد عزيز شمس وعلي بن محمد العمران، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ١٩٩٥م

٤٩. الجامع لشعب الإيمان.

لأحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد العلي حامد، الناشر: الدار السلفية بالهند، الطبعة: الأولى.

٥٠. جلاء العينين في محاكمة الأحمدين.

لنعمان الألوسي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

٥١. حادي الأرواح

لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: الجميلي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٠هـ

٥٢. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.

لأبي نعيم أحمد الأصفهاني، الناشر: دار الفكر، بيروت.

٥٣. الحيدة

لعبدالعزيز بن يحيى الكناني، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠٥هـ

٥٤. درء تعارض العقل والنقل.

لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤١١هـ.

٥٥. الدر المنثور.

لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.

٥٦. الدرر الكامنة

لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الناشر: دار الجيل.

٥٧. **الدعاء**

لسليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: محمد سعيد بن محمد حسن البخاري، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٥٨. **دقائق التفسير**

لأحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد السيد الجليد، الناشر: مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ١٤٠٤هـ

٥٩. **دلائل النبوة.**

لأحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٦٠. **الذيل على طبقات الحنابلة.**

لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب، الناشر: دار المعرفة، بيروت.

٦١. **الرحلة رحلة ابن بطوطة المسماة (تحفة النظار في غرائب الأمصار)**

لمحمد بن عبدالله اللواتي ابن بطوطه، تحقيق: علي المنتصر الكتاني، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ

٦٢. **الرد على الجهمية.**

لعثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: بدر البدر، الناشر: الدار السلفية، الكويت، الطبعة: الأولى.

٦٣. **الرد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيمية (شيخ الإسلام) كافر.**

لناصر الدين الدمشقي، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى.

٦٤. **زاد المسير**

لعبدالرحمن بن علي ابن الجوزي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٨٤هـ

٦٥. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها.

لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت.

٦٦. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة.

لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار المعارف، الرياض، الطبعة: الأولى.

٦٧. سنن أبي داود.

لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: عزت الدعاس، الناشر: المكتبة السلفية، الطبعة: الأولى، ١٣٨٨هـ.

٦٨. سنن الترمذي.

لمحمد بن عيسى الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

٦٩. سنن الدارقطني (مع حاشية التعليق المغني).

لعلي بن عمر الدارقطني، الناشر: نشر السنة.

٧٠. سنن الدارمي.

لعثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ.

٧١. سنن ابن ماجه.

لمحمد بن يزيد القزويني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

٧٢. السنن الكبرى.

لأحمد بن الحسين البيهقي، الناشر: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة: الأولى، ١٣٤٤هـ، مصدر الكتاب: موقع وزارة الأوقاف المصرية وقد أشاروا إلى جمعية المكنز الإسلامي.

٧٣. السنن الكبرى.

لأحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ،١٩٩١م.

٧٤. سنن النسائي (مع شرح الحافظ السيوطي).

لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، اعتناء عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: دار البشائر، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.

٧٥. السنة.

لابن أبي عاصم، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ.

٧٦. السنة.

لعبد الله بن أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد بن سعيد القحطاني، الناشر: دار ابن القيم، الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٧٧. السياسة الشرعية

لأحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق: علي بن محمد المغربي، الناشر: دار الأرقم، الكويت، ١٤٠٦هـ

٧٨. شرح السنة.

لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى.

٧٩. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة.

لهبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد الغامدي، الناشر: دار طيبة، السعودية، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

٨٠. شرح العقيدة الطحاوية.

لعلي بن علي بن أبي العز الحنفي، تحقيق جماعة من العلماء، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثامنة، ١٤٠٤هـ.

٨١. شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية.

لمحمد خليل هراس، تعليق إسماعيل الأنصاري، الناشر: الرئاسة العامة للإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٣هـ.

٨٢. شرح القصيدة النونية (أحمد بن إبراهيم بن عيسى)

لأحمد بن إبراهيم بن عيسى، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٢هـ

٨٣. شرح القصيدة النونية (محمد خليل هراس)

لمحمد بن خليل هراس، الناشر: الفاروق الحديثة، القاهرة.

٨٤. الشريعة.

لمحمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّي، تحقيق: عبد الله بن عمر الدميجي، الناشر: دار الوطن، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٨٥. الشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالفين فيها

ناصر بن عبدالرحمن الجديع، الناشر: دار أطلس، الرياض، ١٤١٧هـ

٨٦. صحيح البخاري (مع شرحه فتح الباري لابن حجر العسقلاني).

لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن باز، وترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، وإخراج: محب الدين الخطيب، الناشر: دار الفكر.

٨٧. صحيح ابن حبان.

محمد بن حبان البُستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

٨٨. صحيح الترغيب والترهيب للمنذري.

لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

٨٩. **صحيح الجامع الصغير وزيادته.**

لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.

٩٠. **صحيح سنن أبي داود.**

لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٩١. **صحيح سنن ابن ماجه.**

لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة: الأولى.

٩٢. **صحيح سنن الترمذي.**

لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة: الأولى.

٩٣. **صحيح سنن النسائي.**

لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة: الأولى.

٩٤. **الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين.**

لمقبل بن هادي الوادعي، الناشر: مكتبة دار القدس، صنعاء، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ

٩٥. **صحيح مسلم (مع شرح النووي).**

لمسلم بن الحجاج القشيري، مراجعة خليل الميس، الناشر: دار القلم، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ.

٩٦. **الصفات.**

لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، تحقيق: علي بن محمد الفقيهي، الطبعة: الأولى، (١٤٠٣هـ).

٩٧. **صفات الله الواردة في الكتاب والسنة**

لعلوي بن عبدالقادر السقاف، الناشر: الدرر السنية- الظهران، الطبعة: الرابعة، ١٤٣٣هـ

٩٨. صفة الجنة

لعبدالله بن محمد بن أبي الدنيا، تحقيق: عمرو عبدالمنعم سليم، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤١٧هـ

٩٩. الصواعق المرسلة.

لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٠٠. ضعيف الجامع الصغير وزيادته.

لمحمد ناصر الدين الألباني: تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ.

١٠١. ضعيف سنن أبي داود

لمحمد ناصر الدين الألباني، تحقيق: زهير بن سا لم الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت ١٤١٢هـ

١٠٢. ضعيف سنن ابن ماجه

لمحمد ناصر الدين الألباني، تحقيق: زهير بن سا لم الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٨هـ

١٠٣. ضعيف سنن الترمذي.

لمحمد ناصر الدين الألباني، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ.

١٠٤. ضعيف سنن النسائي

لمحمد ناصر الدين الألباني، تحقيق: زهير بن سا لم الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١١هـ

١٠٥. ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم.

لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ.

١٠٦. عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي.

لمحمد بن عبد الله ابن العربي، تحقيق: صدقي جميل العطار، الناشر: دار الفكر، الطبعة: ١٤١٥هـ.

١٠٧. عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام.

لسليمان بن حمد العودة، الناشر: دار طيبة، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

١٠٨. العرش

لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: محمد بن خليفة التميمي، الناشر: أضواء السلف، الرياض، ١٤٢٠هـ

١٠٩. العظمة.

لأبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الناشر: دار العاصمة، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

١١٠. العقيدة الواسطية (لشيخ الإسلام ابن تيمية).

شرح صالح بن فوزان الفوزان، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٧هـ.

١١١. العقيدة الواسطية (لشيخ الإسلام ابن تيمية).

تعليق محمد بن عبد العزيز المانع، الناشر: مطبوعات سعد الراشد بالرياض.

١١٢. العقيدة الواسطية (لشيخ الإسلام ابن تيمية).

تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

١١٣. العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية.

لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي، الناشر: مطبعة المدني، مصر.

١١٤. عمدة التفسير للحافظ ابن كثير.

لأحمد محمد شاكر، الناشر: دار المعارف، مصر، سنة ١٣٧٦هـ.

١١٥. عمل اليوم والليلة

لأحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: فاروق حمادة، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ

١١٦. عمل اليوم والليلة

لأحمد بن محمد أبو بكر بن السني، تحقيق: بشير محمد عيون، الناشر: مكتبة دار البيان، الكويت، ١٤٠٧هـ

١١٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري.

لأحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب و تعليق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

١١٨. فتح القدير.

لمحمد بن علي الشوكاني، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

١١٩. الفتوحات الربانية على الأذكار النووية.

لمحمد بن علان الصديقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي.

١٢٠. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

لأحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن عبدالكريم اليحيي، الناشر: دار طويق، الرياض، ١٤١٤هـ

١٢١. الفروسية

لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح، الناشر: مكتبة دار التراث، ١٤١٠هـ

١٢٢. فضائل الصحابة.

لأحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: وصي الله عباس، الناشر: جامعة أم القرى، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ.

١٢٣. فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

لمحمد بن إسماعيل بن إسحاق القاضي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، طبعة المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية، ١٣٨٩هـ.

١٢٤. القدر وما ورد في ذلك من الآثار.

لعبد الله بن وهب بن مسلم القرشي المصري، تحقيق: عبدالعزيز عبدالرحمن محمد العثيم، الناشر: دار السلطان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٢٥. القواعد الفقهية

لعبدالرحمن بن رجب الحنبلي، الناشر: دار المعرفة، بيروت.

١٢٦. القيامة الكبرى

لعمر بن سليمان الأشقر، الناشر: مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٧هـ

١٢٧. الكامل في ضعفاء الرجال.

لأبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.

١٢٨. كشف الخفاء

لإسماعيل بن محمد العجلوني، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٥١هـ

١٢٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد.

لعلي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

١٣٠. مجموع الفتاوى.

لأحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، تصوير الطبعة: الأولى.

١٣١. مجموع فتاوى ومقالات متنوعة.

لعبد العزيز بن عبد الله بن باز، الناشر: دار القاسم، الرياض، الطبعة: التاسعة عشرة.

١٣٢. المحلى بالآثار.

لعلي بن أحمد بن حزم، الناشر: دار الفكر، بيروت.

١٣٣. مختصر الصواعق المرسلة

لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث، (١٤٢٢هـ)

١٣٤. مختصر العلو.

لمحمد بن أحمد الذهبي، اختصار وتحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠١هـ.

١٣٥. مدارج السالكين.

لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد فقي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت.

١٣٦. المستدرك على الصحيحين.

للحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

١٣٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل (بهامشه منتخب كنز العمال من سنن الأقوال والأفعال).

الناشر: المكتب الإسلامي ودار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٨هـ.

١٣٨. مسند أبي داود الطيالسي.

لسليمان بن داود الطيالسي، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

١٣٩. مسند أبي يعلى الموصلي.

لأحمد بن علي بن المثنى التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.

١٤٠. مسند الشاميين.

لسليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م.

١٤١. مسند الشهاب

لمحمد بن سلامة القضاعي، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ

١٤٢. مسند عبد بن حميد

لعبد بن حميد، تحقيق: مصطفى العدوي، الناشر: مكتبة ابن حجر، مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ.

١٤٣. مسند الفردوس (الفردوس بمأثور الخطاب)

لشيرويه بن شهردار الديلمي، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ

١٤٤. مصباح الزجاجة (زوائد ابن ماجه)

لأحمد بن أبي بكر البوصيري، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، الناشر: دار العربية، ١٤٠٣هـ

١٤٥. معارج القبول شرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد.

لحافظ بن أحمد حكمي، الناشر: دار الإفتاء بالرياض.

١٤٦. المعجم الأوسط.

لسليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.

١٤٧. معجم الشيوخ.

لمحمد بن أحمد بن جميع الصيداوي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

١٤٨. المعجم الكبير.

لسليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، مطبعة الأمة ببغداد، الطبعة: الأولى.

١٤٩. معرفة السنن والآثار.

لأحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار النشر: جامعة الدراسات الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

١٥٠. المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار.

لعبد الرحيم بن الحسين العراقي، الناشر: دار صادر، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٠م.

١٥١. المقاصد الحسنة

لمحمد بن عبدالرحمن السخاوي، تحقيق: عبدالله بن محمد الصديق، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.

١٥٢. مقدمة ابن خلدون.

لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، الناشر: دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة: الثالثة.

١٥٣. المنار المنيف في الصحيح والضعيف.

لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية، جمعية التعليم الشرعي، حلب، ١٤٠٢هـ.

١٥٤. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية.

لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

١٥٥. موطأ مالك.

لمالك بن أنس، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ.

١٥٦. ميزان الاعتدال في نقد الرجال.

لمحمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة، بيروت.

١٥٧. نصب الراية لأحاديث الهداية.

لعبد الله بن يوسف الزيلعي، الناشر: المكتبة الإسلامية، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣هـ.

١٥٨. نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار.

لأحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، الناشر: دار ابن كثير، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

١٥٩. نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد (الدارمي) على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد

لعثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: رشيد بن حسن الألمعي، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٨هـ

١٦٠. نقض المنطق.

لأحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد بن عبد الرزاق حمزة، الناشر: مكتبة السنة المحمدية.

١٦١. نهاية البداية والنهاية

لإسماعيل بن عمر عماد الدين ابن كثير، تحقيق: محمد فهيم أبو عبية، الناشر: مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ١٩٦٨م.

١٦٢. نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار.

لمحمد بن علي الشوكاني، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.

فهــرس الموضوعــات

الموضـوع	الصفحة
المقدمة	٥
أهمية العقيدة السلفية بين العقائد الأخرى	٦
أهمية العقيدة الواسطية بين العقائد السلفية.	٨
لماذا سميت بالواسطية؟	٨
أهمية شرح الشيخ هرَّاس لـ(العقيدة الواسطية) بين شروحها	٩
العقيدة الواسطية وشروحها.	١٠
وصف النسخة الخطية للمتن	١٧
عملي في الكتاب	١٧
ترجمة موجزة لشيخ الإسلام ابن تيمية	٢٤
نسبه ومولده	٢٤
أسرته	٢٤
شيوخه	٢٥
تلاميذه	٢٥
مذهبه	٢٦

الموضـوع	الصفحة
عقيدته	٢٧
مؤلفاته	٢٨
صفاته الخُلُقية والخَلْقية	٢٨
جهاده	٢٩
ثناء العلماء عليه	٢٩
الافتراءات عليه	٣٥
افتراءات ابن بطوطة	٣٥
محنته ووفاته	٣٨
تاريخ كتابة العقيدة الواسطية	٣٩
مواطن ترجمته	٤١
ترجمة موجزة للشيخ محمد خليل هرَّاس	٤٣
متن العقيدة الواسطية	٤٥
شرح العقيدة الواسطية	٧١
مقدمة الشارح	٧٣
الكلام على البسملة والترجيح بين الخلافات فيها	٧٤
اسم الجلالة	٧٥
الرحمن الرحيم	٧٦
الفرق بين الحمد والشكر	٧٨

الموضوع	الصفحة
تفسير الحمد والمدح والفرق بينهما	٧٩
تحقيق القول في الفرق بين الرسول والنبي	٨٠
الهدي؛ معناه، وما يوصف به الرسول صلى الله عليه وسلم، وما لا يوصف	٨١
لا إله إلا الله؛ معناها، ومكانها في الدين	٨٣
معنى الشهادة	٨٣
معنى العبادة	٨٥
معنى الصلاة	٨٦
الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم؛ معناها إذا كانت من الملائكة أو الآدميين	٨٦
معنى السلام	٨٧
معنى الاعتقاد	٨٨
تعريف الفرقة الناجية وأنها إلى يوم القيامة باقية	٨٨
الأشاعرة والماتريدية ليسوا من أهل السنة والجماعة	٨٩
أهل السنة والجماعة	٨٩
أركان الإيمان الستة	٩٠
تفسير الإيمان بالملائكة والكتب والرسل	٩١
تفسير الإيمان بالبعث والقدر	٩٣
معنى التحريف	٩٤

الموضوع	الصفحة
التحريف والتعطيل؛ معناهما وأنواعهما	٩٤
معنى التفويض	٩٥
معنى التمثيل والتكييف	٩٦
معنى الإلحاد في أسماء الله تعالى	٩٨
ترجمة نعيم بن حماد	٩٩
معنى لا سمي له	١٠٠
لا يجوز قياس الله سبحانه بخلقه	١٠٠
قياس التمثيل وقياس الشمول	١٠١
قياس الأولى	١٠١
قاعدة الكمال	١٠١
دلالة الكلام على المعاني	١٠٢
معنى التسبيح	١٠٣
النفي والإثبات في الأسماء والصفات مجمل ومفصل	١٠٤
الإجمال في النفي	١٠٤
التفصيل في النفي	١٠٥
الإجمال في الاثبات	١٠٥
التفصيل في الاثبات	١٠٥
معنى الصراط المستقيم	١٠٦

الموضوع	الصفحة
آيات الصفات	١٠٧
سورة الإخلاص تضمنت توحيد الأسماء والصفات	١٠٧
سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن	١٠٨
توحيد الإثبات	١٠٩
معنى الصمد	١٠٩
توحيد التنزيه	١١٠
تفسير آية الكرسي وإثباتها للصفات	١١١
معنى القيوم	١١٢
الشفاعة الشرعية و الشفاعة الشركية	١١٣
معنى الكرسي	١١٤
أنواع العلو	١١٥
معنى الأول والآخر والظاهر والباطن	١١٦
إثبات اسم الحي	١١٨
العلم صفة له قائمة بذاته	١١٨
إثبات اسم الحكيم	١١٩
إثبات اسم الخبير	١١٩
تعريف المعتزلة	١٢٠
ترجمة عبد العزيز المكي وبشر المريسي	١٢١

الموضوع	الصفحة
تعريف الفلاسفة	١٢٢
تعريف القدرية	١٢٢
من أسمائه تعالى: الرزاق	١٢٢
من أسمائه تعالى: القوي، المتين	١٢٣
معنى قوله تعالى: {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير}	١٢٤
إثبات صفتي السمع والبصر لله تعالى، ومن أسمائه السميع والبصير	١٢٤
تعريف الأشاعرة	١٢٥
إثبات صفتي الإرادة والمشيئة	١٢٦
الإرادة الكونية والإرادة الشرعية	١٢٧
إثبات صفة المحبة لله وبيان ما يحب ومَن يحب	١٢٨
معنى الإحسان والإقساط	١٣٠
شرط محبة الله اتباع نبيه صلى الله عليه وسلم.	١٣٢
من أسماء الله: الغفور والودود	١٣٢
إثبات صفتي الرحمة والعلم	١٣٣
من أسماء الله الحافظ والحفيظ	١٣٤
إثبات صفة الرضى والغضب واللعن والكره والسخط والمقت والأسف لله تعالى	١٣٥
معنى الرضا	١٣٦

الموضوع	الصفحة
الجواب عن آية: {ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا}	١٣٦
معنى اللعن	١٣٧
معنى الأسف والانتقام	١٣٨
إثبات صفتي الإتيان والمجيء والرد على من زعم أنه من المجاز	١٣٨
ترجمة محمد زاهد الكوثري	١٣٩
ترجمة الزمخشري	١٣٩
إثبات الوجه لله تعالى والرد على المنكرين	١٤٠
إثبات اليد لله تعالى والرد على المنكرين	١٤٢
إثبات العين لله تعالى والرد على المنكرين	١٤٥
إثبات صفات السمع والبصر والرؤية	١٤٧
إثبات صفتي المكر والكيد لله تعالى	١٤٩
معنى مكر الله	١٥٠
إثبات اسم العفو	١٥٢
معنى العفو	١٥٢
إثبات صفة العزة	١٥٣
معنى العزة	١٥٤
صفات السلوب	١٥٦
معنى السمي	١٥٦

الموضوع	الصفحة
معنى الند	١٥٧
معنى: {يحبُّونهم كحب الله}	١٥٨
كيفية تسبيح الجمادات	١٥٩
معنى التبارك	١٥٩
توضيح دليل التمانع	١٦١
قياس الأولى	١٦٢
القول على الله بغير علم	١٦٣
سبعة آيات في الاستواء على العرش والكلام عليها	١٦٤
قول مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول	١٦٦
إثبات أن الله في العلو	١٦٦
إثبات أن الله في السماء	١٦٨
إثبات صفة العلو لله تعالى	١٦٨
إثبات صفة المعية لله تعالى	١٧١
إثبات صفة الكلام لله تعالى والرد على المخالفين	١٧٣
تعريف الكُلَّابية	١٧٤
تعريف الكرامية	١٧٥
خلاصة مذهب أهل السنة والجماعة في مسألة كلام الله عزَّ وجلَّ	١٧٥
القرآن كلام الله	١٧٩

الموضوع	الصفحة
رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة والرد على النفاة	١٨١
مباحث عامة حول آيات الصفات	١٨٤
صفات الذات	١٨٥
صفات الفعل	١٨٥
السنة تؤيِّد القرآن في الصفات	١٨٧
منزلة السنة من القرآن	١٨٨
موقف أهل البدع من السنة	١٨٨
ترجمة أبي حامد الغزالي	١٨٨
ترجمة فخر الدين الرازي	١٨٨
أحاديث الصفات	١٨٩
إثبات صفة النزول لله عز وجل	١٨٩
إثبات صفة الفرح لله تعالى	١٩١
إثبات صفة الضحك لله تعالى	١٩٢
إثبات صفة العجب لله تعالى	١٩٣
إثبات صفة الرجل والقدم لله تعالى	١٩٦
إثبات صفة النداء لله تعالى	١٩٧
إثبات صفة العلو والفوقية لله تعالى	١٩٨
حديث الجارية وكون الله تعالى في السماء	١٩٩

الموضوع	الصفحة
حديث: (العرش فوق الماء، والله فوق العرش)	٢٠٠
إثبات صفة المعية لله تعالى	٢٠١
رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة	٢٠٥
أهل السنة والجماعة وسط بين جميع الطوائف	٢٠٦
معنى الوسطية	٢٠٧
تعريف الجهمية	٢٠٨
تعريف المشبهة	٢٠٨
تعريف الجبرية	٢٠٩
أفعال العباد ومذهب أهل الحق فيها	٢٠٩
تعريف المرجئة	٢١١
تعريف الوعيدية	٢١١
معنى الإرجاء	٢١١
أهل السنة والجماعة وسط بين الفرق في باب أسماء الإيمان	٢١٢
تعريف الحرورية	٢١٣
تعريف الرافضة	٢١٥
أهل السنة والجماعة وسط بين الفرق في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم	٢١٦
بيان أن علوه تعالى لا ينافي معيته	٢١٧

الموضوع	الصفحة
صفة الاستواء على العرش	٢١٧
تعريف الحلولية	٢١٨
إثبات القرب والمعية لله تعالى	٢١٩
القرآن كلام الله وليس حكاية عن كلام الله	٢٢٠
رؤية أهل الموقف ربهم	٢٢٣
وجوب الإيمان بما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت	٢٢٥
وجوب الإيمان بفتنة القبر وعذابه	٢٢٥
فتنة القبر	٢٢٧
عذاب القبر	٢٢٧
الإيمان بقيام القيامة	٢٢٨
وجوب الإيمان بالنفخ في الصور	٢٢٩
وجوب الإيمان بالحشر	٢٣٠
وجوب الإيمان بالميزان	٢٣٠
وجوب الإيمان بالحساب	٢٣١
العرض	٢٣٢
وجوب الإيمان بالحوض والصراط	٢٣٣
صفة الحوض	٢٣٣
صفة الصراط	٢٣٤

الموضوع	الصفحة
أول الناس دخولًا الجنة	٢٣٦
للرسول صلى الله عليه وسلم ثلاث شفاعات وبيان أصحابها	٢٣٧
معنى الشفاعة	٢٣٨
الشفاعة الأولى	٢٣٩
الشفاعة الثانية	٢٣٩
الشفاعة الثالثة	٢٤٠
درجات الإيمان بالقدر خيره وشره وبيانها	٢٤٢
العرش والقلم أيهما خلق أولًا	٢٤٤
ترجمة معبد الجهني وغيلان الدمشقي	٢٤٦
كلام جيد في مسألة أفعال العبد مع القدر	٢٤٨
خلاصة مذهب أهل السنة والجماعة في القدر وأفعال العباد	٢٥٠
القدر وأفعال العباد	٢٥٠
الضُّلال في القدر	٢٥١
طائفتان ضلتا في القدر: القدرية والجبرية	٢٥١
الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص	٢٥٣
علامات أهل الإرجاء	٢٥٣
علامات أهل الغلو	٢٥٥
الفرق بين الإيمان والإسلام	٢٥٧

الموضوع	الصفحة
سلامة قلوب وألسنة أهل السنة والجماعة للصحابة جميعًا	٢٥٨
التفضيل بين الصحابة	٢٦٠
المهاجرون والأنصار	٢٦١
أهل بدر	٢٦٢
المبشرون بالجنة	٢٦٢
اعتقاد أهل السنة والجماعة في الخلافة	٢٦٣
الخلفاء الراشدون	٢٦٣
مسألة الخلافة	٢٦٥
أهل السنة يحبون آل البيت ويتبرؤون ممَّن يعاديهم	٢٦٦
أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم	٢٦٧
أهل السنة يتولون أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين	٢٦٨
موقف الروافض والنواصب من الصحابة	٢٦٩
تعريف النواصب	٢٦٩
الصحابة غير معصومين	٢٦٩
الصحابة خير القرون	٢٧٠
إمساك أهل السنة عن الخوض فيما شجر بين الصحابة	٢٧١
من أصول أهل السنة والجماعة تصديق كرامات الأولياء	٢٧٣
الفرق بين المعجزة والكرامة	٢٧٤

الموضوع	الصفحة
تعريف الفلسفة	٢٧٥
طريقة أهل السنة والجماعة: اتباع آثار النبي صلى الله عليه وسلم باطنًا وظاهرًا	٢٧٦
أصول أهل السنة والجماعة	٢٧٧
أهل السنة والجماعة يتخلقون بمكارم الأخلاق	٢٧٨
أهل السنة والجماعة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر	٢٧٨
افتراق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة	٢٨١
أهل السنة والجماعة هم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة	٢٨١
التجديد والمجددون	٢٨٢
ملحق العقيدة الواسطيّة	٢٨٣
مقدمة الملحق	٢٨٥
فصل في الجماعة والفرقة	٢٨٨
فصل في الموالاة والمعاداة	٢٩١
فصل في الحكم بغير أنزل الله	٢٩٦
أقوال العلماء في التشريع العام	٢٩٩
فصل في عدم الخروج على الأئمة	٣٠١
فصل في الميثاق	٣٠٤
فصل في الإسراء والمعراج	٣٠٦

الموضوع	الصفحة
فصل في أشراط الساعة	٣٠٩
فصل في الجنة والنار	٣١٢
فصل في ذم الكلام والتسليم لنصوص الكتاب والسنة	٣١٨
ملخص العقيدة الواسطية	٣٢٣
الفهارس العامة	٣٢٧
فهرس الآيات القرآنية	٣٢٩
فهرس الأحاديث والآثار	٣٥١
فهرس الفرق	٣٦١
فهرس الأعلام المترجم لهم	٣٦٢
فهرس المفردات	٣٦٣
قائمة المصادر والمراجع	٣٦٥
فهرس الموضوعات	٣٨٥

تم الصف والإخراج في
مؤسسة الدرر السنية
nashr@dorar.net
هاتف: ٠٣٨٦٨٠١٢٣
فاكس: ٠٣٨٦٨٢٨٤٨
جوال: ٠٥٥٦٩٨٠٢٨٠